



لوحتان من اللوحات الفنية التي صورها المصور المصري محمد ناجي على جدران الهو في مدخل مستشفى المؤساة بالاسكندرية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية
الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٣

١ يوليو سنة ١٩٣٤

لبنيات الكون

الدقائق الاساسية في بناء الاجسام

الالكترتون والبروتون والنوترون والبوزيترون^(١)

من الاقوال المعزوة الى السر جيمز جينز العالم البريطاني الكبير ان الرياضي فقط ، يستطيع الاجابة عن مسائل تتعلق ببناء الكون المادي . وانه اذا اجاب فلا يفهمه الا رياضي مثله . وقد يكون هذا القول صحيحاً . ولكن الطبيعة الانسانية لا تحتاج الى تثبت من الرياضة العالية لكي تستثيرها انباء المكتشفات الحديثة في عالم الذرة . خذ مثلاً على ذلك رجلاً يدعى ديراك . فهو استاذ من اساتيد جامعة كمبردج . عمده في سنة ١٩٣١ الى المرقم والورق والمعادلات الرياضية العالية ، فأنبأ بوجود دقيقة غير معروفة من الدقائق التي تتركب منها الاجسام . وفي سنة ١٩٣٢ كان الاستاذ كارل اندرسن الاستاذ بمعهد كاليفورنيا التكنولوجي يراقب صوراً لاصطدام الاشعة الكونية بذرات الهواء وجزيئاته ، فرأى شيئاً يتصرف تصرف الدقيقة التي انبأ بها ديراك . هذا هو البوزيترون . نداء الالكترتون الحقيقي وصنوه واحد اللبنيات في البناء الكوني . بل قبيل اكتشاف البوزيترون اكتشافاً تجريبيّاً كان الاستاذ شك — من جامعة كمبردج كذلك — قد اكتشف النوترون . فأضيف هذان الاكتشافان اذ كانت الآراء متعددة متباينة في تعليل الاشعة الكونية وأصلها ، والكون الآخذ في الاتساع وطبائعه ، فقال الفلكي الاميركي الاستاذ شابلي « الفروض العلمية اكثر

(١) فصل من كتاب « فتوحات العلم الحديث » الذي صنفه رئيس تحرير المقتطف ليكون هديته السنوية ١٩٣٤

مما نحتاج اليه». وشبهه وزير العلم الحديث بجدر غنيّ جاء الى ملعب احفاده بطائفة كبيرة من اللعب فأصبح الاطفال وهم لا يدرون ما يفعلون بها جميعاً ولكن هل هذه الفروض العلمية الكثيرة ألأعيب حقيقةً تنسلي بها ثم ننبذها؟ ألا نستطيع ان نتذكر عبرة التاريخ في هذا الصدد؟ ألم ينبئ كلارك مكسول بمعادلاته الرياضية من ستين سنة بوجود الاشعة اللاسلكية؟ فهل يصحّ — ونحن نعلم من عجائب الراديو ما نعلم — ان نقول ان ذلك الاكتشاف الرياضي كان ألهية او العوبة علمية فقط؟

بناء الذرة

كانت الذرة في نظر العلماء، حتى اكتشاف ظاهرة الاشعاع في اواخر القرن التاسع عشر، دقيقة لا تتجزأ. فلما تبين ان الراديووم وغيره من العناصر المشعة، تنفجر، وتنطق منها مقذوفات متباعدة، كان حتماً على الباحثين ان يسألوا انفسهم: وكيف يمكن ان تكون الذرة، تلك الكرة الصغيرة الصلبة التي لا تتجزأ؟

وما لبث الباحثون، حتى اثبتوا ان الاشياء التي تنقذف من عنصر الراديووم على ثلاثة أصناف (١) دقائق لها وزن نسبي كبير وتحمل شحنة كهربائية موجبة دعيت «دقائق الفا» (٢) دقائق خفيفة (أخف من دقائق الفا نحو النوية مرة) وتحمل شحنة كهربائية سالبة. دعيت «دقائق بيتا» وهي الالكترونات

(٣) اشعة شديدة النفوذ لا تحمل شحنة كهربائية، فدعيت «أشعة غمما» ثم ثبت انها من قبيل الضوء قصير الامواج أي من قبيل أشعة اكس

وخطر لأحد اساتذة الطبيعة في جامعة «ميجل» الكندية — الاستاذ ارنست رذرفورد وهو لورد رذرفورد الآن — ان يستعمل هذه المقذوفات الراديومية كلقنابل يطلقها على الذرة، لعلّه يستطيع ان يحطمها، فتبيح أسرارها. ووالى تجاربه حين عاد الى انكلترا، الى الجامعة التي تخرج منها — جامعة كمبرج — فأثبت بالتجربة والبرهان العملي ان الذرة ليست كما ظن من قبل كرة صلبة لا تتجزأ^(١)، بل هي كما تقتضي ظاهرة الاشعاع، مؤلفة من اجزاء. وكان في خلال تجاربه يطلق دقائق الفا على ذرات الذهب، فتتخلل الدقائق الذرات، وانما كان يتفق احياناً ان ترتدّ إحدى الدقائق التي اطلقها، كأنها صدمت في الذرة كتلة راسية، فارتدت عنها بعد اصطدامها بها

فجعل رذرفورد همّه ان يبلغ تلك الكتلة: ومضى يطلق القنابل على المعقل، ويحسب حساباً

(١) السر جوزف طلسن هو اول من اكتشف الالكترون في اواخر القرن الماضي عند بحثه في مرور الكهرباء في الغازات

لعدد القذائف التي ترتد ، وقوة ارتدادها ، ومن هذا كله رسم رسمًا عجيباً ، هو التصميم الاول لبناء الذرة . فجعل في وسط الذرة كتلة صغيرة دعاها النواة ، وعلى ابعاد متباينة منها — تزيد الوف المرات على قطر النواة — اقام الالكترونات وهي اجسام صغيرة جداً تحمل شحنات كهربائية مضادة ومعادلة لشحنة النواة . وهذه الالكترونات في رسمه كانت تدور حول النواة دوراناً طبيعياً كدوران السيارات حول الشمس

وكذلك تلمس رذرفورد قلب الذرة في الظلام

ولكن هل النواة ، دقيقة فردة ، او مجموعة مندجة من الدقائق ؟ هذا سؤال تصدى له مارزدن Marsden احد اعوان رذرفورد باطلاق دقائق الفا على ذرة الايدروجين . ودقيقة الفا هذه تفوق ذرة الايدروجين اربعة اضعاف وزناً ، فلما اطلقت دقائق الفا على ذرات الايدروجين بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية مزقت الالكترونات الذي حولها ، فانطلقت نواة الذرة بسرعة ١٩ الف ميل في الثانية . ولكن مارزدن عجز عن الحصول على جزء من نواة الايدروجين ، وفي جميع التجارب التي جربها ، كانت نواة الايدروجين تتصرف كأنها دقيقة لا تتجزأ

وتلاه رذرفورد فوجّه دقائق الفا الى ذرات النتروجين . ووزن النتروجين كما لا يخفى يفوق وزن الايدروجين نحو ١٤ ضعفاً . وكانت الدقائق التي اطلقها رذرفورد كذلك قلما تصيب ، بل ان معدل اصابتها كانت بنسبة واحد الى مائة الف . ولكن كلما اصابت احدى دقائقه هدفه — اي نواة ذرة النتروجين — كان ينطلق منها نواة ايدروجين . ثم وجّه قنابله الى ذرات الصوديوم ، فخرج من ذرات الصوديوم نوى ايدروجين كذلك . ثم وجّهها الى ذرات الالومنيوم والفصفور ، فكان في جميع هذه الحالات ، يحصل على نوى الايدروجين

فهل الايدروجين هو المادة التي تبني منها نوى الذرات ؟ قبل ذلك بقرن من الزمان كان الدكتور بروت Prout احد اطباء ادنبره قد اقترح رأياً مؤداه ان جميع العناصر الكيميائية مبنية من الايدروجين . وكان هذا الرأي وليد الخيال في الغالب . ذلك ان بروت نظر في الاوزان الذرية في بعض العناصر فوجدها ارقاماً صحيحة ، فقال والخيال رائده ، ان الكون اذا كان منسجماً ، وجب ان تكون فيه العناصر مركبة من اخف العناصر الذي وزن ذرته واحد اي الايدروجين . واذن فقد يكون الايدروجين ، هو الهوى التي قال بها القدماء . ولكن علماء الكيمياء في ذلك العصر اعرضوا عن رأي بروت وأهملوه . على ان التاريخ كثيراً ما ينقض اقوال النقات وينزلهم عن عروشهم . وكذلك ما انقضى قرن من الزمان على بروت ومعارضيه رأيه ، حتى تبين لرذرفورد ان نواة الايدروجين تنطلق من كل ذرة يطلق عليها دقائق الفا ، واذاً فهي لبنة من لبنات الكون الاساسية فأطلق عليها اسم بروتون او « الاويل »

وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً . فكان كتلة الذرة كلها في بروتونها

خذ بروتوناً واحداً والكتروناً واحداً يدور حواليه ، فأنت أمام ذرة من الايدروجين . وهي ابسط الذرات بناءً . وتليها ذرة الهليوم . ووزنها يفوق وزن ذرة الايدروجين اربعة اضعاف . وإذا فذرة الهليوم يجب ان تحتوي على اربعة بروتونات . وانما البحث اثبت ان لهذه الذرة الكترونين فقط يدوران حول نواتها . فكيف تستطيع كهربائية الكترونين ان تعدل كهربائية اربعة بروتونات لان المفروض ان الشحنة الكهربائية الموجبة على البروتون تعادل الشحنة الكهربائية السالبة على الالكترون . وفي سبيل التغلب على هذه العقبة وتخطيها فرض بناء الذرات ان في نواة ذرة الهليوم الكترونين محبوسين يعدلان بروتونين من البروتونات الاربعة . وكذلك يعدل الالكترونان الدائران حول النواة البروتونين الباقيين

ثم بسط العلماء صورة بناء الذرة من عنصر الهليوم وأطلقوها على ذرات سائر العناصر ، لانهم وجدوا ان في كل ذرة منها ، يزيد عدد البروتونات على عدد الالكترونات الدائرة حولها وكذلك ترى ان نواة الذرة منطقة محشوة بالبروتونات والالكترونات . ونوى الذرات على ذلك تحتوي على جميع البروتونات في الكون المادي ، ومعظم الالكترونات ، وجل ما له وزن ، حتى ليكاد الكاتب ان يُغري بأن يقول « ان الذرة انما هي النواة »

معقل النواة وفنم

من النواميس الكهربائية ان الدقائق التي تحمل نوعاً واحدة من الشحنة الكهربائية تتنافر . وقد حسب الاستاذ صدي الانكليزي قوة هذا التنافر . وضرب المثل الآتي عليها لتقريبها الى الافهام . قال اذا اخذنا غراماً من البروتونات ووضعناه عند القطب الشمالي . واخذنا جراماً آخر ووضعناه عند القطب الجنوبي . فالتنافر بين الجرامين ، يقل طبعاً ، كربع المسافة بينهما . ومع ذلك تبقى قوة هذا التنافر تعدل ٢٦ طنّاً . والغريب في كل هذا ان البروتونات التي تتنافر هذا التنافر العظيم ، محشوة معاً في النواة حتى ليصعب تفريقها ، لعظم الطاقة التي تربطها

والعلماء لا يستطيعون ان يحملوا هذا السر ، الا اذا مزقوا النواة واستباحوا اسرارها فالذرة في نظر العلماء كالمعقل قلب حصنه النواة ، والكهارب بمثابة القلاع الخارجية التي تحيط به . وقد حملوا على القلاع خططهموها وعرفوا على وجه من الدقة جل ما تهتمهم معرفته عن الجو الالكتروني الذي يحيط بالنواة وبنائهم وخواصه . ولكن النواة تنطوي على اسرار يريدون استباحتها فهم لذلك يعدون المدافع الضخمة والقنابل المدمرة لتحطيم هذا الحصن . لقد احدثوا ثغرات فيه ولكنهم لا ينون عن الاستنجاد بمدافع جديدة ووسائل مبتكرة حتى يبلغوا غايتهم ، اذا كان بلوغها في متناول الانسان

والقذائف التي يستعملها العلماء لذلك حصون النواة نوعان . فشمسة اولاً دقائق الفا التي تنطلق

من تلقاء ذاتها من ذرّة الراديوم ، وهي من اسرع المقذوفات التي يستطيع العالم الطبيعي استعمالها ومن اعظمها طاقة ، لذلك قيل انه اذا اطلق تيار من دقائق الفا على مادة من المواد ، فيحتمل ان تصيب دقيقة منها نواة ذرّة من الذرات او تصير على قرب عظيم منها ، وفي الحالين لا بد ان تؤثر في القوى التي تربط بين اجزاء النواة ، فتفقد النواة استقرارها وتنقسم الى دقيقتين

ومن قبيل دقائق الفا دقائق اكتشفت من عهد قريب تعرف باسم «النوترونات» . ذلك ان عنصر البريليوم اذا قذف بدقائق الفا ، لم تنطلق منه بروتونات كما يحدث في النروجين وغيره . بل ينطلق منه اشعاع قوي النفوذ . فأثبت الدكتور شك الانكليزي ان هذا الاشعاع انما هو تيار من دقائق لم تعهد من قبل دعاها نوترونات وهي تماثل البروتونات في ان وزن النوترون كوزن البروتون اي واحد (١) ولكن النوترون متعادل الكهربائية حالة ان البروتون موجبها . وهذه النوترونات قدائف عجيبة يمكن استعمالها باطلاقها على نوى ذرات اخرى وهي لتعادل كهربائيتها تحترق ذرات المادة من دون ان تفقد شيئاً كثيراً من طاقتها ، ولا تنم على نفسها الا اذا اصطدمت بنواة ذرّة من الذرات . وقد أثبت باحث يدعى « فذر » ان اطلاق النوترونات على الأكسجين يحولها بقذف دقائق الفا من نوى ذراته . وهذه حقيقة لها شأن خاص لان اطلاق دقائق الفا على الاكسجين لم تؤثر فيه على الاطلاق

هذا عن النوع الاول من القذائف وهي القذائف التي تنطلق من تلقاء ذاتها من انحلال العناصر المشعة او ما هو من قبيلها ولكن العلماء ادرکوا ان توسيع نطاق معرفتهم يقتضي انواعاً جديدة من القذائف لتحطيم نواة الذرة واستباحة اسرارها . وكان معروفاً ان اطلاق تيار كهربائي في غاز لطيف يخرج منه مقذوفات منوعة من ذرات وجزيئات مكهربة (ايونات) سريعة الانطلاق . فاذا زادت سرعة هذه الذرات المنطلقة بامرارها في فراغ معرض لفعل الجذب المغناطيسي ، فقد تصبح سرعتها كافية لاطلاقها على نوى الذرات بغية تحطيمها

فاذا اطلق مثلاً تيار كهربائي في غاز الايدروجين في احوال معينة انقذف وابل من القنابل الصغيرة لا ينقذف مثلها من مائة الف غرام من الراديوم في الوقت نفسه . ثم ظن انه اذا استعملت تيارات كهربائية عالية الضغط — من رتبة مليون فولط — تمكن العلماء من الحصول على مقذوفات سريعة يستطيعون استعمالها كما استعمالوا دقائق الفا من قبل

ومعلوم ان للايدروجين نظيراً وزن ذرته ضعف وزن الايدروجين العادي وهو ما يعرف بالدوتيريوم في اميركا وبالديبلوجين في انكلترا . وقد عمد الاستاذ لورنس الاميركي الى اطلاق نوى الايدروجين الثقيل وهي تعرف باسم دوتونات ثم زاد سرعة انطلاقها بطريقة خاصة استنبطها ، فوجدوا فعل في تحطيم الذرات من البروتونات العادية والآلات التي بنيت لقذف هذه القنابل آية من آيات الصناعة الكهربائية الحديثة . فالة الاستاذ

لورنس الاميركي تشتمل مثلاً على مغناطيس وزنه ٨٥ طنّاً من شأنه ان يزيد سرعة البروتونات المنطلقة من الغاز حتى تبلغ طاقتها نحو خمسة ملايين فولط . واما الآلة التي بنيت في معهد ماستشوستس الصناعي باشراف الاستاذ فاند جراف فتطلق مقذوفات بسرعة ٢٦ الف ميل في الثانية

النظائر وسم النواة

كان العلماء يعتقدون ان ذرات كل عنصر تشتمل على عدد ثابت من البروتونات والالكترونات . فذرة الاكسجين مثلاً تشتمل على ١٦ بروتوناً و ١٦ الكتروناً . ومن قبل كان الكيمائيون قد عيّنوا وزن الاكسجين الذري فجعلوه ١٦ وقاسوا عليه الاوزان الذرية لسائر العناصر . فلما اكتشف طمس طريقة المغناطيسية العجيبة^(١) لمعرفة اوزان العناصر ثبت ان معظم ذرات الاكسجين وزنها ١٦ ولكن بعضها وزنه ١٧ او ١٨ ومتوسط نسبة هذه الذرات التي وزنها ١٧ او ١٨ الى الذرات التي وزنها ١٦ كنسبة ١ الى ٥٠٠ ثم ظهر ان عنصر الرصاص له ثمانية اصناف من الذرات مختلفة الوزن . واما عنصر الزئبق فله تسعة اصناف وكذلك عنصر القصدير له احد عشر صنفاً

هذه الاصناف من العنصر الواحد تعرف باسم « النظائر » isotopes اطلقت عليها الاستاذ صدي الانكليزي . وقد ثبت حتى الآن ان ٧٢ عنصراً من العناصر الكيميائية، لكل منها نظيران او اكثر بل قد ظهر ان للعناصر التي درست نحو ٢٧٠ نظيراً ، وهذا يعني ان نواة كل نظير تختلف وزناً عن نواة النظير الآخر ، لان كتلة الذرة في نواتها

وفهم النظائر أمر لا ندحه عنه نفهم الحملة التي يوجهها العلماء الى نواة الذرة . فهي أولاً قد تمكنهم من ان يلجحوا شيئاً من بنائها . وثانياً لانها تبين لهم عظم القوى التي تربط بين اجزائها . ذلك ان وزن النواة اقل من مجموع اوزان اجزائها . خذ مثلاً دقيقة الفا . فهي في الواقع نواة ذرة الهليوم . ووزنها ٤.٠٠٢ ولكن دقيقة الفا مكونة من اربعة بروتونات والكترونين ومجموع اوزان هذه الاجزاء ٤.٠٣٢ فنواة الهليوم زن ٠.٣٠ ر اقل من وزن اجزائها . هذا الفرق في الوزن يمثل المادة التي تحولت الى طاقة عند تكوين دقيقة الفا من اربعة بروتونات والكترونين . والطاقة التي تنشأ عن تحويل هذا القدر من المادة الى طاقة تعدل ٢٧ مليون الكترون فولط^(٢) . ولذلك يجد العلماء نواة الهليوم — او دقيقة الفا — من أعسر الدقائق على التحطيم . بيد ان نواة الاكسجين تنقص (١٢٣٨ ر) عن مجموع اوزان اجزائها . وهذا يعني ان هذا القدر من المادة قد تحول الى ١١٥ مليون الكترون فولط وهي الطاقة التي تربط بين اجزاء نواة الاكسجين

(١) تشتمل هذه الطريقة على قطبي مغنطيس احدهما ازاء الآخر . ثم يطلق في الفسحة بين القطبين وابل من الذرات التي اُينت ionized اي فقدت جزءاً منها حتى اصبحت لها شحنة كهربائية . فيجذب المغناطيس هذه الايونات ومقدار الجذب يختلف باختلاف كتلة الذرة

(٢) اي طاقة الكترون سائر بضغط كهربائي قدره ٢٧٠.٠٠٠.٠٠٠ فولط

فلما اكتشفت نظائر الاكسجين اخذ بعض العلماء المدققين بحسبون . قالوا ان وزن نواة الايدروجين يعادل $\frac{1}{16}$ من نواة الاكسجين بعد حساب ما يتحول من المادة الى طاقة كما تقدم . وعلى هذا يفهم كون وزن الاكسجين الذري ١٦ وان ذرته مؤلفة من ١٦ بروتوناً وان نواة الايدروجين مؤلفة من بروتون واحد . ولكن ما القول في ذرات نظيري الاكسجين اللذين يزنان ١٧ و ١٨ . ان ١٦ بروتوناً لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون نواة وزنها ١٧ او ١٨ فكيف يعمل ذلك ؟ هل يمكن ان يكون عنصر الايدروجين عنصراً غير نقي ، وهل له نظير يماثله ، في خواصه الكيميائية والطبيعية ويختلف عنه وزناً ؟

الايدروجين الثقيل

هذا الاعتبار النظري صرف حمل طائفة من علماء اميركا على البحث . فأتى الاستاذ اليسن (معهد الاباما الصناعي) بأدلة على وجود نوع من الايدروجين تختلف ذراته عن ذرات الايدروجين العادي . وعمد الاستاذ يوري (جامعة كولومبيا) والاستاذ بروكيد (مكتب المقاييس بوشنجنطن) الى تقطير الايدروجين السائل على برد قريب من درجة الصفر المطلق فاستفردا ذرات ايدروجين وزن كل ذرة منها ضعف وزن ذرة الايدروجين العادي . فأطلق على هذا النوع من الايدروجين اسم «دوتيريوم» وفي انكلترا دعي «دبلوجين» . وأطلق على نواته اسم «دوتون» في اميركا و «دبلون» في انكلترا . وقد كان لاكتشاف هذا النظر شأن خطير في دوائر العلم ، يفوق ما كان لاكتشاف النظائر الاخرى من خطورة الشأن . ذلك ان نواة هذا النظر نوع جديد من النوى يجب استكشافه ومعرفة بنائه . ثم ان الدوتونات نفسها تستعمل الآن كقذائف تطلق على نوى العناصر والنظائر المختلفة بغية تخطيمها^(١)

النوترون وبناء النواة

في اوائل سنة ١٩٣٢ اذيع من انكلترا ان الاستاذ شديك اكتشف دقيقة جديدة اطلق عليها اسم «النوترون» . هذا الاكتشاف يمكن ان يؤخذ دليلاً على اسلوب العلم وعلى شيوعته . ذلك ان طوائف من العلماء ، في بلدان مختلفة ، مهدوا بمباحثهم الطريفة ، الطريق لاكتشاف النوترون على يد الاستاذ شديك

ففي سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسددة ، تصيب بعض نوى البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ . فظن بوث وبكر ان هذا الاشعاع من قبيل اشعة غمما التي تخرج

من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة اختراق . وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته (كريمة مدام كوري) بتجارب من قبيل تجارب الالمانيين

فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي يطاق هذه الاشعة وغرفة التأين ionization chamber^(١) فوجد انه اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين كإد البرافين ، زاد عدد الايونات المتولدة في غرفة التأين وهو غير منتظر، بل المنتظر حجب بعض الاشعة الصادرة من البريليوم بواسطة هذا الحائل . ويعمل ذلك بأن هذه الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض ذرات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتوناتها بسرعة ١٨ ألف ميل في الثانية . فقالا اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقتها يجب ان تكون ٥٠ مليون الكترون فولط

واذن فهذه الظاهرة عجيبة تثير الدهشة لان المواد المشعة لا تطلق دقائق لها طاقة تزيد على ٦ ملايين الكترون فولط مثل دقائق الفا المنطلقة من عنصر البولونيوم . واذن فالبريليوم يطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسددة اليه وهذا غريب ففرض جوليو وزوجته ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وقوة نفوذها تقع بين اشعة غاما التي تخرج من الراديوم والاشعة الكونية التي كشفها ودرسها ملكن ورهط من اكبر علماء العصر

قرأ شديك عن هذه التجارب العجيبة ، فعمد الى أنابيب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليه ، بعد ما فقد الراديوم فيها خواصه العلاجية ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انه لا يطلق الا دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق دقائق الفا وبيتا واشعة غاما . وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٦ ملايين الكترون فولط . فاذا كانت تستطيع هذه الدقائق ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥٠ مليون الكترون فولط فهو اما امام ظاهرة غريبة جديدة بالبحث حرية بالتفسير اطلق شديك دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ووضع بين البريليوم وبين غرفة التأين حائلاً من النتروجين ، فكانت الاشعة المنطلقة من الراديوم على النتروجين عنيفة كل العنف حتى انها احدثت في غرفة التأين ٣٠ ألف ايون . هنا توقف شديك وقال : لو كانت اشعة البريليوم التي اصابت النتروجين من طاقة ٥٠ مليون الكترون فولط ، لما استطاعت - بحسب النواميس المسلّم بها - ان تحدث مثل هذا العدد من الايونات . بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١٠ آلاف ايون ولكن اذا فرض ان الاشعة المنطلقة من البريليوم هي دقائق مادية كتلتها ككتلة البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشر سرعة النور فاحدثها ٣٠ ألف ايون في غرفة التأين يصبح امراً معقولاً

(١) اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة وهي غرفة تحتوي على غاز . فاذا مرّت فيها تيار تزع بعض الالكترونات من الذرات فتصبح ايونات (اي دقائق مكهربة او شوارد كما دُعاها بعضهم) ونحصى هذه الايونات فيقاس بعدها قوة التيار

ثم اذا فرض ان هذه الدقائق لا تحمل شحنة كهربائية - وهي لذلك لا تتأثر بالجذب المغناطيسي - فعندئذ يمكن تعليل قوة اختراقها للمواد على اوفى وجهه وكذلك كشف عن «النوترون» . وقد اثبتت التجارب ان النوترونات يمكن اطلاقها من مواد اخرى عدا البريليوم . والرأي الآن على ان النوترون لبنة اساسية في بناء نواة الذرة . ولكن بناء النوترون نفسه منار للجدل . فبعضهم يحسبه دقيقة فردة لا تتجزأ . وبعضهم يذهب الى انه مؤلف من بروتون والكترون وقد حشكا معاً فلا ينفصل احدهما عن الآخر . وهذا الرأي يعمل لنا مشابهة النوترون للبروتون وزناً . ويعمل كذلك تعادل كهربائيه لان شحنة البروتون فيه تعادل شحنة الالكترون . فهو بحسب هذا الرأي ذرة ايدروجين ولكن المسافة فيها بين البروتون والالكترون قريبة جداً حتى تكاد تكون معدومة . ان بناء النوترون على هذه الصورة يغير الرأي في بناء نواة الذرة . كنا من قبل ، نفرض ان النواة مؤلفة من بروتونات والكترونات كل الكترون منها يعدل بروتوناً ولما كان عدد البروتونات يزيد على عدد الالكترونات فالعدد الزائد من البروتونات تعمله الالكترونات التي حول النواة . فأصبحنا اليوم نقول ان النواة مؤلفة من بروتونات ونوترونات . وكذلك نستطيع ان نفهم بناء الدوتون (ذرة الدوتيريوم او الايدروجين الثقيل) فنواة الايدروجين الثقيل مؤلفة من نوترون (بروتون والكترون متلاصقين او يكادان فيعدل احدهما الآخر) وبروتون . وخارج النواة الكترون واحد يعدل البروتون الذي داخلها . اما نوى الذرات في العناصر الثقيلة فقد تكون مبنية من مجموعات من البروتونات والنوترونات والدوتونات والهليومات (*heliums* اي نوى ذرات الهليوم وكل منها مؤلف من اربعة بروتونات) فنواة الاكسجين تتصرف كأنها مؤلفة من اربعة هليومات (١٦ بروتوناً) . اما البريليوم فعنصر اقل استقراراً والمرجح ان نواته مؤلفة من هليومين (الهليوم اربعة بروتونات) ونوترون وهذا هو النوترون الذي ينطلق منها عند توجيه دقائق الفا الى البريليوم كما حدث في تجارب بوث وبكر وجوليو وشدك . وقد جاء في الصحف العلمية من عهد قريب ان اطلاق الدوتونات على عنصر الليثيوم كان افعال في قذف تيارات النوترون من اطلاق دقائق الفا على البريليوم

البوتريون صغر الالكترون

واذ كانت الدوائر العلمية دهشة متحمسة ، لكشف النوترون وامكان استعماله في تصحيح بعض الآراء العلمية السائدة عن بناء نواة الذرة ، جاءت الانباء بكشف دقيقة اخرى يرجح انها كذلك من لبنات الكون الاساسية

جاء هذا الكشف بطريق العَرَض . ذلك ان الاستاذ لورنس كان يبحث في الاشعة الكونية . والاشعة الكونية شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكه بضع اقدم من الرصاص . ولكنها تعيى الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة . ولذلك يعتمدون الى فعلها في دقائق الهواء . ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتؤيئها (اي تزيل جانباً منها فيصبح الباقي وله شحنة كهربائية) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكوبلزن Skobelzyn ان يصوّر مسارات الاشعة في غرفة غائمة^(١) وتبعه ملكن واندرسن خستنا الطريقة واتقناها وصوّرّا بها مسارات الاشعة الكونية كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة . في هذه الصور لاحظ اندرسن عدا مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية فاسترعى نظره أولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الاً ازواجاً . وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والاخر الى اليسار . اي ان احدها سالب والاخر موجب . وتبين عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الالككترون . ولكن لم يستطع احد ان يعلّل الخط الموجب . ذلك ان اصغر وحدة للكهربية الموجبة عرفت حتى ذلك الوقت كانت وحدة البروتون . وكتلة البروتون تفوق كتلة الالككترون ١٨٥٠ ضعفاً . فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافه اعظم جداً من هذا الخط البادي في الصورة فقال اندرسن في ذاته ، ان البروتون ليس صنو الالككترون بل صنوه دقيقة اخرى اصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالككترون وشحنتها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . ودعا هذه الدقيقة البوزيترون . ثم توالى التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكت* واوكالييني في كمبرج

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد يخذع الاً اذا تخلىنا عن لفظ الكترون وسميناهُ نغارتون . ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميها الكهرب الموجب (البوزيترون) والكهرب السالب (الالككترون)

وكذلك يرى القارىء ان لبنات الكون ، ونحن نكتب هذه الكلمات في منتصف سنة ١٩٣٤ هي اربع : الالككترون (الكهرب السالب) والبروتون (الاوليل) والنوترون (المحايد اي لاسالب الشحنة ولا موجبها) والبوزيترون (الكهرب الموجب) . وكل دقيقة من هذه الدقائق لا تزال لغزاً من الالغاز ، ومن يدري فقد تسفر المباحث الجارية الآن عن نتائج تجعل لبنات الكون الاساسية اكثر من اربع او قد تحوّلها الى اثنتين فقط هما الكهربان الموجب والسالب

(١) الغرفة الغائمة طريقة تبين بها مسارات الدقائق التي تمكن رؤيتها بما تركه من الاثر في الطريق الذي تسلكه

روح القصة في الادب الحديث

لحسن محمود

كنت في احدى الليالي جالساً في مقهى مع جماعة من الادباء وتناثر الحديث فاصطفى كل واحد منا واحداً من الجماعة يتحدث اليه في صوت رفيق ومال اليّ احد افراد الجماعة يسألني ماهي الكتب التي قرأتها في السنوات الاخيرة فوجدت فيها اكبر مثال للنزعة الحديثة في الادب القصصي فخذت ورقة امامي وانتضيت القلم واخذت ارسم خطوطاً ورموزاً في غير قصد كي يكون لدي مجال للتفكير فاني والحق اقول حرت في الاجابة ولكنني رأيت ان اترك الامر للعاطفة بدلاً من الفكر فاذا هي تملي عليّ اسماء لكتب اربعة ظهر بعضها منذ سنوات وظهر البعض في السنتين الاخيرتين وهذه الكتب بحسب ظهورها رواية توماس مان الالماني التي اسمها « الموت في البندقية » ورواية اندريه جيد الكاتب الفرنسي التي اسمها « المزيفين » ورواية « الامواج » لفرجينيا وولف الكاتبة الانجليزية ورواية « عالم جديد جريء » لآلدس هكسلي

وما ان كتبت هذه الاسماء الاربعة حتى عجبت لنفسي لانني لم اضع بين هذه القصص قصصاً كنت ولا ازال اعجب بها واتخذها مثلاً للادب الحديث : فلماذا لم اختر كتاباً من كتب د.ه. لورنس مثلاً ؟ ولماذا لم استشهد بفن جيمس جويس في رواية « عوليس » ؟ لست بمستطيع ان اقول ان توماس مان كسر في قصة « الموت في البندقية » قيود القصة القديمة كما فعل مؤلف « عوليس » الذي حاول ان يصور حياة مدينة بأسرها في اقصر من يوم وليلة ويرسم كل ما يمر بخلد رجل في اثناء تفكيره ، عجبت لنفسي اذ وضعت قصة نشرت في سنة ١٩١٢ مثل قصة « الموت في البندقية » الى جانب قصة نشرت في سنة ١٩٢٥ مثل قصة « المزيفين » الى جانب قصتين ظهرت في السنتين الاخيرتين وعجبت لنفسي اذ لم اميز بين قصة قصيرة مثل « الموت في البندقية » وبين قصص طويلة من النوع الذي اصطلحوا على تسميته بالرواية

كل ذلك اخذته على نفسي ورأيت اني ربما تسرّعت في الحكم وآثرت مجرد الميل على الوصول الى الحقيقة. ولكنني كلما اطلت التفكير وجدت ان اختياري لم يكن عبثاً واني اذا كنت قد اغفلت روايات فيها مثال حي للنزعة الحديثة فبعدت عن لورنس وادبه واغفلت جيمس جويس وتعميداته

واهملت مارسيل بروس ودقائقه النفسية فاني لم اكن في اختياري غير موفق ولم اكن عن الصواب بعيداً

ربما كنت اجد في لورنس ما يتخذ مثلاً للنزعة الحديثة : في « قوس المطر » وفي « عصا هارون » بل اكثر من ذلك في « الثعبان ذي الريش » ، ففي لورنس نجد نزعات حديثة بادية في اكثر صفحاته — وان مباحثه ودوراته حول اللذة الجسدية وتمجيده لها وحرقة البخور دائماً امام آلهة الحب واللذة نزعة حديثة من نزعات هذا العصر وانه لمن المستطاع ان نقرأ ما شئنا من ادب عصر الملكة فيكتوريا دون ان نجد اثرأ لتلك النزعة ، قد نجد تيارات قليلة دائمة في جميع عصور الادب ولكنها تيارات خفية وربما قيل ان النزعة الواقعية تصف نقائص الناس ومثالبهم وتصور الامور بحيث لا ترحم سرّاً ولا تكتم تفصيلاً ولكن النزعة الواقعية تفعل ذلك ابدأ عن غرض هو تصوير الحياة الواقعية خصب ، فليس في ادب القرن التاسع عشر — فيما عدا الطلائع التي تسبق العصر بزمان مديد — ما يشبه دعوة لورنس وليس لورنس وحده بل البعض من معاصريه ايضاً ، فتمجيد اللذة الجسدية واتخاذها قاعدة للحياة هي نزعة حديثة بلا ريب ولكن ما اخطأ فيه لورنس هو اعتباره ان اللذة الجسدية هي القاعدة الوحيدة للحياة انما نعيش من اجلها او يجب ان نعيش من اجلها ، وانما نموت من اجلها او يجب من اجلها ان نموت. وفي ذلك كان لورنس يعارض أدب العصر السابق له الذي تجرد من اللذة الجسدية او لم يذكرها الا في معرض الذم ولكن لورنس ذهب الى أبعد من ذلك فقد اتخذها ديناً ونصب نفسه لهذا الدين كاهناً ومبشراً وتكلم عن هذا الدين بتعصب الدعاة الاول عن عقيدة ثابتة فيما يبشر به ويدعو اليه وربما كان مبلغ هذا التعصب ومداه ناجماً عن علة نفسية كما يقول البعض ليست هي الاغراق في معرفة اللذة وانما هي الحرمان من معرفة اللذة وربما كان لعلنة نفسية اخرى ولكن مهما يكن الامر فان دعوة لورنس لاقت نجاحاً وصار لدين اللذة مكان معترف به في العالم الادبي الحديث ولكن لحسن الحظ لم يأخذ العالم بمقاييسه فقد قبل التعاليم على أن يضمها الى عقائده الاخرى ، فليست اللذة الجسدية إذن — وهي الطابع الغالب على مؤلفات لورنس — هي ما نريد ان نعتبره نزعة حديثة فقد يكون الاهتمام باللذة الجسدية احدى النزعات ولكننا نبحث عن روح الادب الحديث ونزعته في تياره الاكبر

وفي مارسيل بروس اين نجد النزعة الحديثة ؟ نحن نعلم ان بروس اختط في قصصه خطة تكاد تكون فريدة وعرض لنا صوراً في طريقة غريبة ابتدعها فقد رسم لنا حياة مارسيل وبطل قصته وهو طفل يفكر تفكير البطولة المبعثر وفي منزل سوان ذلك السيد البسيط الذي كان صديقاً لأمير من اكبر الامراء وصور لنا حياة ذلك السيد يتقلب بين الشك والغيرة وصور حب مارسيل لجلبرت وخيبته ثم رغبته في التخلص من شبح هذا الحب ثم تقلبه في شمس الدوقة جرمانت وما يحوطها من جو أرستقراطي يعرفه بروس حق المعرفة وما فيه من ديدان مزخرفة وحشرات مذهبة ووصف

لنا حياة شارليس العجيبة وميوله الزائفة يحمل سرّاً خائفاً مضطرباً مهدم الاعصاب هذا الفن قائم على التحليل الدقيق المسهب الى درجة الاملال وان كان شديد الجاذبية فذلك الفحص المستمر وتقطيع الجسد وما داخل الجسد وخص كل جزء بمنظار — ذلك العزف على وتر واحد وتكرار لغمّة واحدة ، وتلك الصور المتتابعة في اسلوب متصل معقد ان هو الا نزعة حديثة في الادب . ولكن هل هي روح العصر الحديث ؟

ثم جيمس جويس الذي يشبه بروست في طريقته بعض الشيء وان كان يختلف عنه في نواح متعددة ماذا يظهر لنا من عناصر جديدة ؟ انه يروي لنا قصة يوم واحد او اقل من يوم من حياة رجل عادي من اهل دبلن هو المستر بلوم اليهودي الاصل الذي جاوز الاربعين من العمر وهو رجل مرهق بعمله اذ هو منظم اعلانات وبحكم هذا العمل يدخل هذا المتجر وذلك وبحكم هذا العمل يكون مع الناس رفيقاً ولهم مداماً ، ثم يصوّر لنا الكاتب امرأته الحسنة التي تحونه وتتخذ خليلاً بعد خليل وهو حزين لذلك مهموم ولكنه لا يجرؤ على اتخاذ خطوة حاسمة لانه لا يجدي في نفسه من علائم الرجولة ما يساعد على ذلك وزي صورة ستيفن ديدالوس الذي عرفناه في صباه في رواية سابقة لجويس وصف فيها حياة هذا الصبي وهو يتعلم في المدارس ورأينا نموه الذهني والجسدي ، وهو في رواية «عوليس» فتى يستعد لاتمام دراسته في فرنسا وتنتبع في هذه الرواية حركات بلوم في يومه وزاه ينتقل من مكان الى مكان ويقوم بأعمال عدة اكثرها بعيد عن عمله حتى ينصرف الى ستيفن اي حتى يعثر تليماك على عوليس كما في «الاولديسة»

اراد جويس ان يصوّر لنا حياة رجل في اقل من يوم وليلة داخل المدينة ولكنه اراد اكثر من ذلك ان يعكس لنا حياة مدينة عظيمة صاحبة بحسناتها ورذائلها . ثم اراد ابعد من ذلك ان ينقل الصور التي تمر في مخيلة العقل الانساني وهو في غمرات الحباة . وهذا مادعا جويس الى ان يخلق لنفسه اسلوباً جديداً مليئاً بالاستعارات والتشابه والاشارات الى حوادث ماضية وهو اسلوب يصعب تتبعه ولكنه ابتدع ليؤدي الغرض المقصود منه وليس أدل على صحة هذا القول من المقابلة بين اسلوبه في مجموعة القصص المسماة «أهل دبلن» وبين اسلوبه في «عوليس» ثم بين اسلوبه في «حياة الفنان في صباه» واسلوبه كذلك في «عوليس»

ولا ريب في ان تعقد الاسلوب ظاهرة من ظواهر الادب الحديث وهي نتيجة للتعمق في التحليل النفسي ونجد هذه الظاهرة واضحة في كل من بروست وجويس وقد بنيت على فكرة جديدة في فن القصة . فالكتّاب المحللون يزعمون ان القصة كما نراها في الكتاب الذين يسيرون على المبدأ القديم ان هي الا نتيجة الانتخاب والاختيار فالروائي يختار ما يريد ان يقوله عن شخصيات روايته ويكتم ما يريد ان يقول ويصف جوانب منهم ويسكت عن جوانب ويتكلم عن مواقف ويهمل

مواقف فيوفق احياناً ويخطئ احياناً وهو في الحالين ثابت بجزء كبير بل بالجزء الاكبر من الحقيقة يحفيه ، فصور الكاتب في روايته ان هي الا صور مبتورة واذا بدت للقارئ صوراً كاملة ، واذا بدت له في ثوب الحقيقة فانما ذلك نتيجة عمل ذهني كان من الاولى ان لا يحدث وهذه النظرية هي بلا ريب خطوة نحو الطريق الصحيح وبها اخذ الكتاب في الادب الحديث بوجه عام غير ان البعض تطرف فيها والبعض لم يتطرف ونجد عناصر هذا المذهب في لورنس ونجد استعمالاً مستمراً له في جويس وفرجينيا وولف وبروست على اختلاف في كل منهم ونجد تطرفاً في استعماله في رواية كرواية « الحج » لمسز ريتشاردسن التي سجلت فيها حياة بطلة روايتها « مريم هندرسن » فأخرجت عشرة اجزاء من هذه الرواية ولما تبلغ بطلة الرواية سن الاربعين . وقد يكون لنا ان نتساءل هل وفقت مسز ريتشاردسن حقيقة في تسجيل هذه الحياة تسجيلاً دقيقاً وهل يمكن لكاتب مهما أغرق في هذه الطريقة ان يصل الى ان يثبت كل شيء ؟ عقيدتي ان ذلك ليس مستطاعاً

فالاختيار اذن قائم دائماً ومسز ريتشاردسن نفسها لا تستطيع الا ان تكون كغيرها من الروائيين يتبين لنا الآن في وضوح مدى العلاقة بين هذه الطريقة وبين ما يفعله اطباء النفس على طريقة فرويد فالسلوك في الحالين واحد والغرض متشابه : الاطباء يتطلعون الى الوقوف على خفايا نفس العليل فيطرحون عليه في جلساتهم اسئلة عدة يحاولون بها ان يستطلعوا سره الكمين فيقتربون من موضوع هذا السر احياناً ثم يبتعدون بقدر ما يجدون فيه من استعداد الى ان يوفقوا في معرفة سر الداء وسبب العلة والكتاب الحديثون يسجلون الدقائق والتفصيلات باسهاب للوقوف على علة الحوادث

كل هذه النزعات المختلفة تؤثر بلا ريب في سير الادب الحديث ولكنني لم ارد ان ارى فيها ما يدل على الروح الحقيقية للادب فان هذه الروح في خلاصتها هي شيء ابعد من ذلك ، لقد اردت نزعة خفية تتمثل فيها نفسية العصر وهذه النزعة وجدت في القصص الاربعة التي اشترت اليها فقصّة توماس مان عن « الموت في البندقية » هي بلا ريب من خير القصص التي الفت في هذا القرن حتى لتكاد تبلغ حد الكمال وقلمنا نجد لها مثيلاً في روعة الاسلوب على بساطته وموضوعها رحلة رجل مكدود جاوز الستين مدير لمصرف الماني اضنى العمل جسمه وحطّم اعصابه نال الثروة والجاه ولكنه في سبيل ذلك كاد يفقد الحياة فهو يرحل الى البندقية لعل شمس ايطاليا وسماءها يعيدان اليه شيئاً من الصحة التي يلمسها وقد وجد الراحة الجسدية ولكنه وجد تعباً نفسياً فان عاطفة غريبة غير معقولة تولدت فيه هي اهتمامه بفلام في نحو الحادية عشرة من عمره اهتماماً لا يدري هو سببه وازدياد هذا الاهتمام الى ان صار شاغلاً لتفكيره فلا يطيب له شيء غير مراقبة

الغلام مراقبة دائماً ، وانتشرت الكوليرا في اثناء ذلك بمدينة البندقية فأسرع الاجانب الى الرحيل عنها ويزم مع اهل الغلام الرحيل فيذهب الرجل المحطم ليرقب الغلام في سفره ويودعه بآخر نظرة فيجلس على مقعد وعينه لا تتحول عن غلامه الذي لم يتصل به قط ولو بكلمة واحدة ويتحرك القطار فاذا الرجل يرتقي على المقعد ميتاً

لم يخرج توماس مان في وضع هذه القصة عما هو مألوف ولكن فيها الروح الحديثة التي نشير اليها لانني ذلك الحب غير الطبيعي الذي شعر به رجل جاوز الستين لغلام في الحادية عشرة من عمره ، حب لا يمكن ان ينشأ عنه شيء وليس له غاية وانما الذي نعنيه هو تصوير ذلك القلق والاضطراب النفسي الملازم للحياة الحديثة فهذا الرجل كان يريد الراحة في سن يستحق فيها هذه الراحة ويريد ان يخلد الى السكون في وقت يجب فيه السكون ولكنه بدلاً من ذلك لا يجد غير التعب الذي خلقه لنفسه كأن الحياة في ضجتها وصخبها وسرعتها تأتي ان تعرف الراحة فاذا كان العالم قد فقد البساطة وتعدت وسائله المادية فان النفس تأتي الآن تصوير معقدة شأن الحياة المادية فالانسان لا يستطيع ان يحول دون خلق المتاعب والمشاكل لنفسه والادباء الحديثون لا يستطيعون الا ان يصوروا هذه الحيرة وهذا الاضطراب النفسي

أما رواية « المزيقين » لاندريه جيد فهي جديدة في كل شيء سواء في ذلك موضوعها او اسلوبها الفني وهي ليست كالروايات العادية اذ لا نجد لها موضوعاً او نظاماً متتابعاً او فكرة ظاهرة محددة ويعالج المؤلف كثيراً من الموضوعات في الحوار الذي يدور بين اشخاص وأهم شخص في الرواية هو ادوار الروائي الذي يؤلف رواية باسم « المزيقين » ومن ذلك نرى ان المؤلف اما اراد ان يصور نفسه في صورة بطل روايته وزاه يروي لنا حوادث هذا البطل احياناً وأحياناً ينقل مذكراته ، واشخاص الرواية مجردون تجريداً تاماً من الرادع الخلقى ولكنهم يمثلون فكرة اكثر مما يمثلون احياء ومع ذلك نرى هذه الرواية تمثل الحياة العصرية حق التمثيل بصخبها وضجتها ، باضطرابها وحيرتها

واذا رجعنا الى رواية « عالم جديد جري » نجد لونا آخر من الوان الفن الحديث هو الفكاهة المزوجة بالسخرية فقد اراد منا الدس هكسلي ان نرى العالم كما يبدو في المستقبل اذا تطورت الامور تطوراً منطقياً وفاقاً لبعض الآراء التي يقول بها بعض العلماء اليوم ولا ريب في ان هذه الرواية العجيبة بعالمها العجيب ان هي الا نقد لاذع في قالب روائي للزعة المادية التي ينزع اليها العلماء ويتطرف فيها بعضهم وميل بعض هؤلاء العلماء الى الاغراق في الاستنتاج ونسيانهم الواجب الاول في البحث العلمي وهو ان يحتاطوا اشد الاحتياط في ابداء آرائهم وان لا يسموا

برأي الآ بعد ان تثبت لهم صحته بالتجربة العلمية الصحيحة . لقد تمكن العلم من هدم اركان الاوهام وازال دولة الآراء والمعتقدات التي لا تقوم على اساس ونال العلم نصراً كبيراً ولكن كيف كان ذلك ؟ لم يكن العلم لينجح نجاحاً يذكر لو لم يقيم على طرق البحث النزيه المجرد من اية غاية الا الوصول الى الحقيقة او الاقتراب منها فاذا حاد العلم عن هذه الخطوة وأخذ يندفع في طرق الحدس والتخمين فانه لا بدّ فاقد مكانته بين الناس

ففي هذه الرواية كما في سائر روايات الدس هكسلي نزعاً دائمة الى السخرية القاسية المرة ومما يؤخذ عناه دائماً جفاؤه نحو شخصيات رواياته على ان موضوع هذه الرواية بطبيعته مما يلائم الدس هكسلي ويظهر بجلاء جوانب عبقريته

ان الدس هكسلي اتى في هذه الرواية بشخصية فذة هي شخصية الشاب المتوحش الذي نشأ بين القبائل الهمجية يتكلم لغة انجليزية غير لغة الناس الذين نشأوا في « العالم الجديد الجريء » فولدوا في المصانع ودبت فيهم نسمة الحياة نتيجة لتفاعل كيميائي فهو يتكلم لغة تعلمها من كتاب مجهول عثر عليه لشاعر اندر ذكره وعفا اثره لان المدنية التي يصفها هكسلي تأبى الاتصال بالقديم وهذا الشاعر هو وليم شكسبير

في هذه الشخصية نرى اثر الروح الحديثة التي رأيناها في المؤلفات السابقة ، نرى التردد والحيرة القريبة من اليأس على ان الكاتب ابتدع لها سبباً معقولاً وعلّة مقبولة وكيف لا يكون الشاب المتوحش في حيرة من امره وهو يرى كل ما يحوطه عجباً بحيث يصعب عليه فهم الامور كيف تجري وفهم الناس كيف تفكر : ان عالمنا لم يبلغ بعد مبلغ هذه الحياة العجيبة التي وصفها هكسلي في روايته والتي ينتظر ان يصل اليها لو صحت احلام بعض العلماء ولكن عالمنا الآن بما هو فيه جدير بأن يكون موضع الحيرة

وفي رواية « الامواج » لفرجينيا وولف ماذا نرى ؟ هل نرى شيئاً غير هذه الحيرة في فهم الحياة ؟ وغير هذا القلق الذي استولى على النفوس ؟ تصف الرواية حياة اشخاص وتبهمهم وهم اطفال وهم صبية وهم فتيان ثم وهم رجال ثم شيوخ تتلففهم الحياة وتطوح بهم الى هذا الشاطئ أو ذاك كما تفعل الامواج وهم قد يناضلون حيناً ويمانعون ولكن بحر الحياة المترجرج أقوى منهم وأعز سلطاناً

ان هذا الكتاب ان هو الاّ نشيد موسيقي يعزف على آلات عديدة متنوعة الاصوات صاخبة احياناً وهادئة احياناً وقد يكون في آخر لغماته روح الاستسلام ولكنه استسلام الحائر الذي اراد ان يعرف الحقيقة فعجز عن استجلاء السر

الأصداء

حكاية مؤلف وكتاب

كنا خمسة في الحديقة الغناء التي تحيط بفندق «ميناهووس» عند سفح الهرم الكبير ، والوقت وقت الغسق والحديث ينتقل من الأدب الى الفلسفة الى السياسة . وكان احدنا اميركياً طويلاً القامة عريض المنكبين قيل لنا انه روائي مشهور ، يجني من مؤلفاته نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . وكانت ترافقه زوجته ، وهي ربة نحيفة القوام ، في عينيها القصة الذكاء والاحساس المرهف ، ويبدو على وجهها انها من اصل الماني . وكان ثالثنا انكليزياً تقلب في الاعمال الصحفية والادبية في بلادهم حتى استقر أخيراً في منصب الناقد الادبي الاول لجريدة «الترانسكربت» وهو من اكبر المناصب الادبية مقاماً في بلاده . اما الرابع فكان صحافياً مصرياً درس في فرنسا وبريطانيا وحقق لغتي البلادين ، واكب على الفلسفة في السوربون ، ولكن السياسة زجته في معتركها فافتحمه اقتحام فارس مغوار جلسنا نتجاذب اطراف الحديث حول مائدة الشاي . فانتقلنا من حديث الجو والآثار القديمة ، الى حديث نزع السلاح وعصبة الامم واكتساح القومية الجاحمة لمعظم بلدان اوربا . ثم تطرقنا الى سياسات الدول الغربية في الشرق الادنى ، في مصر وسوريا والعراق . وما لبثنا ان سررنا جميعاً بخروجنا من معمعة السياسة الى حلبة الادب ، واذا الحديث يدور ، ونحن لا ندرى على مقام «الحظ» في ميدان التأليف . فذكر بعضنا اسماء نفر من المؤلفين ، ليس لمؤلفاتهم قيمة من الناحية الادبية رغم ما اصابوه من صيت ذائع وثروة طائلة . وذكر البعض الآخر اسماء نفر آخرين من المؤلفين اوفوا على الغاية من إجادة التأليف ولكن مؤلفاتهم لا يقرؤها الا قليل من المثقفين وكان الاميركي صامتاً يصغي ، فاذا هو عند هذا الحد ، قد استوى في مكانه وقال بلهجة القطع «انا لا اصدق ان للحظ اي أثر في نجاح المؤلف»

فعلت الدهشة وجوه الصحب لهذا التصريح الحاسم ، ولحظ هو ذلك ، فاذا التصريح البسيط ، ينقلب خطبة بليغة تدور على الاجتهاد والسعي وشق المرائر وعدم الاعتراف بالخيبة وختمها ، ويده في صدرته كأنه نبوليون التأليف بقوله «ان كلمة الحظ لا توجد الا في معجم الكسالى» فنظر اليه الانكليزي ، نظرة هدوء وطأنينة وقال : لا اظنك تصدق كل ما تقول . فاذا شئت سردت لك عشرات الحوادث كل واحد منها تدحض حكمك المطلق فقلنا معاً : نكتفي بواحدة منها فوقف قليلاً ريثما اشعل لفاقة . ثم قال : اذا شئتم — رويت قصة وقعت وهي غريبة في بابها

الأنها تمثل نصيب « الحظ » في الحياة بوجه خاص ، أكثر من أية قصة تنأى إلى خبرها
نقرأ في هذه الأيام عن قصص أصابت رواجاً عظيماً فطُبعت منها مئات الألوف من النسخ .
وحكايتي تدور على أحداها

كان في لندن دار للنشر تعرف بدار « ريد وروجر » قوامها جون ووجر وابنه وليم ، لأن أسرة
ريد كانت قد انقضت قبل حوادث حكايتنا بنحو عشرين سنة . وكان ووجر وابنه يفتخران
بأنهما لا ينشران من الكتب إلا ما كان في رأيهما من الأدب العالي . على أنهما كان يجعلان أساليب
النشر الحديثة كإعلان مطبوعاتهما ، إعلاناً يشوق أكثر مما يصدق ، وحثّ النقّاد على
افتتاحها^(١) لكي يسير ذكرها في الناس . وكان الأب ووجر لا يستطيع أن يمسك عن طبع كتاب
عجب به ، غير حاسب لرواجه حساباً . وكان علاوة على ذلك يدهش ويتعامل من نوع الكتب التي
تخرجها المطابع ويكثر إقبال الجمهور عليها . وكانت هذه الدار قد أصابت مكانة في ميدان النشر
ونجاحاً مالياً . فاصبحت في العقد الأول من القرن العشرين ولا قبل لها بمجاراة بيوت النشر
الجديدة فقلّ عليها الإقبال ، وهدهدا الأفلاس . فعرض على صاحبها رجل يدعى بجنت — هذا اسم
مستعار له — أن يشتري الدار محتفظاً باسمها ، وبالشاب وليم ووجر وكيلاً له وقارئاً^(٢)
وما كاد بجنت يتسلم مقاليد الأمور ، حتى نقل الدار من شارع زري إلى شارع نخم ، وأخذ
ينشر من الروايات ما يقبل عليه الجمهور ، وكان ذا قدرة عجيبة على تبين تيارات الرأي الأدبي العام ،
من دون أن يفهم أو يقيم للأدب وزناً صحيحاً . وساعده في عمله ، صيت الدار التي اشتراها ، فاقبلت
الدنيا عليه أيما إقبال

وبقي ووجر الأب متصلاً اتصالاً اسمياً بالدار إلى أن أدركته الوفاة . وكان ابنه وليم وكيلاً
لاحقاً له في الإدارة ، وقارئاً لا يقام لآرائه وزن ما . ذلك أن بجنت كان يخشى أن يعتمد على آراء
الفتى الأدبية ، خشية أن يقتفي خطوات والده وينصرف عن الخطة الجديدة التي رسمها
وفي سنة ١٩١٠ ذهب بجنت إلى نيويورك ، وبقي وليم في منصب المدير ، خلال غيبته
وفي أحد الأيام إذ كان جالساً في مكتبه ، دخل عليه شاب أصفر الوجه غار العينين أقرى الأنف
يتأبط أصول كتاب ، فارتقى على كرسي هناك وقذف بأصول الكتاب على المائدة

قال : أنني لا أستطيع أن أؤمن نفسي بفخر قبولك هذا الكتاب فهو رواية لا تشبه الروايات
السيارة ولا تعالج موضوعاً يستفز الشعور الضعيف بل تدور على فكرة قلما يشار إليها في المجتمعات
الراقية . وقد شرفني كل ناشر في لندن برفضها على أني أرغب في إطلاعك عليها أن لم يكن لديك مانع
وتبين وليم في الشاب شيئاً غامضاً استرعى نظره ورأى وما كذبه فؤاده أن هذا الجفاء

(١) الافتتاح مدح شيء وذمه أي المحاسن والاضداد

(٢) القارئ في دور النشر الأعجمية رجل يقرأ أصول الروايات التي تعرض للنشر قبل قبولها أو رفضها

وهذا الاستخفاف كانا حجاباً لنفسٍ دقيقة الحسّ . واحسّ بدافع قوي يدفعه الى الظهور بمظهر الصداقة لهذا الشاب غائر العينين . فجعلنا يتحدثان . وكلما تقدم الحديث زال الجفاء في كلام الروائي . ثم ما لبث ان صارح الناشر ، بأنه لا يملك شروى فقير ، وان روايته « الاصداء » . — وهذا ليس اسمها الحقيقي — كانت منطامه الاخير . ثم قال ثق ان الرواية ممتازة . فقد بذلت فيها نفسي . واني لوانق من جودتها ، ثقة الملاح بيت الابرّة (البوصلة) . ولكنني لا أمل في الحصول على مبلغ كبير لقاء نشرها . فليس فيها مواربة ولا نفاق . بل انها ترسم الحياة كما هي ، لا كما ندعيها او نتظاهر بها . وانك لتتقليدني منة اذا قرأتها ، واسرعت في ردك عليّ فوعد ولیم بالشروع في قراءتها حالا

قال : ليس لديّ ما يشغلني الآن . فاذا جئت غداً بعيد الظهر فقد استطيع ان افضي اليك بقراري في شأنها

وكان شيئاً في الفتى الروائي اثار كوامن النفس في ولیم الاديب ، فسرعان ان اقبل على الرواية يقرأها . ولم يكذب يقرأ بضعة صفحات حتى ادرك بميزان ادبه الحسّاس انه قد فاز ببلقية . فلما انجز قراءتها في المزيغ الاخير من الليل ، اقتنع بأنه قد عثر على آية من الآيات . كان اسلوبها قوياً متزناً المعيناً ، وكانت من سطرها الاول الى الاخير ، تنبض نبضاً شعرياً متدفقاً من نفس سداها الاخلاص ولحمتها دقة الاحساس . ولكنها من حيث النشر كانت لا تتفق هي وسبيل ذاك العهد . لانها تعالج موضوعات نفسية بعيدة عن نفوس الجماهير ، بعد مبادئ النسبية او الراديو حينئذ عن افهامهم . كان الجمهور لا يزال متأثراً بتعاليم العصر الفكتوري . وقلّ منهم من سمع باسم فرويد والتحليل النفسي . وكانت الحياة تميل الى النزعة الخيالية ، لان الحرب ، التي غيرت النظم الاجتماعية وازاحت لثام الاوهام الشعرية عن حقائق الحياة ، كانت ما تزال في طيات الغيب . ولو نشرت رواية « الاصداء » في سنة ١٩١٠ لاستقبلت استقبال فتاة تسير حينئذ في شوارع لندن بمجموعة الشعر قصيرة الحلة الى حد الركبتين وفي فمها لفافة من التبغ

احسّ ولیم عند ما اتمّ قراءة الرواية ، انه قلب في القفر صخوراً فعثر بماسة . ثم تذكر رئيسه بجث نخباً ذلك البريق في عينيه . اقبل بجث ان ينشر الرواية ؟ امحرو ؟ هو على المغامرة بقبولها للنشر ؟ ولو كانت المسألة رهن قراره لما تردد . ولكنه ادرك ان بجث لن يقبلها . وبجث عائد من اميركا بعد بضعة اسابيع . وكان ولیم لا يزال متحيراً في ما يفعل ، لما دخل عليه دان كارتر — لندل على المؤلف بهذا الاسم — فلما اقبل عليه ، احسّ ولیم ، برابطة عطف خفية تربطه بهذا الفتى ، فأعرب عن إعجابه العظيم بروايته العجيبة ، ثم بسط له الحالة كما هي ، والبواعث التي تحول دون اتخاذه قراراً حاسماً في موضوعها . وختم بقوله : اذا اردت ان تصبر حتى يعود المستر بجث من نيويورك ، فقد استطيع ان أقنعه . ولكنني لا اريد ان يؤخذ قولي هذا على انه تعهّد ب.....

فعبس وجه الفتى بعدما استبشر عندما اعرب له ولیم عن اعجابه بروايته وقال :
لما كنت قد صارحتني بموقفك اودُّ ان اصارحك انا كذلك بحالتي . فاني لست املك فلسفاً
واحداً . ولا استطيع بوجه من الوجوه ان اصبر بضعة اسابيع . بل لا استطيع ان اصبر بضعة ايام .
لم اتناول بعد مقابلتك امس الا فنجاناً من القهوة ، ولا اتذكر آخر مرة اكلت فيها حتى الشبيع .
وضحك ضحكة استهتاراً ردّ صداها في الغرفة ثم قال : وارجو ألاّ تحسب انني احاول التأثير في
مشاعرك بقولي هذا . انما ابسط لك لماذا لا استطيع الصبر بضعة اسابيع . وما يزال امامي دار
او داران للنشر !

انقبضت نفس ولیم ، وامتدت يده الى جيبه من تلقاء نفسها وهو يقول « اذا سمحت بقرض
صغير . . . » ولكن الفتى قاطعه مخاطباً : انني لا استعطي . انا لا اطلب احساناً . ثم ضرب بقبضة
يده على اصول الكتاب وقال أنظني مغفلاً لا ادرك قيمة كتابي ؟ ان في هذا الكتاب ثروة
لمن يجرؤ على نشره

فقال ولیم : ولكنني بسطت لك عذري . ولو ان كتابك كان رواية عادية لكان
فوقف الفتى ، وتابط اصول كتابه وانجه الى الباب قائلاً : « انكم معشر الناشرين تثيرون غضيبي
وشفتي في أن . أنتم اناس لا تملكون ذرة من الخيال . اعرض عليكم كتاباً ذا قيمة خاصة ، ولكنه
يختلف عن الروايات العادية التي تنشرونها ، فلا تجرؤون على نشره ! انكم لأجبن من الارانب »
وما كاد يصل الى الباب حتى استوقفه ولیم قائلاً :
« قِفْ . أقبل ان اخاطر حتى ولو طردت لاجلها . انني اؤمن بهذا الكتاب . انا اعلم انه
آية من الآيات . ولا استطيع ان افراط فيها »

فالتفت اليه دان كارت وهو لا يكاد يصدق . وكأن ولیم كان يناجي نفسه . . . لا بد من المغامرة
وقد تصيب هذه الرواية نجاحاً عظيماً . . . ثم جلسا يتحدثان في شروط الاتفاق . عندئذ انبأ المؤلف
صاحبه ان اسمه الحقيقي ليو فرجوسن . فلما عرض عليه نصيباً من الربح يوزع بعد طبع الكتاب
وبيعه فرغ صبره وقال : « الم اقل لك انني احتاج الى المبلغ نقداً . ألاّ تستطيع ان تدفع ثمن
الرواية فوراً » . وبعد تردد كثير عرض ولیم على فرجوسن خمسين جنيهاً ثمناً مطلقاً للرواية وحقوق
طبعها جميعاً . وقال انا اعلم ان المبلغ يسير ولكنني لا اجرؤ ان اعرض عليك مبلغاً اكبر من هذا
فقال فرجوسن « ولو كنت مكاني لادركت ان مبلغ الخمسين جنيهاً هبة سمية »

وكذلك تناول ولیم دفتر التحويلات المالية وشرع يكتب التحويل بعد توقيع العقد الذي نقلت بموجبه
جميع الحقوق في رواية « الاصدقاء » من مؤلفها الى دار « ريد وروجر » بلا قيد ولا شرط
وما كاد المؤلف يخرج حتى استسلم ولیم اللهم . فآناً يحسب نفسه رجلاً احمق لانه غامر هذه
المغامرة وأنا آخر يهنيء نفسه لانه كشف عن آية من آيات الفن الروائي فيدركه الخجل للمبلغ اليسير

الذي بذله في ابتياعها . ولكنه كان يطمئن نفسه بأنه اذا نشر الكتاب وأصاب رواجاً فإنه يكون مقدمة لبلوغ المؤلف ما يتمنى في عالم الادب

وكذلك لبث ولیم، والآراء تتنازع، ينتظر عودة بجت من نيويورك . ولما عاد هذا حاملاً في جعبته الروايات مضمونة الرواج، وقرأ « الاصداء » تحققت مخاوف ولیم . فان بجت ارغى وأزبد ورمى بأصول الكتاب ، جاحظ العينين منتفخ الاوداج ، محمراً ولیم بما نثره عليه من صفات الحق والتهور . وولیم صابر يتوقع سيكون العاصفة يحاول هنا وهناك ان يقول كلمة دفاعاً عن الرواية ومؤلفها . فلما عرض بجت بوالد ولیم جن جنون الشاب وأخذ قبعته وعصاه ومضى

هنا توقف الانكليزي هنيئة عن سرد قصته ، وحدق في الفضاء البنفسجي يحيط بالهرم الكبير بعيد الغروب ثم انتبه الى ان الصحب ينتظر نهاية القصة فرمى بعقب لفافته واستأنف حديثه فقال : كان ذلك سنة ١٩١٠ وانقضت اثنتا عشرة سنة ظلت فيها رواية « الاصداء » مطوية في قسطنطينية يكسوها الغبار . واستحالت نفسية الجماهير في بريطانيا في خلال هذه السنين . كانت السنوات الاربع الاولى منها سنوات رخاء واقبال وسلام ، وكان الناس في خلالها يأبون كل حافز للتفكير ، ويعرضون عن كل من يقول حقيقة تمزق عن عيونهم ذلك الغشاء الوردي . ثم تلتها سنوات الحرب ، وهي سنوات حافلة بالآلام والفظائع والعنف ، فتمزق الحجاب عن كل عمل مصطنع ، او شعور مقلد ، وتعدت نفوس البرايا امام شبح الحرب . وجاءت بعدها اربع سنوات من الفوضى ، فانقلبت النظم الاجتماعية وتغيرت الآراء والآداب ، وقام جيل من الناس لا صبر له على المغالطة والمواربة يريد الحقيقة غير مقنعة ويرفض ان يسير في طريق الحياة وعلى ابصاره غشاوة وكان أثر هذا الانقلاب في ادب الرواية عظيماً فبارت الروايات التي كانت رائجة قبل الحرب ونشأت طائفة جديدة من الكتاب تعالج شؤون الحياة معالجة صريحة ، وكان بجت كما قلت رجلاً يعرف مهاب الرياح في ميدان النشر ، فكان ينشر الكتب التي تشغل موضوعاتها اذهان الناس ، سواء أكانت علماء ام تاريخاً ام سياسة ام ادباً على آخر طراز . وكذلك لما اقبلت سنة ١٩٢٢ كانت داره في مقدمة دور النشر في لندن

ووقعت جنابة ما اروعها في لندن حينئذ . ذلك ان سيدة جميلة من كرائم البيوت اغرت رجلاً بقتل زوجها ، لكي تستطيع ان تفر مع عشيق لها ، في عروقه آثار واضحة من دماء الزنوج . وكانت محاکمتها من اشهر المحاکات الغرامية في العصر الحديث . رسائل الغرام التي تليت في المحكمة ، والحوادث الغريبة التي كشف اللثام عنها ، والعوامل النفسانية التي حلت وبسطت على مسمع من الناس ، ثم نشرت جميع تفصيلاتها في بعض الصحف ، كل ذلك كان توطئة لا عظم نجاح ادبي احرزته رواية بعد الحرب

كانت شفتا الانكليزي وهو يقول هذه الكلمات تنقبض ثم تنبسط . وكانت غنة صوته تتقلب

تقلبا يسترعي الانتباه ، كأنه كان ينبش من قلبه ذكريات طال عليها الامد ثم قال : —
وطالما فكّرت كيف خطر على بال بحجت ، ذكر تلك الرواية المنسية ، المطوية في قطر قديم
تعلوها طبقة من الغبار ، وانني لاستطيع ان اتصوره ، وقد خطرت بباليه ، كيف راح يفتح
القطاير ويقفلها ، باحثا عن اصول الرواية التي اشترتها داره رغما عنه بمخمسين جنيتها قبل اثنتي
عشرة سنة . بل استطيع ان اتصوره وقد عثر بالاصول وجلس يقرأها ، واجدا فيها من تحليل
النفوس ما يشبه كل الشبه ، العجائب التي اسفرت عنها المحاكمة في تلك الجريمة . عند ذلك لا بد
ان يكون قد قفز فرحا لان هذا الكتاب ملكه الخاص بلا قيد او شرط . فأسرع في طبع الرواية .
وكانت النتيجة فوق ما توقع . ذلك ان موجة الاقبال عليها ، ظلت ترتفع اسبوعا بعد اسبوع حتى
اصبح الطابعون عاجزين عن مجاراة ما يطلمه الجمهور منها . وكانت مثارا لمناقشة حادة بين النقّاد على
صفحات الجرائد ورجعت الى عشرات اللغات . ثم حولت الى رواية مسرحية ومثلت على شريط سيمي
ولما اراد بحجت ان يخرج روايات اخرى من قلم هذا المؤلف بحث عنه فلم يجده . فظن ان
الرجل لا بد ان يرى كتابه ، وقد حاز هذا الاقبال فيجيء من تلقاء نفسه طالبا نصيبا من الربح .
ولكن المؤلف لم يقبل . فبحث عن اسمه الحقيقي ، فعثر عليه بعد تفتيش دقيق على كعب التحويل
الذي اعطيه قبل اثنتي عشرة سنة فاذا هو « ليو فرجوسن » . فذهب الى مكتب من الحواسيس
وطلب اليهم ان يحثوا له عن هذا الرجل

هنا توقف الانكليزي عن الحديث . وكلنا شوق الى معرفة النتيجة . فقلنا معا ! وهل وحده !
قال : الجواب بالاجاب والنفي معا . بعد انقضاء بضعة اسابيع ابان مكتب الجواسيس صاحبنا
بحجت ان رجلا يدعى ليو فرجوسن توفي قبل تسعة اشهر في ملجأ من ملاجئ المعوزين ، وكان
سبب موته داء السل وقد ثقل الجوع وطأته

وتوقف ثانية والتفت الى صديقنا الاميركي ، وقال : ماذا تقول في هذه الحادثة ، عن علاقة
الجدارة بالنجاح . الرجل الذي وضع اروج كتاب عرف بعد الحرب ، مات في ملجأ . والرجل الآخر
الذي عرف قيمة الكتاب طرد من عمله . والرجل ... بحجت ... اترى منه . كيف تعلق كل هذا ؟
فتململ الاميركي في كرسيه ورفع يديه ، يشير بهما اشارة مبهمه ، وقال مترددا « و..ول..ولكن..
كيف تعلم ان الرجل الذي مات مسلولا في الملجأ كان مؤلف الاصداء »

فهز الانكليزي كتفيه وقال اولاً لان الاسم « ليو فرجوسن » ليس اسماً مألوفاً ، ثم انه وجدت
صورة في مخلفات الرجل الذي مات في الملجأ ، وانني لاستطيع ان اعرف تينك العينين أين رأيتهما
فقلنا جميعاً انت . . . انت . . . ؟

فقال . . . نعم . لقد اتفق اني كنت في هذه الحادثة . . . احد ابطالها الثلاثة — وليم !

الطب المصري القديم

معارفهم الطبية ووصفاتهم وأمراضهم

للكنوز حسن كمال

﴿تمهيد﴾ كان الاعتقاد السائد بين نفر كبير من الاثريين الى عهد قريب ان الطب المصري القديم اكثر اتصالاً بالسحر منه بالعلم . لان الادراج البردية الخمسة او الستة التي كانت معروفة الى ذلك العهد لم تحو الكثير من العقاقير الهامة (وان كان بعضها لا يزال مستعملاً الى الآن في كثير من الامراض) ولكنها حافلة بالتعازيم والدعوات التي كانت تتلى على المرضى وقت تعاطي الدواء . وهذا القول قريب من الحقيقة الى حد ما . خصوصاً اذا لاحظنا ان بعض الوصفات كانت تعازيم سحرية او دعوات قدسية . وفي درج منها لم يهتم الكاتب بذكر مقادير العقاقير اللازمة للعلاج مع اهتمامه بذكر الدواء الخاص للحالة . ثم اننا اذا فحصنا محتويات كل درج على حدة وجدنا انها لم ترتب بعناية تامة . كذلك العقاقير المذكورة في الوصفات كانت تختار احياناً من مواد ذات فعل سحري مثل لبن امرأة حملت ذكراً او مواد غاية في القذارة على اعتبار ان اقدر العقاقير انجحها مثل براز الذباب او دم الفأر هذا باختصار كان رأي معظم الاثريين الى عهد قريب . لكننا كلما تعمقنا في الموضوع وزدنا به خصباً وتمحيصاً اتضح لنا ان علم الطب كان منتشرراً في القطر بانتظام وعناية . وان وصفاته المذكورة تحوي آلاف من اسماء النباتات والعقاقير المجهولة المعنى . وان البعض من العقاقير المعروفة قد ثبت فعله وعم استعماله وأوضحى الآن بين العقاقير التي نصفها في تذاكرنا الطبية اليومية لمرضاينا . ثم ان الباحث النزيه في الادراج البردية المذكورة يجد فيها بيانات هي في الحقيقة اساس الطب الحديث . فالقلب فيها معتبر مركز الاوعية . وهذه موصوفة بأنها منتشرة في سائر اجزاء الجسم . وان نبضها دليل عليها لان النبض هو « كلام القلب الداخلي » . هذا التعريف كافٍ لان يظهر انه كان لدى اسلافنا فكرة عن دورة دموية وان كانت غير تامة وعن ماهية النبض وعلاقته بضربات القلب لان وصفه بأنه « كلام القلب الداخلي » دليل قاطع على اتصاله بحركات العضلة القلبية . لكننا بجانب ذلك نجدهم يظنون احياناً ان هذه الاوعية تحمل دماً او ماءً او مواد اخرى . وهذه الظنون توارثها الخلف مدى الدهور من شرقيين وغربيين حتى ظهرت مبادئ الطب الحديث . ويأبى التاريخ المصري الا ان يكون منال العجب . وتأبى المدنية المصرية الا ان تكون انموذج العبر . لذلك نجد انهم

في الوقت الذي نراهم يتكلمون عن وجود مياه ومواد أخرى بالاعوية يفسرون بعض الامراض بأسباب اقل ما يقال عنها انها مطابقة لحدث الآراء عندنا . فانهم يقولون ان كثيراً من العلل ناجم من مرض الاعوية وعدم قيامها بوظائفها الطبيعية . وان العلاج حينذاك يجب ان يوجه الى تبريد الاعوية او تسكينها او تجديدها او إبطاء دورتها بالعقاقير الخاصة . وهذا من العجب العجيب

هكذا كان موقف العلماء الاثريين من الطب المصري القديم الى عهد قريب . لكن حدث منذ عشر سنوات تقريباً ان اكتشف درج بردي يعرف باسم صاحبه (ادوين سميث) أنار الظلام الحالك الذي كان مخيماً على هذا الموضوع . ورفع منزلة الطب المصري القديم الى ذروة المجد والفخار . فتغيرت به آراء الباحثين . وانزوى من اجله كل منتقد وراء الستار . وخرس كل همّاز مشاء بنميم . وظهر وقتئذ ان الادراج البردية السابقة هي في الحقيقة ادراج كانت تتداولها العامة وانها مزيج من الرأي العلمي والجهل العامي . اما قرطاس (ادوين سميث) المذكور فوجد انه مثال الكتاب الطبي من حيث ترتيب مواده التي تبدأ بأمراض الرأس أولاً ثم اعضاء الجسم التي تليه حتى القدمين ، واحتواؤه ايضاً على كثير من اصول الجراحة وبالاخص جراحة العظام والاجزاء السطحية . اما شرح حالاته فعلى غاية من الدقة والنظام . فكتبه يبدأ بذكر اسم الداء ثم طريقة فحصه ثم تشخيصه ثم علاجه وانذاره . وهو الاسلوب الذي يدرس الآن في كلياتنا الحديثة . وكثيراً ما يذكر الكاتب اسفل كل حالة ملاحظات تفسيرية تظهر مهارة عجيبة في معرفة المرض وطريقة فحصه والسبب الذي احدثه . واغرب من هذا وذاك ان الاساتذة الذين راعهم هذا المستوى الطبي العالي في هذا الدرج استرعت نظرهم عبارة واردة في ظهره خاصة بطريقة ارجاع الشيخ الى صباه (١) . فقال بعضهم هذا دليل قاطع على مزج الطب بالشعوذة . لكن هل محاولة الرجوع الى الشباب ضرب من الشعوذة . ان ابحات الاستاذ فرنوف كفيلاً بالاجابة على هذه التخرصات . والغريب ان معظم المعلومات الطبية يرجع تاريخها الى عهد الاهرام (٢٦٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م .) ذلك العصر الذي ابتكر تشييد المباني بالحجار وابتدع الهندسة الفراغية وهندسة الانهر والحساب والقانون والسياسة والفنون الجميلة وغير ذلك . ان الامام بهذا الموضوع في فصل واحد أصراً محال . محال لكثرة مباحثه وغزارة مادته . لكنني سأجهد ما امكن في ايضاح هيكله . ليمكن القارئ من تكوين فكرة عامة عنه لان البحث في الطب الفرعوني يتطلب اولاً دراسة الكتب المصرية القديمة البردية المسماة ادراجاً او قرطاس . ثانياً البحث فيما وصلت اليه معارفهم في فن التحنيط خاصاً باجزاء جسم الانسان . ثالثاً البحث في الآثار من تماثيل ونقوش وموميات مما له علاقة بالامراض وطرق العلاج والجراحة . هذه باختصار النواحي الثلاثة المهمة التي اريد ان اعرض لها الآن

(١) الغرض من هذه الوصفة هو ازالة التجمدات الجلدية وتغيرات كبر السن بالوجه . وتتلخص في اغلاء نبات يقال له هابت مجهول النوع عدة دفعات ثم دهن الوجه بالعجين الناتج من هذا الاغلاء . وهذا النبات قريب في فعله من « حسن يوسف » الذي لا يزال مستعملاً عند العامة للآن لنفس الغرض

❖ القسم الاول ❖

١ - ❖ الكتب الطبية القديمة او الادراج او القراطيس ❖ قرطاس ايبرس . هو أضخم هذه الكتب . عثر عليه بمقبرة الاقصر مع قرطاس ادوين سميث عام ١٨٦٢ م . واشتراه الاثري الالماني ايبرس حينذاك . وهو الآن محفوظ بمتحف ليزنج بألمانيا وفي حالة جيدة جداً . وعلى ظهر هذا القرطاس دوّنت تواريخ هامة ساعدتنا كثيراً على معرفة عدة ازمنة مجهولة . والمعروف ان هذا القرطاس دوّن حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . لكن لغته واعتبارات اخرى فيه تدل على انه منسوخ من كتب اخرى اقدم منه بقرون عديدة . خذ مثلاً ما ورد في احدى عباراته من انها مأخوذة من وصفة من الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق . م .) وفي اخرى انها من زمن احدى ملكات الاسرة السادسة . لكن ذلك لا يعني ان نأخذه قضية مسلمة . لان المصريين كانوا كثيراً ما ينسبون معلوماتهم الى اجدادهم اعلاءً لشأنها وزيادة في فائدتها . لذلك نجدوننا لا نعتمد كثيراً على مثل هذه العبارات بل على نوع الخط والقواعد النحوية واساليب التعبير مما يتغير بالتدريج مع الزمن . وعلى ذلك فلا يبعد ان يرجع تاريخ الكتب التي نسخ منها كتاب ايبرس الى الاسرة الثانية عشرة او الثالثة عشرة (حوالي القرن العشرين ق . م .) . ولو ان به بعض عبارات من المحتمل ارجاعها الى عهد اقدم من هذا بكثير

وكتاب ايبرس يحوي وصفات عديدة لأمراض كثيرة متباينة . وكل وصفة مكوّنة من عدة جواهر . وامام كل جوهر مقداره اللازم . وآخر كل وصفة طريقة تعاطي الدواء . وهناك اجزاء لا تشمل العلاج فقط بل اعراض المرض وطريقة تشخيصه . وقد تضاف الى ذلك ايضاً بعض عبارات ايضاحية . ولا يسع الباحث في هذا القرطاس الا ان يستنتج بأنه مجموعة كتب صغيرة بعضها طبي والبعض الآخر روحاني . وكتابة هذا القرطاس في شكل أعمدة أشبه بجرائدنا اليومية . ويبلغ عددها المائة وعشرة أعمدة . وعدد وصفاته ٨٧٧ وصفة

٢ - ❖ قرطاس هيرست ❖ اكتشف عام ١٨٩٩ بدير البلاص بالصعيد . وفي عام ١٩٠١ اشتراه الدكتور ريزنر الاثري واهداه الى جامعة كاليفورنيا بأمريكا . ووائل هذا الكتاب قد تلفت نوعاً . والباقي في حالة جيدة جداً . وهو يحوي خمسة عشر عموداً من النصوص الطبية . ويرجع تاريخه الى حوالي ١٥٠٠ ق . م . وفيه شبه كبير بقرطاس ايبرس السابق . حتى ان بعض عباراته مطابقة في كليتها وجزئياتها لبعض عبارات قرطاس ايبرس . ويبلغ عدد وصفاته ٢٦٠ وصفة

٣ - ❖ قرطاس برلين الطبي ❖ احدث عهداً من القرطاسين السابقين . لكنه يحوي عبارات قديمة العهد . وعباراته مكتوبة باهمال ومحشوة بالاططاء . وتحوي ٢٤٠ وصفة . بما في ذلك العبارة المذكورة على ظهره الخاصة بمعرفة العقم ونوع الجنين في الرحم . وكان العثور عليه في القرن التاسع عشر

بواسطة بسالا كما بمقبرة في سقارة يرجع تاريخها الى عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق.م.)
٤- ﴿قرطاس كاهون الطبي﴾ اكتشفه السير فلندرز بيري عام ١٨٨٩ اثناء القيام بحفائره في
جهة الفيوم. وهو اقدم من القرطاس المذكورة اعلاه. ويرجع تاريخه الى عهد الاسرة الثانية عشرة
(٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م.). وهو ممزق. لكن نصوصه واضحة. وهي خاصة بفن الولادة وامراض
النساء. وتحتوي ٣٤ وصفة

٥- ﴿قرطاس لندن الطبي﴾ اُغلبه روحاني ويرجع الى زمن الاسرة التاسعة عشرة
(١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق.م.) ولو ان عباراته اقدم بكثير من ذلك. وهو محفوظ في متحف لندن
تحت رقم ١٠٠٥٩

٦ و ٧- ﴿قرطاسا متحف ليدن وتورين﴾ هما قرطاسان طيبان روحانيان يحويان قليلاً
من الوصفات الطبية

٨- ﴿قرطاس (ادوين سميث) الطبي﴾ هو اهمها كان العثور عليه بمقبرة بالاقصر عام
١٨٦٢ م. وفي تلك المدة اشتراه المستر (ادوين سميث) وقد اعتراه بعض التلف وفقدت بعض
نصوصه. لكنه اهتمدى اليها واشتراها بعد ذلك على دفعتين. ثم توفي وانتقل القرطاس بعد ذلك
الى ابنته (ليونورا سميث) التي اهدته الى الجمعية التاريخية بنيويورك. ويبلغ طول القرطاس الآن
٤٦٦٨ متراً. انما يظن انه كان يبلغ خمسة امتار طولاً. ويتراوح عرضه بين $\frac{1}{3}$ ٣٢ و ٣٣ سنتيمتراً
وهو يقرب من عرض القرطاس القديمة التي يرجع تاريخها الى ما بين المملكة الوسطى (٢١٠٠ -
١٧٠٠ ق.م.) وعهد الامبراطورية (١٥٥٥ - ٧١٢ ق.م.) وفي هذا القرطاس اثنا عشر لوحة
متعاقبة وتحتوي ٢٢ عموداً من النصوص المصرية القديمة منها ١٧ رأسية و ٥ أفقية. ويظن ان هذه
النصوص المصرية القديمة كتبها عدة اشخاص لاختلاف واضح في الخط

وبمقارنة الخطوط المصرية القديمة التي في هذا القرطاس بالخطوط المستعملة ايام ملوك الرعاة
لوحظت بينهما مشابة كبيرة. وعليه فلا يبعد ان تاريخ هذا القرطاس يرجع الى القرن السابع عشر
قبل الميلاد. ويلاحظ ايضاً ان كاتب هذا القرطاس كان يجيد الخط لكنه لم يكن طبيباً. وانه ترك
بعض الاحرف بدون ذكرها. وراجع كتابته وصححها بالمداد الاحمر فوق الاسود وبالمداد الاسود
فوق الاحمر. وتشتمل السبعة عشر اعمدة الرأسية على شرح ٤٨ حالة مرضية لم يذكر لها شيء من
الادوية. وهذه الحالات تبدأ بالرأس وتنتهي بالقدمين وهي موصوفة وصفاً دقيقاً كما يشاهد ذلك
في الحالة المرقوم لها بالرقم ١٨ وتعريبها :-

تعريف عن جرح عظمة الوجه zygo

الفحص اذا فُحصت مريضاً بجرح غير مشقوق (اي وخزي) واصل الى العظم أدخل المسبر فيه
فان وجدت عظمة الوجه سليمة شخص الحالة بانها جرح فوق عظمة الوجه وهي حالة قابلة للعلاج

العلاج : ضع على الجرح لهماً صابحاً في اليوم الاول . بعد ذلك ضع عليه زيتاً وعسلاً يومياً الى ان يتحسن

ملاحظة : اذا كان الجرح غير متسع الفتحة وواصل الى العظم فهو جرح صغير واصل للعظم ليس فيه شق بل هو ضيق ولا توجد شفتان له (وهذا ينتهي الدقة في وصف الجرح الخزي) اما من خصوص مكان الوجه المصاب فهو الموضع الكائن بين تجويف العين وفتحة الاذن خلف الفك وعلى هذا المثال وردت في القرطاس احوال كثيرة من الامراض . وقد ذكر الكاتب المصري ان بعض الحالات عسرة العلاج . وهذه ملاحظة جديدة لم تستعمل سابقاً في الادراج الطبية . ويبلغ عدد الامراض التي يعرف علاجها وقتئذ اربعة عشر مرضاً . وبذلك امتاز قرطاس ادوين سميت عن غيره بشرح الحالات الممكن علاجها والعسرة الشفاء . وصرف النظر عن ذكر الوصفات الكثيرة التي تشاهد في باقي القراطيس الطبية

وتشاهد في هذا القرطاس ملاحظات كثيرة واردة بعد شرح كل حالة . بخلاف ما هو متبع في القراطيس الطبية الاخرى . وهذه الملاحظات تظهر لنا ما وصل اليه اطباء المصريين من علم التشريح فتزيد معلوماتنا الحالية في هذا الموضوع . وورد في هذا القرطاس عدة كلمات طبية لم يرد ذكرها في عبارات القراطيس الاخرى من ذلك لفظ (جما) الذي ظهر من الوصف انه يعني عظمة الوجه zygoma وكذلك كلمة (امعت) التي وصفها الكاتب بانها تعني الجزء الخلفي للفك السفلي (وهو المعروف باسم Ramus) وقد شبهه الطبيب القديم بمخلب الطائر . ولا يزال التشبيه مستعملاً عندنا في احوال طبية متباينة مثل لسان التوت Raspberry tongue ولسان الشليك Strawberry tongue والورم الشبيه بالكمثرى Pyriform tumour . وورد في الحالة المرقومة بالرقم ٨ ان الطبيب كان يميز في احوال جروح الجمجمة بين كسور العظام وتلف الانسجة التي فوقها

ومما يدل على مهارة الطبيب تحريه للوقوف على سبب المرض حيث اورد لنا ما تعريبه : « آخر حالة من امراض العمود الفقري بالعنق هي اصابته بمرض (سحج) وفيه يفقد المريض سمعه وكلامه ويصاب بشلل بذراعيه ورجليه . ويقول الطبيب حينذاك ان الحالة خطيرة . وان الاصابة عبارة عن تدخل احدى حلقات العمود الفقري في حلقة اخرى نتيجة سقوط المصاب على رأسه من اعلى الى اسفل . وان ذلك يمنع من رفع رأسه وحمل ثقلها على عنقه » ومنه يتضح ان المقصود بمرض (سحج) هو تدخل حلقات العمود الفقري بعضها في بعض . (حالة رقم ٣٣ بالقرطاس)

القسم الثاني

الى هنا انتهى ما اردنا ايراده عن القراطيس الطبية الهامة . وسنبحث الآن في المعلومات التي اكتسبها قدماء المصريين من مزاوله فن التحنيط آلاف السنين العديدة . فنقول ان الاجراءات الكثيرة التي اتبعها قدماء المصريين في التحنيط هيأت لهم الوسائل لمعرفة احشاء الجسم الداخلية من حيث شكلها ونوعها وعلاقتها بعضها ببعض مما لم يتيسر لاي عنصر بشري آخر . وبديهي ان التحنيط له تأثير كبير على تاريخ الطب لانه عود اذهان الشعب على احتمال قطع الجثث الميتة واخراج احشائها وذلك لمدة طويلة من الزمن تُربّي على العشرين قرناً . وهكذا تمكن اطباء اليونان في عهد البطالسة ان يشرحوا الجثث تشريحاً علمياً في الوقت الذي كان مثل هذا العمل محرماً في سائر انحاء العالم (راجع مقال الاستاذ اليوت سميث في مجلة العاديات المصرية ج ١ ص ١٩٠)

ومعلوم ان التحنيط يستوجب استخراج الاحشاء الباطنية والصدرية والتأثير فيها بالعقاقير . لذلك كانت هذه العملية درساً تشريحياً قيماً لمن يقوم بها . وجميع الاحشاء (ما عدا القلب الذي كان يترك غالباً في موضعه) كانت تفصل اولاً من الجسم ثم تغسل على حدة ثم تحنط بالطريقة المختارة واعتاد القوم بعد تحنيط هذه الاحشاء ان يضعوها في اربعة اوان تحت حماية اولاد حوريس الاربعة ومنذ عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق. م) بدأ القوم يصنعون اغطية لهذه الاواني بهيئة رؤوس اولاد حوريس المذكورة وهي (رأس آدمي ورأس نسر ورأس ابن آوى ورأس قرد) . لكن في عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ - ٩٤٥ ق. م) اندثرت هذه العادة الدينية واكتفى القوم بلف تلك الاحشاء في اغلفة كتانية مع تماثيل صغيرة لاولاد حوريس المذكورة ثم وضعها بالتالي داخل الجسم المحنط . وبديهي ان طرق التحنيط التي اتبعها المصريون افهمتهم كثيراً عن مظاهر الاحشاء واشكالها وعلاقتها بعضها ببعض داخل الجسم بل وبمقابلتها باحشاء الحيوانات الاخرى التي كانت منذ اقدم العصور المعروفة تذبح وتقطع وتقدم قرباناً للالهة او غذاءً لاصحابها . ومما هو جدير بالذكر ان الخط الهيروغليفي (الذي يرجع ابتكاره الى ما قبل حكم الاسرة بمدة طويلة) لا يحوي من الاشارات الخاصة باجزاء الجسم او الاحشاء الداخلية الا ما له علاقة بالحيوانات فقط مما يدل على ان معرفة المصريين الاقدمين لتشريح الحيوانات كانت اقدم عهداً من معرفتهم لجسم الانسان . من ذلك اشارة القلب وتلفظ (اب) فانها تمثل قلب الثور لا قلب الانسان . كذلك اشارة الحلق والعنق فانها تمثل رأس الثور وحنجرته وقصبته . ثم ان اشارة الرحم تمثل رحم البقرة ذا القرنين . كذلك «الاذن» فهي تشبه اذن حيوان من ذوات الاربع . وعلى هذا النمط رسمت الاشارات التي تمثل الاضلاع والعمود الفقري واللسان والاسنان . اما اشارات الخط الهيروغليفي التي تعني اجزاء جسم الانسان فتمثل الاجزاء الخارجية التي تعنيها من جسم الانسان فقط . وهذا دليل قوي على عدم معرفة القوم لاحشاء الانسان الداخلية وقت ابتكار الخط الهيروغليفي

ومن الأدلة على معرفة القوم لاي علم من العلوم كثرة تعداد الالفاظ التي يستعملونها في تعبيراتهم في هذا العلم . واللغة المصرية القديمة تحوي ما ينوف على مائة اسم تشرحي لاجزاء الجسم مما يشير الى امكانهم التمييز بين اجزاء الجسم في الوقت الذي كان يتعذر ذلك على غيرهم من الامم . نعم ان تقسيم الجسم بواسطة قدماء المصريين الى اعضائه المتباينة لم يشمل الا الاعضاء الكبيرة والمتوسطة الحجم ولم يحزم التمييز بين الاعصاب والعضلات والشرابين والاوردة . ولكن اساس علم التشريح على اي حال فضله راجع اليهم دون سواهم

اما فيما يختص بعلم وظائف الاعضاء فقد سبق ان ذكرت ما جاء بقراطس ايرس الطي بخصوص القلب والاووعية من ان القلب هو مركز اوعية الجسم وان هذه الاوعية تنفرع منه الى سائر انحاء الجسم وان النبض هو كلام القلب الداخلي وانه دليل هذه الاوعية حيث كانت . وهذه العبارة مأخوذة من كتاب اقدم عهداً من قراطس ايرس كما هو واضح من عنوان العبارة وتعريبه «مبدأ معرفة فن الطب . طريقة تفهم حركة القلب وسر القلب» . يلي ذلك بيان بسائر اوعية الجسم الدموية كل عضو بما يخصه . وبعض هذه الاوعية مطابق للحقيقة والآخر خيالي . لكن لم يذكر الكاتب شيئاً معيناً عن دورة الدم في الجسم بالرغم من ان البعض يرى ان ما ورد في العبارة المذكورة كافٍ لاثبات ان قدماء المصريين كانت لديهم فكرة عن هذه الدورة والثابت على كل حال ان هؤلاء القوم اعتبروا القلب اهم عضو بالجسم ومركز الفهم والانفعالات النفسية . فكان ذلك باعثاً على عدم نزع القلب من الجسم وقت التحنيط فكان القوم يتركونه محله متصلاً باوعيته الكبرى بالرغم من نزعهم لجميع الاحشاء الصدرية الاخرى حوله . وسوف نذكر عن معلوماتهم لوظائف الاوعية ما يطابق معلوماتنا الحديثة بصرف النظر عن البعيد منها عن الصواب . فقد روى هؤلاء القوم ان الانف يغذيه وعاءان دمويان . وكل اقليم جداري بالرأس يغذيه شريانان وهاذان يغذيان ايضاً مؤخر العينين القريب منهما واعتُبرت الدموع من افرازات الجفون . ونسبت تغذية الشعر الى وعائين دمويين بمؤخر الرأس . وورد في القراطس ان الهواء يدخل الجسم عن طريق الانف ثم الى الرئتين والقلب وبخلاف ذلك نجد انفسنا امام معلومات وهمية بعيدة من الطب الحديث . ولا غرابة في ذلك فالطب حينذاك كان في مبدئه . والخزعات والتخرصات لا تقلل من اهمية جزئه السليم . والثابت ان تعدد المباحث والنظريات وقتئذ دليل قاطع على شدة حرصهم على الحقيقة ولعلمهم بالفن واهتمامهم بجزيئاته وكلياته . وهو سعي مشكور وجهد مبرور

اما علم الامراض وطبائعيها المعروف بالباثولوجيا فليس من السهل تفهمه من مخطوطات هؤلاء القوم لعدة اسباب . اهمها عدم معرفتنا للمدلول الالفاظ العديدة . ثم اننا لو فرض وعلمنا المدلول بوجه تام فهناك عدة اسماء لامراض متشابهة المعنى متباينة التخصص . خذ مثلاً ما ورد بقراطس ايرس عن الاورام فانه يحوي حوالي الستة اسماء لهذه الحالة المرضية . ولا نزال نجعل نوع المرض

بالضبط الذي يعنيه الكاتب في هاتِهِ الاحوال . فمدلول اللفظ الحقيقي لا يزال غامضاً . ومن الجائز جداً ان هذه الاورام تحزم الخراجات بانواعها واورم البلهارسيا وغير ذلك . والمحتمل ان معظم الامراض التي كانت تهم القوم وقتئذٍ هي نفس الحالات المتفشية اليوم بين الفلاحين كالديدان المعوية والرمم الحبيبي والبلهارسيا والخراجات المختلفة ولسع الحشرات ولدغها والتهاب المهبل والاذن الوسطى واقدام العمادات الجراحية التي قام بها قدماء المصريين خلاص التحنيط هي عملية الختان التي كان ينظر اليها من وجهة دينية اكثر من الوجهة الطبية . وقد كانت معلوماتنا الى عهد قريب عن جراحة قدماء المصريين محصورة فيما هو وارد بالجزء الاخير من قرطاس ايبرس لكن لما اكتشف قرطاس ادوين سميث وحدث فيه معلومات كثيرة من هذه الناحية . وقد سبق ان معنا الى ان هذا القرطاس مقسم بحسب الحالات لا بحسب العلاج . وهو خاص بجروح سائر اجزاء الجسم من الرأس حتى الصدر . وما عدا ذلك فلا يزال مفقوداً . وهذا الترتيب دليل على اتقان التقسيم ومراعاة النظام الطبي

❖ القسم الثالث ❖

والآن ننتقل الى القسم الثالث وهو الخاص بامراض قدماء المصريين التي وجدت بمقابرهم وجثثهم . فنقول ان الحصوات البولية بالثمانية وجدت في جثث قبل عهد الفراعنة وحصوات الكلى في جثث من عهد الاسرة الثانية (٣٠٠٠ ق . م .) وحصى الكيس الصفراوي في موميا من عهد الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ - ٩٤٥ ق . م .) . وعثر الدكتور روفر على بويضات البلهارسيا في كلى موميات من عهد الاسرة الحادية والعشرين

وذكر الاستاذ شاتوك وصفاً لمرض الاورطي بجثة الملك منفتح وذلك بمجلة Lancet ١/٣٠ ١٩٠٩ وايضاً الدكتور روفر فانه اورد كثيراً من امراض هذه الاوعية في مجلة Jour of Path. & Bact ج ١٥ سنة ١٩١١ . وعثر الاستاذ البيوت سميث اثناء فحص موميات من الاسرة الحادية والعشرين على حالة واضحة لداء يوت وخراج بارد بالظهر وتقوسات عديدة بالعمود الفقري ودرن بعض الفخذ . وعثر على ورم خبيث من نوع osteo-sarcoma ورم (لحمي) في رأس عظمة الذراع بموميا من عهد الاسرة الخامسة بالجيزة (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م .) . ولم يعثر على حالات carcinoma (سرطان) حتى العهد اليوناني حيث وجدت في الانف والحلق والمستقيم

وهناك حالتان لمرض الحنث alipe وجدت احدهما في موميا الملك سبتاح (١٢١٠ ق . م .)^(١) والثانية بجثة قسيس من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق . م .) . ووجد النقرس gout في جثة رجل هرم بمجزيرة الفيلة من اوائل العهد المسيحي حيث لوحظت رسوب املاح بيض كثيرة فوق العظام المشطية لابهامي القدمين واخرى حول عظام باقي اصابع القدمين وايضاً فوق عظمي الساقين والشظيتين والجهة الخلفية للردفتين والاورتار الخلفية للساقين . وايضاً بعض العظام اليدين

والذراعين . وهذه الجثة محفوظة الآن في متحف كلية الجراحين الملكية بلوندره
اما تلف الاسنان فنادر في الجثث التي يرجع تاريخها الى ما قبل عهد الاسر . كذا في موميات
الفقراء الذين كانوا يقتاتون بالاغذية الصلبة كالخضراوات الغير مطبوخة . اما الموميات التي وجدت
في عهد الاهرام وبعده (لما دخل البذخ على معيشة المصريين وعمت الرفاهية منازلهم) فانها وجدت
مصابة بتلف الاسنان وخراجات الفكين مع رسوب الطرطير بشكل واضح
وكثيراً ما عثر على التهاب المفاصل الشبيه بالروماتزم Rheumatoid arthritis في موميات مصر
والنوبة حتى ليندر وجود جثة من تلك الازمنة العتيقة سليمة من هذا الداء ^(١) ووجدت عدة
حالات لالتهاب العظام في جثث العهد القديم وهذه تشمل التهاب الانف المزمن والتهاب النتوء الحلمي
للاذن وتقيحات عظام الجمجمة وعدة حالات خلع المفاصل وكسور العظام مصحوبة بنتائج متباينة
من التحام جيد الى مضاعفات غاية في الخطورة

وموميا رمسيس الخامس مصابة بطفح الجدري . وفي نفس الجثة آثار لقيلة مائية بالصفن
وشوهدت اعراض التهاب الزائدة الدودية في موميا سيدة من العهد البيزنطي واخرى مصابة
بالتصاقات بلوراوية بالرئة اليسرى حيث وجدت الرئة المذكورة في حالة انكماش . وحالات لسقوط
الامعاء وسقوط المهبل . وعثر الدكتور جرنقل على اثر لمرض برحم موميا في العهد الفارسي ^(٢)
وعدا الامراض التي وجدت بالموميات المصرية توجد عدة تماثيل ورسوم على جذران المقابر
تظهر لنا حالات مرضية خلاف المذكورة اعلاه . فشاهد قبر الكاهن روما السوري الاصل المحفوظ
الآن بمتحف كوبنهاجن بالدانمارك يحوي رسماً للكاهن المذكور مصاباً بشلل طفلي بالرجل اليمنى .
اما رسوم وتماثيل الاقزام في العهد الفرعوني فكثيرة للغاية وهي تمثل مرض Achondroplasia اوضح
تمثيل . وهناك رسوم على الآثار لمرض الكساح ومرض درن العمود الفقري (بوت) . ويلاحظ
على تمثال الملك اخناتون (اسرة ١٨) اعراض مرض Dystrophia Adiposo Genitalis التي تتلخص
في تأنيث الشفتين وبروز البطن واطالة الجمجمة وكبر الفك السفلي واستسقاء خفيف بالدماغ ^(٣) .
بقي علينا الآن ان نذكر شيئاً عن عقاقير قدماء المصريين وما بقي منها محافظاً على مركزه بين
الادوية الحديثة . والبحث في هذا الموضوع ليس بالهين . لاننا لا نزال نبجل مدلول معظم اسماء
هذه العقاقير . نعم ان هناك مئات من الجواهر ذات الاصل الحيواني والنباتي والمعدني مذكورة
ضمن الوصفات لكننا لا نزال نبجل معظم هذه الحيوانات . وكل ما يمكننا معرفته هو الجزء الخاص
من الحيوان مثل شحمه او لحمه او دمه . اما الحيوانات المعروفة التي كانت اجزاؤها تستعمل في
التطبيب فهي الثور والحمار والماعز والغزال والوعل والخنزير وفرس البحر والأسد والفأر والوطواط

(1) Arch. Survey of Nubia Report-1907-8 (2) Philosophical Transactions 1825

(3) El. Smith. Camb. Univ. Med. Soc. Mag. Vol IV No. 1.

والقنفذ والاوز والخطاف والنسر والهدهد والضفدع والشعبان والسلحفاة وعدة أنواع من السمك واما النباتات التي كانت تدخل ضمن الوصفات فلا يزال نجهل اغلبها . وكان القوم يستعملون كل النبات او ورقه او بذره او فاكهته او عصيره او جذوره او راتنجه وقد كان استعمال الاجزاء الحيوانية كالسابق ذكرها معتبراً في القرن التاسع عشر مثال الجهل بالعلم والخلط بالشعوذة . لكن المباحث الحديثة اظهرت لنا العجب العجاب

فأصبحنا الآن نعلم ان بعض الامراض ناجم عن قصور غدد الجسم وهذه تعالج بتعاطي ما يقابلها من غدد الحيوانات . فمرض المكسيديما ناجم عن فشل الغدة الدرقية ويعالج بتعاطي هذه الغدة المأخوذة من الثور . كذلك مرض ادرار البول الغير سكري (ديابيطس انسبيدس) فهو ناجم عن فشل الغدة النخامية Pituitry ويعالج بتعاطي خلاصة هذه الغدة المعروفة باسم بتروتين Pituitrin والانييميا الخبيثة التي هي نتيجة قصور الكبد تعالج الآن بتعاطي هذا العضو نيماً من اي حيوان . ويرى البعض ان تعاطي المعدة النيئة كافٍ ايضاً لشفاء هذا الداء القتال . كذلك مرض التكرز tetany فيعالج بخلاصة الغدة المتاخمة للدرقية . وهكذا هذا من جهة الامراض الناجمة من فشل الغدد . لكن هناك امراض اخرى ناجمة من قلة الفيتامين بالجسم مثل الكساح والبلاجرا وهي امراض مصرية قديمة تعالج الآن بالفيتامين (د - ١) في حالة الكساح المستخرج من كبد السمك . والفيتامين B 2 في حالة البلاجرا وهو كثير في اللحوم والخميرة والحبوب . وبعد كل هذا يحق لنا ان نتساءل هل كان اجدادنا عالمين بخواص الاعضاء الحيوانية وانواع النباتات حتى اكثرها من وصفها لا مراضهم كما نصفها نحن الآن

وما اوردها عن صعوبة معرفة الحيوانات والنباتات الطبية ينطبق تماماً على الجواهر المعدنية المذكورة ضمن الوصفات العديدة

والسائل الذي تتعاطى العقاقير معه هو عادة الماء او اللبن او الشهد او النبيذ او الجعة . اما الدهان والمروخ فأغلب وصفاتها تحوي الشهد او الصمغ او الراتنج او شحوم حيوانات متعددة . وكانوا احياناً يتعاطون العقاقير جافة بشكل مسحوق . وأحياناً ينقعونها او يغلوونها او بين بين . وجرت العادة ان الادوية الظاهرية كانت تستعمل بالدعك او بالدهان او بشكل لبخ . وكثيراً ما وصف القوم الحبوب والاقراص المستخلبة والاقع . ويذكرون آخر كل وصفة طريقة الاستعمال كما نفعل الآن تماماً . فكانوا يقولون مثلاً يؤخذ هذا الدواء ليلاً او نهاراً ، قبل الغذاء او بعده ، وهكذا . وأمام كل جوهر مقداره اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الاقرباذين

والى قدماء المصريين يرجع كثير من الفضل في ابتكار عدة عقاقير لا يزال نستعملها الآن . منها النشادر (وكانوا يستخرجونه بسحق او حرق قرون الحيوانات او اظفارها او حوافرها او عظامها) وذلك بشكل بخور او علاج موضعي . وهذه الطرق المبدئية في استخراج النشادر

واستعماله هي الاصل في بقاء هذا الدواء في الطب اليوناني والسوري والعربي والاوربي في عهد القرون الوسطى . وكان يطلق عليه في القرون الوسطى اسم « hartshorn » ومعناه قرن الايل . ومحلول المشادر المائي لا يزال يعرف في وقتنا هذا باسم Liq. Ammoniae او "Spirits of Hartshorn" ومن اهم عقاقير النبات قشر الرمان . وهذا النبات قديم العهد في مصر . وكثيراً ما عثر على فاكهته بالمقابر الفرعونية . ووردت بقراطس ايبرس وصفة لطرد الديدان من الامعاء تتلخص في سحق قشر الرمان ومزج ذلك بالماء ثم تعاطيه (ايبرس لوحة ١٦ سطر ١٥-١٨) . واستمرت هذه الوصفة متبعة عدة قرون في بلاد متنوعة كآشور واليونان والعرب . وهناك وصفات مصرية قديمة تحوي الشبث (Dill) والكزبرة (Coriander) والكمون (Cumin) والكراوية (Caraway) والحلبة (Funigreek) وكان الاثريون يقولون باستعمال البيروح او الماندراغورا (ويقال له Podophyllum) في الطب الفرعوني لكن ذلك لم يثبت للآن . نعم انه عثر على فاكهة هذا النبات بمقبرة توت عنخ آمون . لكن ذلك كان بقصد الزينة فقط . والرأي السائد ان هذا النبات ليس مصرياً بل استجلب من الخارج للزينة . وان النبات المسمى بالمصرية (ديدي) لا يعنى البيروح

قال هيرودوتوس وديودوروس واسترابون وغيرهم ان المصريين زرعوا نبات الخروع واستخرجوا من بذره زيتاً استعمالوه للاضاءة . وقالوا ان هذا النبات كان يعرف وقتئذ باسم (كيكي) لكن هذا ليس صواباً . والثابت ان زيت الخروع بالمصرية اسمه (دجام) . وهناك نص مصري في متحف اللوفر بفرنسا من الاسرة السادسة والعشرين يقول باستعمال هذا الزيت للاضاءة اما اسم الشجرة النباتي المعروفة به الآن فهو Ricinus وورد بقراطس (ايبرس) علاج لاطلاق البطن يتلخص في مضغ حبوب الخروع وتعاطيها مع الجمعة . ووصفة اخرى لاسكان الالم تتلخص في التدليك بزيت الخروع . . . وكان القوم يتعاطون بذور الخروع للامساك والضعف العام والصداع وغير ذلك واهم العقاقير المعدنية التي كانوا اول من استعمالها في الطب هي السلقون (red lead oxide) والشبث وملح الطعام وكربونات الصودا والنظرون . واليك مثال لوصفة لطرد الديدان المعوية (ايبرس لوحة ١٣ سطر ١٢ - ١٥) : —

حبوب شجرة (نوزم)	١	{	سخن . امزج معاً . تجرعه على اربعة أيام . هذا الدواء يطلق البطن
لبن	١		
عسل نحل	١		
حبوب الحلبة	١		
نبيد	١		

وذكر قدماء المصريين امراضاً عديدة تصيب العيون وبالاخص اجفانها . ويظهر ان الشعرة كانت كثيرة عندهم . وانهم كانوا يستأصلونها بالنتف . والقراطيس البردية تحوي عدداً وفيراً من وصفات العيون بمنعنا ضيق المقام عن ذكرها . واهتم القوم بأمراض الاذن وعالجوها بالعلاجات الموضعية . واستعملوا لذلك الشبة وصفراء الثور والمر . وحقنوها بالنبيذ وغيره ^(١)

اما الطب المصري في اواخر عهد الفراعنة فوردت عنه بعض قراطيس تحوي وصفات عجيبة تطابق كثيراً من وصفاتنا . خذ مثلاً ما جاء منها في احد القراطيس ^(٢) (١٠٠ ب . م .)
 * المرهم الاصفر للجروح المتقيحة * كالمين (كربونات الزنك الخام او حجر التوتية) ٤ درهم
 ابيض الرصاص ٨ درهم دقيق ناعم ٤ درهم اكسيد الحديد ferrie oxide ١ درهم زعفران ١ درهم افيون ٣ اوقيات صمغ ٤ درهم ماء

* لايقاف النزف * مسحوق الشبة يبطل النزف حالاً

* للاراق * سيكران Henbane او Hyoseyamus ... ينسون ١ درهم افيون ٤ اوقيات تمزج معاً . وتعطى بطريق الفم

وهناك قرطاس بردي قبطي (٨٠٠ - ٩٠٠ ب . م) يقال له قرطاس المشايخ ^(٣) يحوي حوالي ٢٣٧ وصفة . منها الوصفة الآتية لالتهاب الاذن الحاد . افيون . دهن عجل . لبن . امزجها معاً . ثم دق المزيج وضعه في الاذن . فان الالم يسكن حالاً . لكن حذار ان تصف هذا الدواء قبل ان تأخذ أجرك . وتعلمون ان السر في ذلك راجع الى الافيون الذي يسكن الالم لوقته . وان زوال هذا الالم وراحة المريض قد يقنعانه في عدم الحاجة الى الطبيب فيبخل عليه باتعابه وهكذا بدأنا نشعر بالغبن الذي كان يقع على زملائنا الاقدمين اذا ما صادف علاجهم نتيجة ناجعة

ما كان تأثير الطب المصري القديم على الحديث ؟ وكيف حصل هذا التأثير ؟ والى متى استمر ؟ . والجواب على ذلك ما اورده الاستاذ (وارن دوسن) ^(٤) من ان جانباً كبيراً من معلومات ديوسقوريدس (٥٠ ب . م) وجالينوس (١٣٠ - ٢٠٠ ب . م) وپلينوس (٢٣ - ٧٩ ب . م) وغيرهم مأخوذة بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية . وهذه المعلومات لقنت بواسطة هؤلاء الفطاحل الى اطباء القرون الوسطى باوربا وصارت اهم اركان الطب العشبي herbalist وتعاليم الطب القيّمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد استمر الطب المصري محافظاً على جوهره بعد دخول المسيحية مصر الى ان ظهر الطب اليوناني الذي اخذ يمتزج تدريجاً باصول الطب الفرعوني ^(٥)

(1) Oxyrhynchus Pap. Grenvel & Hunt vol II No 234 p. 134-136

(2) Oxyrhynchus Pap. Hunt Vol VIII No 1088 p. 110-115

(3) E. Chassinat, Un Pap. Méd. Copte (Cairo 1921) No 114 line 242-3.

(4) Science Progress 1927 p. 283

(5) Proc. of the Roy. Soc. of Med. vol XVII pp 5-7, Warren Dawson

تحارب الانسان والنبات

الامير مصطفى الشهابي

يتجبر الانسان على الارض ويستكبر ، ويتيه على المخلوقات السائرة بادراكه وعقله ، ويسخر النبات والحيوان لأغراضه ، ويعمد الى النباتات في تربتها فيستأصلها من جذورها ويدفنها حية او يطعمها ماشيته او يحرقها تحريقاً ويذرو رمادها في الريح والهبوب ، ثم يدك تلك التربة او يبسطها ويشيد عليها شاهقات القصور بمقاصيرها الهائلة وأفنيئتها الواسعة وبلاطها المجزّع وفسيفسائها الآخذة بمجامع القلوب . ومتى انتهى من عمله هذا شمع بأنفه وتصلف في قوته وأيدده ونظر الى الطبيعة المغلوبة على امرها نظرة القائد المعز بالنصر وراح يتباهى بأعماله الباهرة ومدنيته الزاهرة وهي تحتاج كل عقبة تقف في سبيلها سواء اكانت تلك العقبة راسخة متمكنة ام رجراجة مضطربة ويظن الانسان في غروره انه قد غلب النبات على امره وأنه قد ازاحه عن منابته واستولى على بلاده وجعلها مستعمرة يتصرف بها تصرف المالك في ملكه . لكن هذا النبات الذي يبدو ضعيفاً لأعين البسطاء من الناس لا يبيت على ضيق ولا يغمض له جفن على قذى ، فهو يظل يفت ويتكاثر حوالى القصر القائم على تربته حتى اذا لاحت له غرة من صاحب ذلك القصر قذف بيزوره داخله فالتشت ونمت فيه . اما اذا غدر الزمان الخؤون بأهل القصر وسكانه فطاح بمحضارتهم الحائلة ومدنيتهم الزائلة فهناك تشاهد النبات قد ثارت ثوائره وتباشرت بالخير أزهاره فما بين البلاط وفي شقوق الجدران وعلى السطوح وفي كل مكان ضيق او واسع يستطيع فيه الحياة بعناء او برخاء وتراه ينشب جذوره في ضيق من سم الخياط فيقلق البلاط ويفرج ما بينه ويصدع حجارة الجدران ويزيحها عن مواضعها حتى يدك بنيانها دكاً . ولا ينفك يعمل في هذا السبيل اناء الليل وأطراف النهار الى ان تنفتحت حجارة القصر وتستحيل تراباً فيكون النبات قد عاد الى وطنه المحبوب وطهره من بقايا الانسان الغاشم الظلوم وعاش بأمان وصفا له الزمان ولسان حاله يقول « ان عادت العقب عدنا لها ... »

وربما ظنَّ القارئ ولا سيما اذا كان مصرياً انني ابالغ فيما اقول ، لان المصري يعيش في بلاد تروي بماء النيل لا بماء المطر فلا تتكاثر الأعشاب في صحاريها ولا تلتف ولا تستأسد ولا يزحم

بعضها بعضاً . لكن الامر على خلاف ذلك في الارض القريبة من خط الاستواء حيث وفرة الامطار وارتفاع الحرارة تمدان النباتات بغذاء وماء وقوة فيسمو قدها ويكبر جرمها ويعظم خطرها حتى اذا تركت وشأنها نشأت منها حراج غيباء الشجر وادغال يتسابق فيها العشب والجنبه وجميعها متشبثة بالارض تنزاحم على الشبر منها وتتقاتل في امتلاك كل ذرة من ذراتها . وليست البلاد الشمالية اي اوربا وما على سمتها من البلاد بأقل إنباتاً لمختلف النباتات البرية ، بسبب غزارة امطارها وان كانت حرارة الجو فيها ادنى منها في البلاد القريبة من خط الاستواء

ولهذا اذا نظر المصري الى اهرام الجيزة مثلاً وجدها موطدة الاسس ثابتة الاركان سليمة السطوح لم يعث بها عاث من مملكة النباتات لأن هذه لا حياة لها في ارض جف ترابها وتلاعبت في اجوائها اشعة الشمس المحرقة ، ويجد ابا الهول جائياً أمام مدينة المعز يهزأ بتعاقب الايام وتوالي السنين والقرون وهو اجرد امرد تطوف العين في هيكله الضخم فلا تقع على نبتة واحدة تسبح خالقها في الغدو والآصال . لكننا اذا ركبنا البحر الى سيام مثلاً وطوفنا في بعض مصانعها ومعابدها القديمة فيناها غرقى في غابات من الاشجار الملتفة . فهذا صنم عظيم للاله بوذا قد طوقت عنقه النباتات المعترشة حتى همت بخنقه ، والبسته في رأسه قلنسوة من اوراقها المتشابكة ونسجت على منكبيه ابرادها السندسية ، وحلّت زنديه بأسورها الزمردية ، ولم تتورع في هجومها وانحائها عليه فغطت اذنيه لكي يصم وفرخت في عينيه لكي يكف ويعمي وانبتت بزورها في فيه حتى تحمد منه الانفاس ، ثم صاحت بالناس تعالوا فانظروا ماذا صنعت بربكم الاعلى واعبدوه ان كنتم لمثله عابدين ولكن لا تنسوا انني سأحيله بعد حين الى تراب وطين

وما لنا والبلاد البعيدة تتمثل بها ما دام في بلادنا امثال كثيرة لما ذكرت . فلقد مرت في السنة الماضية بخرائب افامية الشهيرة شمالي الشام فوجدت بعض النباتات قد مدّت جذورها في شقوق العمد والتماثيل وكأنها تهزأ بها وبناحتها . ومرت بقرية حقيرة من قرى حلب بعض ارضها مكسو بفسيفساء رومانية قديمة فاسترعت نظري ازهار علت جسم غادة حسناء من فواتن الفسيفساء . وحدث ان مرّت في تلك الفترة قافلة من الابل وكان في رفقتي عالم فرنسي فقال لي ان بلادكم مفتاح الجزيرة وهي مهما تعاقبت فيها المدينيات ومهما عشقها الفاتحون فانه لا يدوم فيها غير هذه الازهار وغير اصحاب هذه الابل

والخلاصة ان صاحب الارض الحقيقي هي نباتاتها فهي التي استولت على سطح الكرة الارضية في طولها والعرض . وما مدنية الانسان بقصورها ومدنها ومصانعها ومعابدها وهياكلها سوى بقع صغيرة تلعلخت بها بشرة هذه الارض . وهي كلها صائرة الى الزوال لان النباتات اذا غدتنا بحبورها وأثمارها وكستنا بنسيج أليافها وكانت اكبر دعامه في بناء حضارتنا المتتالية فهي لا تجيز لنا ان نتجاوز على حرمها الاقدس فنلوّثه بهذه المدينيات الزائفة

الكريم والفتى والسيد

What is a Gentleman ?

للركنور اصين باشا المملوك

٢

اما مؤنث جنتلمان لفظاً فهو جنتلمو من ومعناه المرأة الكريمة اي الطيبة الاصل والشائع في الاستعمال كلمة ليدي يقابلها بالعربية كريمة وسيدة وست وخاتون ولا يقال فتاة بهذا المعنى . اما الكريمة فقد وردت في كتب اللغة وسيأتي ذكرها في مادة كرم قال الطغرائي في لامية العجم
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت لحاظها بعياء الغنج والكحل
قد زاد طيب احاديث الكرام بها ما بالكرائم من جبن ومن بحل

واما السيدة فعروفة عند الخاصة والعامة يلقبون بها نساء الاشراف من القرشيين . واذكر ان صاحب نشوار المحاضرة كان اذا قال السيدة اراد بها والدته الخليفة دون غيرها واما لفظة ست فكان يستعملها اذا خاطبت جارية احدى نساء القصر فانها كانت تقول لها يا ستي والكلمة مولدة وهي واردة في شعر البهاء زهير كثيراً وفي نشوار المحاضرة كما تقدم وشائعة في الشام ومصر وكانت في لبنان لقباً للنساء الامراء ، والمشايخ ، واما في العراق فلم اسمعها الا في مخاطبة الراقصات والمغنيات الاجنبيات او عند ذكر قبر في جانب الكرخ يسمونه قبر الست زبيدة وهو ليس قبر السيدة زبيدة زوجة الرشيد بل قبر اميرة سلجوقية بهذا الاسم . واما الخاتون فقد ذكرها صاحب القاموس قال : الخاتون للمرأة الشريفة كلمة اعجمية وزاد صاحب التاج استعمالها الفرس والتركي والجمع الخواتين ، وقال محيط المحيط : الخاتون كلمة اعجمية للمرأة الشريفة وهي من لغة التتر تلقب به نساء الملوك عند العرب . واذكر ان ابن جبير كان لا يقول الخواتين الا لنساء الملوك ومثله ابن بطوطة فانه سافر في ركب اميرة رومية هي زوجة خان التتر او الخزر في ذلك العهد فكان اذا ذكرها قال الخاتون والكلمة شائعة في العراق فاذا ذكروا احدى الكرائم قالوا الخاتون مثل فاطمة خاتون واميليا خاتون وصورما خاتون وهذه عمه بطريك النساطرة الحالي ويسمى الانكليز ليدي صورما وكانت المس بل رحمها الله تستحسن هذا اللقب كثيراً وقد زرتها مرة وكنت لا اعرف بيتها فركنت عربة وقلت للسائق خذني الى دار الخاتون فاخذني توّاً الى منزلها وكان في اطراف المدينة فقالت كيف عرفت الدار فقلت على اهون سبيل فاني ركبت عربة وقلت للسائق خذني الى دار الخاتون واظنها ابتسمت لذلك واذكر انه جرى ذكر سيدة في بغداد فقالت احدى السامعات ان فلانة حقيقة خاتون اي انها ارادت بخاتون ما يريد الانكليز بكلمة ليدي

قلت ان كلمة خاتون شائعة كثيراً في العراق ويتلوها لقب خان فيقولون مثلاً ربيعة خان وحسيبة خان ولعلها ترخيم خانم على انهم يقولون ايضاً خانم وهانم وجميعه مؤنث خان اي ان خانم وهانم مؤنث خان ومعناها ملكة ولفظة خان تمت الى ما معناه ملك بالانكليزية واللهجات الجرمانية واصلها خانغ باللغة الجغتائية اي التركية القديمة وخانم اصلها خانغ ومثل ذلك بكشم مؤنث بك سمعت جميع ما تقدم من الاديب التركي المشهور يوسف سامح بك نزيل مصر في ايامنا وكثيراً ما كنا نجتمع للسمر في صيف سنة ١٩١١ والسنة التي تلتها. ولما كان البحث الآن في كرم الاخلاق والمروعة وكنت آليت على نفسي الا اذكر احداً من الاحياء ولكنني وجدت الفرصة سانحة والواجب يقضي عليّ ان اذكر بعض الذين كنا نجتمع واياهم في هذه المجالس من كرام القوم ممن تجلّ فيهم الكرم في احسن معانيه ففهم الدكتور شبلي شميل فتى لبنان الحر الشهم ورفيق بك العظم من فتيان العرب وساداتهم وحسني بك يكن واخوه رضا بك من فتيان مصر وساداتها. وربما عدت الى هذا البحث في فرصة اخرى وضربت امثلة على اعمالهم مما اختبرته بنفسي رحمهم الله جميعاً. واني لم اذكر اسماءهم لادبهم الجلم او لعلهم الواسع او لسخائهم او كياستهم بل لما كانوا عليه من مكارم الاخلاق اي ان كل واحد منهم كان فتى اي جنتلمان

ومن القاب الكرائم في العراق « بكشم » وهي شائعة في الهند ويران وفي الكرخ والكاظمية في بغداد وربما في كربلاء والنجف واللفظة كما تقدم مؤنث بلثك ومما يحسن ذكره ان اهل العراق ولا سيما في الموصل يلفظون كلمة بلثك كما كان يلفظها الترك قديماً ومثلها كلمة بكشم اي بفتح الباء وهي شبيهة بلفظ الانكليز للكلمتين الآتيتين اي Beg & Begum فخان معناها في الاصل ملك او سلطان او امير ومثلها بك وكلنا نعرف اسم ارطغرل بك فاتح بغداد وكان من السلاطين السلاجوقيين ولنبحث الآن في ما جاء عن الكريم والفتى في كتب اللغة وكلام العرب فقد جاء في التاج ما نصه : الكرم محرّكة ضد الاؤم يكون في الرجل بنفسه وان لم يكن له آباء ويستعمل في الخيل والابل والشجر وغيرها من الجواهر اذا غنوا العتيق واصله في الناس. قال ابن الاعرابي كرم الفرس ان يرق جلده ويلين شعره وتطيب رائحته. وقال بعضهم الكرم مثل الحرية الا ان الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة كاتفاق مال في تجهيز غزاة وتحمل حاله يوقى بها دم قوم. وقيل الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن وهب المال لجلب نفع او دفع ضرر او خلاص من ذم فليس بكريم. وقد كرم الرجل وغيره بضم الراء كرامة على القياس والسماع وكرمًا وكريمة محرّكتين فهو كريم وكريمة وكريمة بالكسر ومكرم ومكرمة بضمهما وكرام كغراب واذا افراط في الكرم قيل كرام مثل رمان. الى ان قال اي صاحب التاج والكريم الواسع الخلق والصدر الصفوح عن الذنب. الى ان قال وقوله تعالى « واعتدنا لها رزقاً كريماً » أي كثيراً وقوله تعالى « وقل لها قولاً كريماً » اي سهلاً ليناً وقوله تعالى « ويدخلكم مدخلاً كريماً » أي حسناً وهو

الجنة . الى أن قال ومما يستدرك عليه الكريم من صفات الله تعالى واسمائِه وهو الكثير الخير وقيل الجواد وقيل المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وقيل هو الجامع لانواع الخير والفضائل والشرف وقيل حميد الفعال وقيل العظيم وقيل المنزه عما لا يليق . الى ان قال واذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال كريم حتى يظهر منه ذلك والكريم ايضاً الحرّ والنجيب والسخيّ والطيب الرائحة والطيب الاصل والذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه . وايضاً الرقيق الطبع والحسن الاخلاق والواسع الصدر والحسيب والمختار المزين المحسن والعزّز عندك والحج وايضاً الجهاد وفرس يغزى عليه والبعير يستقى به . وكتاب كريم اي مختوم او حسن ما فيه وقرآن كريم بمحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة . وقول كريم سهل لئلا يورثك كريم اي كثير ومدخل كريم حسن

والكريم ايضاً الرئيس والعفيف والجميل والعجيب الغريب والعالم والنفيس والمطر والجود والمعجز والدليل على التهمك بهذه نيّف وثلاثون قولاً في معنى الكريم ولم اره مجموعاً في كتاب الى أن قال والكريمة الاهل وقيل شقيقة الرجل واجمع الكرائم . قلت والكريمة بمعنى الشقيقة شائعة في الحجاز سمعتها غير مرة بهذا المعنى والكريمة في الشام ومصر ابنة الرجل الكريم وهي شائعة بهذا المعنى . الى ان قال صاحب التاج وفي الحديث ان الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن ابراهيم لانه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق ورياسة الدنيا والدين . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي سائر كتب اللغة ما لا يخرج عن ذلك والمآل واحد ولا بأس بايراد ما جاء في محيط المحيط مما لم اعثر عليه في التاج . قال صاحب محيط المحيط ما نصه : قيل الكريم قد يطلق على الجواد الكثير النفع وقد يطلق من كل شيء على احسنه كما قيل الكريم صفة ما يرضي ويحمد في بابه . يقال رزق كريم اي كثير وقول كريم اي سهل لئلا يورثك كريم اي مرض في حسنه وجماله وكتاب كريم اي مرض في معانيه وفي جزالة الفاظه وفوائده ونبات كريم اي مرض فيما يتعلق به من المنافع . والكريم من كل قوم ما يجمع فضائله . كليّات . انتهى ما اريد نقله

ثم انهم ميزوا بين الكرم والشرف فالشرف يقتضي له آباء اشراف اما الكرم فقد يكون في الرجل بنفسه كما جاء في تعريف الشرف في ص ٦٧٣ من مقتطف الشهر الماضي . فالكرم خلق يكون في الرجل بنفسه يرثه عن آباء كرام او لا يرثه . اما اللؤم فكتب اللغة مجمعة على انه ضد الكرم . قال صاحب التاج اللؤم بالضم ضد العتق والكرم ومصر له في الكرم انه ضد اللؤم وطاب جماعة عليه (أي على الفيروزبادي تفسيره الكرم في قوله انه ضد اللؤم وتفسيره اللؤم في قوله انه ضد الكرم) ووقع في شرح الشواهد للعيني ان اللؤم ان يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء وهو من اذم ما يهجن به وقد لؤم لؤماً بالضم فهو لئيم وفي الاصل شحيح النفس فالكلام صريح على ان الكرم ضد اللؤم وعندني ان الكرم خلق في الانسان كذلك اللؤم

يكونان عن الآباء وهو الغالب وقد لا يكونان وهو نادر والكريم صفة ما يحمد واللوم صفة ما يذم لذلك وصفوا الكريم اي الطيب الخلاق والاصل بالجود والسخاء ووصفوا اللئيم اي الدنيء الاصل بعكس ذلك اي ان الكريم ليس معناه في الاصل السخي المعطاء الوهاب بل الكريم في خلقه وفي نفسه ولما كان من فطرة العرب السخاء غلب معنى الكريم على السخي الجواد المعطاء وهو ليس كذلك في الاصل . اما الانكليزية فمعنى الكريم عندهم الطيب الاصل كما تقدم في ص ٦٧٤ وما يليها من مقتطف الشهر الماضي ثم اشتق من هذه المادة الاصلية الفاظ اخرى تدل على الجود والسخاء وغير ذلك من المعاني فكلمة جنتل يقابلها الكريم بالعربية ثم تفرعت منها المعاني الاخرى بالعربية والانكليزية . اما الكلمة الانكليزية فقد بينت اصلها عن معجم وبستر في الشهر الماضي وأما مادة كرم العربية وعلاقتها اللغوية بالكرم اي شجر العنب فلا محل للبحث فيه الآن ولعل اصلهما واحد ومن شاء زيادة البحث فليراجع مادة كرم في الامهات

اما الفتى فقد جاء في تاج العروس ما نصه : الفتى الشاب يكون اسماً وصفة . وفي المصباح الفتى في الاصل يقال للشاب الحديث ثم استعير للعبد وان كان شيخاً مجازاً لتسميته باسم ما كان عليه قبلاً وقوله تعالى « واذ قال موسى لفتهاه » جاء في التفسير انه يوشع بن نون سماه بذلك لانه كان يخدمه في سفره ودليله قوله « آتنا غذاءنا » وقال الراغب ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة ومنه قوله تعالى « تراود فتاها عن نفسه » . الى ان قال صاحب التاج والفتى ايضاً السخي الكريم وهو من الفتوة يقال فتى بين الفتوة نقله الجوهري وهما فتيتان بالتحريك ومنه قوله تعالى « ودخل معه السجن فتيان » جاز كونهما حديثين او شيخين لانهم كانوا يسمون المملوك فتى . الى ان قال والفتوة بالضم والتشديد الكرم والسخاء هذا لغة وفي عرف اهل التحقيق ان يؤثر الخلق على نفسه بالدنيا والآخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى الا علي . وقول الشاعر

فان فتى الفتيتان من راح واغتدى
لضرّ عدوّ او لنفع صديق

وعبروا عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يحجب لفظ الفتوة في الكتاب والسنة وانما جاء في كلام السلف واقدام من تكلم فيه جعفر الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل والجنيد ولهم في التعبير عنها الفاظ مختلفة والمآل واحد . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي لسان العرب مما لم اعثر عليه في التاج : قال العتبي ليس الفتى بمعنى الشاب والحديث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدل ذلك على قول الشاعر

ان الفتى حمّال كل ملامّة
ليس الفتى بمنعّم الشبان

وفي اساس البلاغة : هذا فتى بين الفتوة وهي الحرية والكريم قال عبد الرحمن بن حسان

ان الفتى لفتى المكارم والعلی
ليس الفتى بمغملج الصبيان

وقال آخر : يا عز هل لك في شيخ فتى أبداً
وقد يكون شباب غير فتيتان

انتهى ما اريد نقله عن كتب اللغة . وللاديب العراقي الكبير مصطفى جواد نزيل القاهرة مقالة نفيسة في الفتوة في لغة العرب ص ٢٤١ وما يليها من المجلد الثامن قال فيها ما يأتي : الفتوة مذهب حيوي ديني سلك بعد ظهور الاسلام تهذيب الاخلاق ونعش النفوس وبث العبقريّة وتوكيد المؤاخاة بين الناس والدعوة الى الفضائل والشجاعة والتجافي عن الرذائل والجبن فالفتوة عند الفتيان هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القويمة والطباع السليمة والجرأة والاقدام ولا سيما السخاء والكرم . وقال في مبعثها : ان الفتيان ينسبون طريقتهن هذه الى الامام علي عليه السلام فهو قدوتهن وفيه اسوتهن ويؤمنون بأنه اول الفتيان وأقدسهم لورود « لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار » في فتوته المقدسة وشجاعته الفذة . ثم ذكر الاديب الكبير شيئاً كثيراً عن الفتوة وتطوراتها فقال ما يأتي : حكم التطور جار على كل امور الدنيا ولذلك تطورت الفتوة اطواراً شتى فدخل فيها الغناء ورمي البندق وتطير الحمام للمسابقة . قلت وقد كتب ذلك قبل مجيئه الى مصر ومروره بالشام فما قوله الآن في فتوات مصر وزملائهم قبضيات الشام . وقد لقيته بالامس فسألته هل تعرف العامة في بغداد كلمة فتوة فاني لا اذكر اني سمعتها منهم بمعنى الفتوة عند عامة اهل مصر قال لا وانما يقولون اشقياء اي انهم يستعملون الجمع مكان المفرد قلت اذكر انه يقال في بغداد ابو قاسم اي ابو قاسم قال نعم يقولون ذلك . اقول ان ابا قاسم لا يزال شائعة في الشام بهذا المعنى فيقال ابو قاسم وابو حمد وابو علي ولا يزال بعض البيوت المعروفة في الشام يكنى بهذه الاسماء ولعل اجدادهم كانوا فتيةً ومن اهل المكارم وهم يفخرون بهذه الكنى . ثم ان كلمة فتوة في مصر وزميلتها كلمة قبضاي في الشام ليستا بالمعنى الذي تفهمه العامة بل لا يزال وراء ذلك شيء من النجدة والمروءة . اما كلمة قبضاي فهي على ما قيل لي تركية الاصل ومعناها الخال الضخم او الخشن ولا يزال أثرها في بيروت حتى الآن في قولهم مرحباً يا خال . والجواب بعزك يا روح وان اول عهدي بكلمة فتى بمعنى جنتلمان كان في الثورة العربية فقد رأيت في دمشق امراً عسكرياً بتعيين ضابط لا اذكر اسمه الآن وانما كتب في الامر ان الفتى فلان ابن فلان منح رتبة الملازم الثاني وهو ما يفعله الانكليز اذا ذكروا ضابطاً بلا رتبة سابقة ولا يزالون يفعلون ذلك حتى الآن كما اذا عين تلميذ بهذه الرتبة او طبيب لاول مرة فانهم اذا ذكروا اسمه قالوا جنتلمان ولا اعلم من ادخل كلمة الفتى بهذا المعنى ولعل ضباط الثورة اخذوها عن سليم بك الجزائري شهيد العرب . وكان رحمه الله اديباً وعالمًا مشهوراً وفتىً من فتيانهم وان كثيرين من ضباط الجيش العثماني السابق هم من تلامذته ولا يزالون يذكرون ما كان عليه من كرم الاخلاق فما ورد عن الفتى في كتب اللغة يدل على انه الشاب الحديث والعبد والكمال الجزل من الرجال والسخي والكريم اي الحر لان السخاء غير الكرم فاستعار العرب كلمة فتى للمعاني المتقدمة كما استعارت العامة كلمة آدمي للرجل الكريم الاخلاق وكما اشتقوا كلمة مروءة من المرء اي الرجل

ولا اريد الآن ان ابحث في الفتوة ولا في صحة ترجمتها وقد ترجمها الاديب العراقي مصطفى جواد
او صاحب مجلة « لغة العرب » كما يأتي La Chevalerie arabe واضنها ترجمة صحيحة لا غبار عليها ،
وانما البحث الآن في كلمة جنتلمان . ولندكر الآن بعض ما ورد في الكريم والفتى في كلام العرب
وهو كثير وانما نختزى بالقديم منه . قال طرفة بن العبد البكري في معلقته
فلولا ثلاث هنّ من لذة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

قال الزوزني في الشرح لولا حي لثلاث خلال هنّ من لذة الفتى الكريم لم ابال متى قام عودي
من عندي آيسين من حياتي اي لم ابال متى مت . ثم ذكر طرفة في الابيات التالية هذه الخلال اي
خلال الفتى الكريم في ذلك العهد اي عهد الجاهلية فالاولى شربة من السميت والثانية اغاثة الخائف
المذعور والثالثة مغازلة حسناء في يوم الدجن وكان طرفة غفر الله لنا وله يحسب لذة الفتى في هذه الخلال
الثلاث قلت ولا يزال البعض على رأيه فطرفة كان جاهلياً يشرب الخمر وكان يغازل حسناء في خدرها
وفي يوم دجن ما طر لا يراه فيه احد او يفاجئه فيه مفاجيء فلم يغازلها على قارعة الطريق او يضايقها
في غدوها ورواحها . وان قيل ان الفتى الشاب الحدث لأن طرفة قتل في شبابه فحده قبله يقول :

فالحرب لا يبقى لها حمها التخييل والمراح

الأ الفتى الصبار في السنجدات والفرس الوقاح

فهو لا يريد بالفتى هنا الشاب الحديث بل الرجل المجرب في الحروب . وقال طرفة في قصيدة يفتخر بقومه

اجدر الناس برأس صليدم حازم الأمر شجاع في الوغم

كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيد سادات خضيم

فقد وصف الفتى هنا احسن وصف ثم قال

وتفرعنا من ابني وائل هامة المجد وخرطوم الكرم

فالكرم هنا معناه طيب الاصل كما تقدم في مادة كرم . وقالت قتيلة بنت النضر بن الحارث

امحمد ولانت ضنء نجبية من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرّك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر اقرب من اصبّت وسيلة واحقهم ان كان عتق يعتق

قال شارح ديوان الحماسة وقد نقلت عنه هذه الأبيات : الضنء الولد والنجبية الكريمة والمعرق

من كان له عرق في الكرم والمعنى يا محمد ان التي ولدتك كريمة قومها والتي ولدك سيد عريق في

الكرم فانت خلاصة شريفيين والمعنى اذا كنت كذلك فما كان يضرك لو مننت على ابني واطلقته

وليس هذا عيباً عليك اذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق . قات وقد وردت هذه الأبيات

في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ولكنه قال الحارث بن كلدة الثقفي والصواب القرشي لا الثقفي

ولعل احسن ما قيل بهذا المعنى ما وقع لابني الاسود الدؤلي مع عمر بن ابي ربيعة على ما جاء في

الجزء الاول من الاغاني قال : حج أبو الاسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلة فبينما هي تطوف بالببيت اذ عرض لها عمر بن ابي ربيعة فأتى ابا الاسود فأخبرته فأتاه ابو الاسود فعاتبه فقال له عمر ما فعلت شيئاً فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها فأخبرت أبا الاسود فأتاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له

واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم اقوام خلأق أربع
حياءً واسلاماً وبقياً وانني ككريم ومثلي قد يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك انني على كل حال استقيم وتطلع
فقال عمر لست اعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ثم عاد فكلمها فأتت أبا الاسود فأخبرته فجاء اليه فقال له

انت الفتى وابن الفتى واخو الفتى وسيدنا لولا خلأق أربع
نكول عن الجملى وقرب من الخنا ويحل عن الجدوى وانك تبس
ثم خرجت وخرج معها ابو الاسود مشتملاً على سيف فلما رآها عمر اعرض عنها فتمثل ابو الاسود
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتنقي صولة المستأسد الحامي

قلت الكريم في البيتين الاولين معناها الكريم في طبيعته اي الواسع الخلق والصدر كما تقدم في
مادة كرم يريد ابو الاسود ان يقول يعني عن الجهل والخنا وشتم الناس أربع خلأق اي طبائع
هي حيائي واسلامي واشفاقي وكوفي كريماً ولكن الفرق بيني وبينك اني مستقيم وأنت تطلع اي
تميل في مشيك . ولا ادري كيف يكون معنى الفتى في البيتين التاليين الا بقولنا كريم اي جنتلمان
فتجد ان هذه الابيات حوت معاني جنتلمان في ثلاث كلمات هي الكريم والفتى والسيد

وقال سلمة الجعفي يرثي اخاه لاهمه :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
قلت هذا لعمري من احسن صفات الجنتلمان اي الرجل الكريم وفي ديوان الحماسة شيء
كثير من هذا : وقال آخر معروضاً بحديثي النعمة

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في الموطن الخشن

وقال المتنبي : ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وهذا مثل قول شكسبير « فتىيان من فيرونا » وهو ما يقوله القائد الانكليزي عند مخاطبة
ضباطه وما كان يقوله الانكليز في كثير من كتباتهم وما كان يقوله سيبيويه في مخاطبة تلاميذه وما
يقوله الاساتذة من الانكليز والاميركيين في مخاطبة تلاميذهم وهذا يوافق المعنى الرابع من معاني
جنتلمان بالانكليزية على ما جاء في ص ٦٩٨ من الجزء الماضي ويدل على أن العرب وشعراءهم كانوا على
أدب كبير . وعليه أرى ان المعنى الاول من كلمة جنتلمان هي الفتى والكريم والسيد كذلك المعنى الثاني
والرابع والخامس والسادس . أما المعنى الثالث فلا يقال غير الفتى أي ان جميع المعاني يصلح لها كلمة
فتى وكريم وسيد . أما المعنى الثالث فانه لا يصلح له الا الفتى

الدكتور رضا توفيق

آراؤه في السلالة، وشكل الحكومة، والحرية، والديمقراطية، والارستوقراطية،
والفن والشعر، والفن والطبيعة، والفلسفة

للباسي ابو بكم

ليس من السهولة في شيء أن آتي - في هذه الصفحات القليلة من المقتطف - على جميع المراحل التي جازها صديقي الكبير الفيلسوف الشاعر الدكتور رضا توفيق بك في حياة طويلة طافحة بمجلائل الأعمال وألوان الاضطراب، فالأقدام على عمل كهذا يستغرق وقتاً طويلاً ومجلدات ضخمة لان حياة هذا الرجل إنما هي ملحمة كثيرة الوقائع، متعددة الصور، تبدأ عند اعلان الحرب بين تركيا وروسيا، تلك الحرب الطاحنة التي كانت نتائجها وخيمة على مسقط رأس الشاعر، وتنتهي - وقد لا يجوز لنا ان ننهيها - في مطلع الثالث الثاني من هذا القرن العشرين ولد الدكتور رضا توفيق من أب تحدر من سلالة ألبانية فكان آخر عقب من اولئك الفرسان الاشداء الذين نشأوا في الجبال فاستمدوا الصلابة من الصخور والصرابة من الطبيعة التي لا تتصنع ولا مشاحة في أن الشاعر ورث عن أجداده المتحمسين بعض خلال لا يزال يحترمها وبعض هفوات كانت شؤماً عليه في حياته السياسية، على أن هذه الهفوات المزعومة تقوم على فضائل جبلية كتمسك الاستقلال المطلق، والتمرد على كل سلطة لا تدعمها عاطفة احترام للرتب الانسانية. وكانت أمه شركسية تمت الى قبيلة «شابصيح» المتحدرة من القفقاس، وقد يكون الدم التركي المتمشي في عروق الشاعر متصلاً به من جذبه لآبيه، وهي تركية من مكدونيا فهذا الخليط في الدم يجعلنا نجاري الشاعر في إنكاره النظرية القائلة بنقاوة النسل، وهي ضلال فظيع تكاد عدواه تغمر هذا القرن العشرين الداهل المضطرب!... فهو يذهب الى ان نقاوة النسل إنما هي نظرية خلقت لدعم جنسية مصطنعة لتبرير سلطان مهاد هو ينبوع جميع الفتن التي تهدد السلام العالمي. فثمة طائفة من العلوم كالتاريخ والاثنولوجيا والانثروبولوجيا وغيرها تبرهن على أن البشر الحاليين قد جبلتهم حروب متواصلة منذ عشرات من القرون، وأن العوامل التي تجعل من شعب أمة متفوقة إنما هي عديدة، ولا يخفى أن تمازج الشعوب إنما هو اهم هذه العوامل واشدها تأثيراً. فالشعب اليوناني القديم، وهو أنبع الامم التي درجت على سطح هذه الكرة واكثرها تفوقاً من ناحيتي الثقافة والخلق، كان مزيجاً من شعوب مختلفة، وفي هذا برهان واضح على خطأ النظرية القائلة بنقاوة السلالة

ولنعد الى الدكتور رضا توفيق فنقول انه ولد في « جسر مصطفى باشا » وهو مدينة صغيرة تقوم على ضفاف مرجح — وقد اصبحت اليوم مدينة بلغارية معروفة باسم « ساريبرود » — في ٢٣ رمضان ١٢٨٣ الموافق للعام ١٨٦٨ ، ولما بلغ السابعة من عمره جاء به والده الى اسطنبول ، وكانت الحرب بين تركيا وروسيا على وشك الانطلاق ، فأتيح له ان يشهد تلك الحوادث المشؤومة التي كانت وبالا على تركيا ، ولا يزال يذكر خلع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس وجلس عبد الحميد على العرش وغير ذلك من الحوادث الخطيرة

وفي أثناء تلك الحوادث كان الشاعر منصرفاً الى الدرس في قلب الطبيعة التي اوحى اليه تعشقها ولا مشاحة في ان للطبيعة يداً على شاعريته التي ارتفع بها الى مستوى كبار الشعراء في تركيا . وفي العام ١٨٨٢ انتظم في المكتب السلطاني ، الا ان طبيعته الميل الى الاستقلال ، المتمردة على كل نظام دقيق ، وعلى كل سلطة لا تستطيع أن توحى اليه بالنقطة والاحترام جعلت حياته في تلك الجامعة صعبة لا تطاق . واخيراً في العام ١٨٩٠ اتهم بالائتمار على الحكومة فألقي القبض عليه وسجن اربعين يوماً . ومنذ ذلك الحين بدأت حياته السياسية التي دامت ثلاثين سنة . على اننا نضرب صفحاً عن ذلك العهد المضطرب من حياته ، ونكتفي بأن نقول ان الدكتور رضا توفيق يعيش في البلاد العربية منذ احدى عشرة سنة مغموراً بعطف صاحب السمو الامير عبدالله . وهو يقيم اليوم على ضفاف الشاطئ الوردي المضطجع عند اقدام مدينة جونية في تلك البقعة الرمادية من لبنان ، المتوجة بالاكمام السبع الممتدة من جبل حريصا الى طرف خليج جونية والشاخضة شخوصاً ازلياً الى الشفق البعيد المتموج بجميع ألوان الشمس الصريحة

والدكتور رضا توفيق شيخ يدلّف الى العقد السابع من العمر ، على ان الطبيعة خلعت على هيكله الجبار كل ما في وسعها فلم تستطع الايام أن تزيل عن جسده بريق الشباب . ففي عضلاته القوية ، تلك العضلات المقتولة الشبيهة بعضلات المصارعين ، وفي قامته المستطيلة كالاسطوانة ، واندلاق صدره الى الامام ، واسترسال كتفيه الى الوراء ، وفي اتزان مشيته العصبية ، ولقناته السريعة المتيقظة ، في ذلك كله عناصر من الشباب الجبار تخونها شعور بيض هي اكليل السبعين جبهة نافرة عالية تشطر الوجه الى شطرين متساويين أغدقت قمتها على الرأس شعراً غزيراً ترامت أمواجه الى سفح الرقبة ونفرت منها موجتان فانتشرت مشعنتين كل منهما على اذن . وفي سفح هذه الجبهة المنحدرة يعبس حاجبان متسقان جميلان تطمئن تحتهما مقلتان ساذجتان على ما فيهما من البريق الذكي هما مقلتا الفيلسوف الشاعر ، وانك لترتاح الى تلك الاشعة الغريبة المنبعثة من وراء نظارتيه الذهبيتين والمنتشرة شعاعاً على تينك الوجنتين المشربتين بألوان خمرة كألوان الشفق قبيل الغروب ، انك لترتاح الى ما يطفو عليها من الوجدان النير المغمور بأعذب ما في القلب البشري من زبد الرحمة والحب . وأول ما يقف نظرك عليه في ذلك الرأس المردود الى السلالة العبرانية القديمة ،

او اذا شئت الى فلاسفة اليونان في عهد سقراط وافلاطون لحية كثيفة تنحدر كالشلال الى مغرس
الهندوتين ثم يتجمع بعضها على بعض فتعير الوجه هيئة نبي خرج من التوراة ، وفي حنجرة هذا
الرجل لا أعلم أية كذارة أم أي أوتار ساحرة يهزك منها في الكلام صوت ، عذب تشد به غنة
كالتي تصدر عن رجع النحاس ، فهو اذا كلمك أطربك بحديثه وصوته معاً . والفيلسوف الشاعر
رضا توفيق مبسوط العلم باللغات الفرنسية والانكليزية والفارسية واليونانية والعربية

ولننتقل الآن الى آراء الدكتور رضا توفيق في الادب والاجتماع ، ولا سيما المسائل المتعلقة
منهما بالحرية والواجبات والحقوق والدين والحكومات وغيرها من المسائل التي يعبر عنها البعض
بصيغ مبهمه لا يستقيم لها وزن والتي كثيراً ما تنجم عنها مجادلات عقيمة مزعجة

﴿ شكل الحكومة ﴾ لا يزال كثيرون ، منذ نحو من قرن الى اليوم ، يعلقون شأنًا كبيراً
بشكل الحكومة حتى ان جميع الانقلابات الثورية تكاد تكون وليدة تلك العقيدة الداهية الى
ان الحكومات تتوقف على اشكالها . غير ان الدكتور رضا توفيق يخالف هذا المذهب قائلاً انه
وهم محض ، وان الاختبار اظهر له في مواقف متعددة ان كل شيء يتوقف على الحرب او على السلم
فثمة علاقة دقيقة بين الادارة المطلقة او المحافظة او الديكتاتورية والحروب العامة او المحلية .
اما الشكل فليس سوى بطاقة او اعلان او صورة لا طائل تحتها ، ولقد قال احد الشعراء الفرنسيين
ان شكل الحكومة يشغل افكار المجانين ، ولكن افضل الحكومات هي افضلها ادارة ^(١)

وكان كانت وسبنسر يقولان : « ان افضل الحكومات هي اقلها ادارة »

﴿ الحرية ﴾ ان كلمة « حرية » تدعو الى الالتباس بجميع الالفاظ المهمة او كمعظمها . ثم ان
هناك اصطلاحين للحرية ، الاول هو الاصطلاح النفسي وآخر الاصطلاح السياسي الاجتماعي .
ولما كانت النفسانية psychologie نوعاً من العلم الطبيعي فانها لتضطر الى انكار الحرية ، اذ ان كل
نوع من انواع العلوم يجتهد في شرح جميع العوامل التي يدرسها بأسباب من شأنها ان تحدد هذه
العوامل ، اذن فجميع العلوم مجبرة بحكم المنطق على الاقتناع بأن كل حادث انما هو نتيجة اسباب
عديدة لا نعرف الا بعضها

ولقد اتيج للبعض ان يزعم ان الذي اصطلح على تسميته بـ « الارادة البشرية » او « الارادة
المطلقة » انما هو السبب الالم الذي يحدد أفعالنا ، على ان النفسانية العلمية تبرهن لنا على ان الارادة
نفسها ليست سوى عامل محصل من عدة اسباب نفسية فيزيولوجية تشترك بدون علم منا في عمل
دماغنا ، ولما كان العمل الدماغي هو الذي يتيح لنا فرض تعديلات على الافعال المنعكسة التي تسببها
العوامل الخارجية فمن البديهي ان نخيل الينا اننا احرار

ولقد تناقش العلماء المسلمون طويلاً حول هذه المسألة العسيرة لاجل تقرير المسؤولية البشرية

(1) La forme de l'état préoccupe les fous, Le mieux administré est le meilleur de tous

من الوجهتين الدينية والحقوقية ، وظلوا يتناقشون حولها قروناً طويلاً . ثم انقسموا الى ثلاث فئات او مدارس : (المعتزلة) وهي القائلة بالارادة المطلقة ، واصطلاحها (ان شاء ترك) و (الجبرية) او اتباع مذاهب القدر الذين كانوا يذهبون الى ان المقدر لا يستطيع النزول على سنة التعديل . و (اهل السنة) الذين كانوا يعتقدون ان للانسان « ارادة جزئية » يستطيع معها الاختيار بين مقدورين لا مناص منهما كالخير والشر مثلاً . وهذا المذهب الاخير هو المعروف اليوم بمذهب « الحرية في الاختيار » وهو الذي يعتنقه الدكتور رضا توفيق بحجة ان العلم يوافق اهل السنة في مذهبهم لان الارادة المركزية هي في الدماغ

اما الحرية السياسية فهي احترام الشريعة الوضعية مع التمتع الممكن بالافعال التي لم يستدرکها التشريع المستبد . وخلاصة القول هي خضوع اختياري لقانون يرمز الى ارادة شعب مثقف ، وليس خضوعاً جبرياً لارادة سلطان او حاكم فرد اريستوقراطياً كان او ديموقراطياً ، او لارادة وصولي او ديكتاتور . واما الحرية الاجتماعية فهي حق الفرد في ان لا يخضع لتقاليد بلد بشرط ان لا يكون تمرده مخالفاً للشريعة الوضعية او للاصطلاح الاخلاقي الادبي المقرر في العالم

﴿ الديموقراطية ﴾ ذلك هو رأي الفيلسوف رضا توفيق في الحرية ، اما رأيه في الديموقراطية فيأخذ بما يلي :

يراد بالديموقراطية حكومة الشعب . ولكن أيستحيل ذلك ؟ لقد حصر الفيلسوف العظيم شوبنهاور هذه المسألة في برهان ذي حدين ، فقال : « انه لمن الظلم المحرم ان يحكم شعب بالرغم منه » وهذا حق على أنه أضاف إلى ذلك قوله : « وان الشعب ولدٌ وظل ولدٌ ويحكم بالرغم منه » . وهذا يبعث على القنوط . الا ان القرآن - لحسن الحظ - أعطي أفضل حل لهذه المسألة العسيرة ، فقد جاء فيه قول الآية : « ولقد كرمنا بني آدم . . . » إذن فالانسان مكرم أيضاً كان ، وينبغي ان تحترم قيمته الانسانية التي لم يستمدها لا من ملك ولا من رئيس جمهورية بل من نعمة الله نفسه الذي خلقه على صورته . ولقد اضاف النبي قوله : (سيد القوم خادمهم) وإذن فأول شرط من شروط السيادة ان يكون السيد خادم الشعب الذي اولاه السيادة عليه

﴿ الاريسطوقراطية ﴾ يراد بالاريسطوقراطية ، حكم الشعب بأفضل شخص بشري . على ان الاريسطوقراطية هي اليوم نوع من الامتياز الاقطاعي الوراثةي يقوم على (حق الفتح) الذي لا يوفر لمدعيه جميع الخلال والفضائل التي تجعل من الرجل شخصاً متفوقاً تفوقاً حقيقياً يرفعه الى مستوى أفضل انسان في الامة . ومثل هؤلاء الاشخاص لا يستطيعون ان يحكموا بألقابهم وأنسابهم ورفوقهم أمة بأسرها جديرة بانجاب طائفة من النوابع كما هي الحال اليوم في الامم الراقية . إذن فالاريسطوقراطية التاريخية لن يحق لها التمتع بالسلطة الوراثةية في ادارة بلد ما لم تخلق نوابع . على ان ثمة اريسطوقراطية طبيعية لا تتعدى كونها فردية اي اريسطوقراطية نبوغ موهوب ،

كاريسطوقراطية سقراط وكانت وابن رشد في الفلسفة ، وغليلى وباستور واينشتين في العلوم ،
وشكسبير وجوته وهيجو في الشعر ، وبيتهوفن وجونود وفردى في الموسيقى ، وهلم جرأ . ولقد
جاء في القرآن الكريم (وفضلنا بعضهم على بعض)

﴿ الفن والشعر ﴾ يراد بالشعر الصحيح الذي يعبر ، بلغة سليمة مألوفة وإنشاء موسيقي وجيه
وأسلوب ذي عصمة في الصياغة ، عن بعض شواعر حارة تهزّ الروح البشرية هزاً عميقاً . وهذه
الشواعر — ينبوع الهاماتنا البديعية التي لا تنضب — لا تتأني إلا في اوقات العوارض النفسانية
التي لا علاقة لها قط بأغراض الحياة الحيوانية المادية ويرجع ذلك الى ان هزة نفسانية شديدة تير
دخيلة الرجل على حين غرة فترحب آفاقها المظلمة المتحيرة وتوقظ فيها جميع الخصاصع الفعلية . وفي
هذه الحالة من الاستنارة الداخلية يستطيع الرجل ان يرى ويميز بوضوح وجلاء عوامل العاصفة
العاطفية التي تحرك روحه . عند هذا يترأى العالم الخارجي نفسه لعينيه المنذهلتين في اجمل صورة
من تألفه ويكشف له في جميع تبدلاته المؤثرة العلاقات الحميمة التي تربطه بالوجود الكلي ربطاً
لا انحلال له . فالفني الحقيقي ، وهو خالق في الصيغ ، يتناول جميع مجازاته ورموزه وكنياته من
تلك العلاقات الحميمة نفسها التي تجعله دائماً يتحد في حياته والطبيعة الجميلة

وهذا الاتحاد المكين يضيء في روح الشاعر الحقيقي كما تضيء اشعة الشمس اذ يشمل الوجود
بأسره ، فهو مقرر النفاؤل الذي يحول الحياة الاكثر دعة الى سعادة كلية فالجمال الذي يوحى الحب
ليس سوى التأثير الهادي الهنيء يعالجه ذلك التألف الكلي العجيب في روحنا المسجورة .
والتعريف البياني للمزاج الفني انما هو بالتدقيق تلك الحاسة المتطرفة ولكن السليمة ، التي يتاح
لها عند اقل داع ان تحدث في النفس تأثيرات شديدة خصبة ، فالعمل الفني شعراً كان او موسيقى
او نقشاً ما هو في التحليل الاخير سوى المادة التي تنجم عن مثل تلك الحاسات البديعية بشكل
من التعبير يمت الى الموضوع بصلب شديد . اما البصيرة ، ويراد بها النظر الصائب المحكم للعوامل
الداخلية . فهي اظهر حالات نفسية الفن . وهذا النظر الصائب يوفر للشاعر عدّة عمله كلها ، كالشعور
والفكرة والصور الاستعارية والرموز وأخيراً جميع هذه الاشياء التي تؤلف عملاً فنياً والتي لا توجد كما هي
في العالم الخارجي . فالفني النابغ لا يسأل العالم الخارجي إلا الاشياء الجامدة ليستعملها وسائل للتعبير فقط
تلك هي — في خطوطها العريضة — نظرية الدكتور رضا توفيق في الفن ، وهي نظرية خطيرة
تجعل من الصدق قاعدة الفن الاساسية وشرطه اللازم ، وتبرهن على ان طبيعة الفن انما هي الحياة وان
الفن الحقيقي متحد مع الحياة الكلية ، ينبوع الذي لا ينضب لاي إلهام بديعي ، وترينا اخيراً
بجلاء ووضوح أن الفن انما هو غير الصناعة ، وانه ليس ثمة شعر قديم وحديث ، بل هناك شعر
حقيقي ومزيف ، فالشعر الحقيقي لا يتصل بالزمان ولا بالمكان فهو خالد كالنفس ودائم كالحياة الشاملة
﴿ الفن والطبيعة ﴾ الطبيعة هي مجموعة الوجود بما فيه من الشرائع المعروفة او غير المعروفة

والحوادث المدركة او غير المدركة . وقد قيل ان الطبيعة هي أمرُ الصنّاع . صحيح ، ولكنها تعالج صناعتها او فنّها على ما تشاء ، وجميع اعمالها حيّة . وقيل ان الطبيعة هي ينبوع الفن الذي لا ينضب . وهذا صحيح ، على ان الفن هو انساني قبل كل شيء ، فهو عمل النبوغ البشري ، ومن الهذيان أن يزعم البعض ان تمثال الزهرة ، أو تائيه ابن الفارض ، او الجراء في غرناطة ، أو صورة من صور رفايل ، او نغمة من نغمات بيتهوفن هي طبيعية كالشجرة او كالزهرة

يزعم الطبيعيون أن الطبيعة هي أكل مثال ينبغي للفني ان يقلّده ، ويزعم الخياليون انه ينبغي للمرء ان يتصور الاشياء تصويراً أو أن يكتشف من وراء هذه الاشياء الفكرة الجوهرية المختبئة فيها ، ويسعى الرمزيون أن يهتدوا الى الصيغة الرمزية الاكثر بلاغة وتبياناً ليتاح لهم معها التعبير عما يرونه في الطبيعة ، إن بالريشة وإن بالقلم او بالقطعة الموسيقية . وهلمّ جرّاً

كل هذا حسن ، على ان الشاعر رضا توفيق لا يرى في هذا كله سوى تعبير عن شواعر بديعية ليس لها أقل علاقة بالنفس او بالحياة الداخلية . وقد قال : « إني لاؤثر أن أعتبر بأبيات من الشعر وبانشاء سليم ليس عن طلوع الشمس او مغيبها مثلاً بل عن الشعور القوي الذي يوحيه الى مشهد الشمس الجميل . فبهذا التعبير اكون قد أتيت على تبيان حاتي النفسية وليس على تبيان حالة الشفق والمناظر عند طلوع الشمس او مغيبها » إذن فالطبيعة النفسية هي التي تمثل دور الفني وليس الطبيعة الافقية التي ليست سوى عامل او سبب من اسباب التهييج

الفلسفة * يذهب الدكتور رضا توفيق هذا المذهب الشائع وهو ان الفلسفة علم يبحث في ايجاد نظريات حول المسائل التي تطرحها معميات الحياة على ذكائنا المذهول . وهي ايضاً فن يستعمل لبناء مذهب عقلي على نظريات مختلفة . إذن ليست الفلسفة علماً دقيقاً بل هي تاريخ الافتراضات البشرية حول اسرار الوجود . واذن فهي محاولة خاسرة او نوع من انواع التسلية العقلية ولكن عند ما نشعر بحاجة ملّة الى تقرير تصرفاتنا في الحياة بمبدأ عقلي تصبح الفلسفة وهي أخت المنطق وترتفع الى مستوى الجدّ

كان الاغريق يفصلون الفلسفة عن الدين ويذهبون الى انها علم معرفة السعادة ، على انهم لم يستطيعوا الاتفاق على طبيعة السعادة . ويقول الدكتور رضا توفيق ان السعادة انما هي عقيدة او حالة نفسية لا علاقة لها بالفلسفة ، وما عدا ذلك فهو يعتنق مذاهب كبار الفلاسفة وعلى الخصوص مذهبي اريسطو وزرّ دشت ، النبي الفارسي القديم

تلك خلاصة الآراء التي استطعت ان اكشفها في الشاعر التركي المنفي خلال الاحاديث المتباعدة التي ننداؤها في كل سانحة . وهي في معظمها آراء وجهية لها وزنها الادبي وقيمتها ، فضلاً عن انها تشير اشارة واضحة الى عقلية وروحانية ناضجتين لا نلمس مثلهما بين ادبائنا ومفكرينا الأندلس

فضل « الصفر » على المدنية

لقرى حافظ طوقان

﴿ مقدمة ﴾ قد يعجب القارىء من هذا العنوان .. وقد يتبادر الى ذهنه اسئلة كثيرة : ما علاقة « الصفر » بالمدنية ؟ وهل للصفر قيمة فيكون له اثر في تقدم المدنية ؟ أليس الصفر صفراً فيعنى الفراغ والعدم اذن . . . فكيف تسند اليه هذه القيمة الكبيرة وتخصص بضع صفحات من مجلة علمية لها مقامها العلمي كالمقتطف للكتابة عنه ؟ ولكن مهلاً . . . لنفكر قليلاً ، ولنرجع الى الكتب الرياضية وغيرها فقد يظهر لنا اشياء لم نكن نعرفها وقد نتيين للصفر مميزات وخصائص ما وقفنا عليها ، وما كان لنا ان نجرؤ فنضع هذا العنوان لولا اعتقادنا صحة ما نقول ولولا ان التحصيل والتعمق افضيا بنا الى ذلك . وغرضنا ان نبين للقارىء الفوائد التي تمنحها البشرية من « الصفر » والتسهيلات التي قدمها للبحوث الرياضية وغير الرياضية والتي لولاها لما تقدمت العلوم الرياضية تقدمها الحاضر ولما استطاع علم الجبر ان يخطو خطواته الواسعة المعروفة وبالتالي لما تقدمت العلوم التي تعتمد على الرياضيات في كثير من مباحثها كالفيزياء والفلك والكيمياء

﴿ نبذة تاريخية ﴾ وقبل ذكر شيء عن « الصفر » وخصائصه وفوائده نرى ان نذكر اولاً نبذة عن تاريخ الترقيم واستعمال اشارة الصفر . ان النظام الذي نتبعه الآن في الترقيم يبنى على اساس القيم الوضعية ، وبواسطته يمكن ترقيم جميع الاعداد واجراء الاعمال الحسابية بسهولة كبيرة . ولقد بقيت الامم في القرون الخالية كالمصريين والبابليين واليونانيين وغيرهم محرومة من هذا النظام وكانوا يجدون صعوبة في اجراء الاعمال الحسابية حتى ان عمليتي الضرب والقسمة كانتا تقتضيان جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً . ولو قدر لاحد علماء اليونان من الرياضيين ان يبعث فقد يعجب من كل شيء ولكن عجباً يكون على اشده اذ يرى ان اكثر سكان الاقطار في اوربا واميركا يتقنون عمليتي الضرب والقسمة ويجرونها بسرعة ومن دون عناء

ولما نهض العرب نهضتهم العجيبة ودوخوا اكثر اقطار المعمورة اتصلوا بالهند فاقتبسوا فيما اقتبسوه منها الارقام الهندية ، وقد قدروا النظام الترقيمي عندهم (عند الهنود) ففضلوه على حساب الجمل الذي كانوا يستعملونه قبلاً . ومن الغريب ان في بلاد الهند اشكالاً متنوعة ومختلفة للارقام ،

ولكن العرب بعد ان اطلعوا على اكثر هذه الاشكال كوتوا منها سلسلتين عرفت احدها باسم (الارقام الهندية) وعرفت الثانية باسم (الارقام الغبارية). ففي بغداد والجانب الشرقي من العالم الاسلامي عم استعمال الاولى اي الارقام الهندية وهي التي لا تزال شائعة ومستعملة في بلادنا. وشاع استعمال الثانية اي الارقام الغبارية في القسم الغربي - في الاندلس وافريقية والمغرب الاقصى - وهذه الارقام هي المستعملة الآن في اوربا وهي المعروفة باسم الارقام العربية (Arabic Numerals) ولم يتمكن الاوربيون من استعمال هذه الارقام في الاعمال الحسابية الا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها اي انه لم يعم استعمالها في اوربا والعالم الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد ولم يفتن احد قبل الهنود لاستعمال «الصفر» في المنازل الخالية من الارقام، وقد اطلقوا عليه لفظة «سونبا» ومعناها «فراغ». واستعملوا النقطة (.) كعلامة للصفر وقد اخذها العرب عنهم واستعملوها في معاملاتهم. ويقال ان الهنود لم يلبثوا ان عدلوا عن استعمال النقطة واخذوا يكتبون الصفر بصورة دائرة

﴿فوائد الصفر﴾ مما لا جدال فيه ان نظام الترقيم الذي نعرفه الآن والمنتشر بين اكثر ارم الارض هو من المخترعات الاساسية القيمة ذات الفوائد الجللى التي توصل اليها العقل البشري، وهذه الطريقة لم تنحصر (كما لا يخفى في تسهيل) الترقيم وحده بل تعدته الى تسهيل جميع اعمال الحساب. ولولا هذا النظام لما رأينا سهولة في الاعمال الحسابية ولاحتاج المرء الى استعمال طرق عويصة وملتبسة لاجراء الضرب والقسمة. ومما لا شك فيه ايضاً انه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فاقت الارقام العربية والهندية غيرها من الارقام ولما كان لهما اية ميزة، بل لما فضلتها الامم المختلفة على الانظمة الاخرى المستعملة في الترقيم. والنظام المستعمل والشائع الآن يقضي بجعل قيمة الرقم تتغير بتغير منزلته اي انهم اوجدوا منازل للارقام تكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة اذا نقل من منزلة الى اخرى، فالرقم الذي على اليمين يدل على الآحاد والذي يليه على العشرات والذي يليه على المئات وهكذا... واذا اردنا ان نكتب العدد (ثلاثة واربعين) فاننا نضع الثلاثة في المنزلة الاولى اي منزلة الآحاد والاربعة في المنزلة الثانية اي منزلة العشرات وتكتب هكذا (٤٣) وهنا نجد ان الثلاثة دفعت الاربعة الى المنزلة الثانية الى اليسار واعطتها قيمة اربعين. ولكن اذا اردنا ان نكتب بالرقم العدد (اربعين) فمعنى ذلك انه علينا ان نجد رقماً يدفع الاربعة الى المنزلة الثانية الى اليسار وبذات الوقت لا يزيد في المجموع شيئاً ومن هنا استعمل الصفر ووضع علماء الهند علامة له لتملاً المرتبة الخالية فجاءت مكتملة لطريقة كتابة الأعداد بالارقام

وللصفر فوائد اخرى هي من عظم الشأن في مكان عظيم لا يقل خطرها عن التي ألحنا اليها، فلولاها لما استطعنا ان نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن، ويمكن القول بأن الرسم البياني لم يتقدم خطواته الواسعة الا باستعمال الصفر، والرسم

البياني من أهم بحوث الرياضيات وعليه ترتكز الهندسة التحليلية وحلول كثير من المعادلات الصعبة بل هو الركن الاساسي للموضوعات التي تحتاج الى استعمال علم الاحصاء . وهل تقدمت المثلثات تقدمها المعروف الا بمعادلاتها ؟ وهل يستطيع الرياضي ان يتقدم خطوة في حلها الا اذا استعمل اشارة « الصفر » ؟

قد يدهش القارئ اذا قلنا ان حساب التمام والتفاضل لا يستغني في بحوثه عن استعمال الصفر ، بل ان الصفر عامل مهم جداً في تسهيل حل كثير من مسائله العويصة الصعبة . وعلى كل يمكن القول بأن « الصفر » ضروري ولازم في البحوث الرياضية الحديثة والعالية اذ جعل كثيراً من الاوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك يمكن الاخذ بها والاستفادة منها واستعمالها في فروع المعرفة من فلك وطبيعة وكيمياء وهندسة وما يتعلق بهذه من صناعة وفن

﴿ علاقة (الصفر) بالمدينة ﴾ ألا تشاركني أيها القارئ في الإعجاب بالارقام التي نستعملها ويستعملها الاوربيون وبالنظام الذي يستولى عليها ؟ أليس عجيباً ومثيراً للدهشة ان لا تجد اقل صعوبة في كتابة اي عدد شئت (مهما كان كبيراً) من ارقام لا يتجاوز عددها عدد الاصابع ؟ ألا ترى معي ان هذه الارقام العجيبة قد سهلت الاعمال الحسابية كثيراً ؟ ألا تعتقد انه لولاها لما تقدمت المعاملات التجارية تقدمها الحاضر ؟ ولولاها ايضاً لوجدنا صعوبة كبيرة جداً في اجراء أبسط الاعمال في الضرب والقسمة ؟

ارجح ان كل هذا معروف لديك وتوافقي عليه ولكن قد يزيد مجيبك اذا علمت ان اشارة « الصفر » هي التي اوجدت اكثر التسهيلات التي تراها في الترتيم وهي التي اعطت بعض الخصائص الممتازة للارقام . لقد ظهر لك من هذا المقال المقام العالي الذي يشغله (الصفر) في البحوث الرياضية وانه عامل مهم في ترقيتها وفي تسهيل الصعب منها ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا انه لولا الصفر لما تقدم العلماء تقدمهم الغريب في العلوم الرياضية . وهنا قد يحلو للبعض ان يسأل ويقول : قد يكون للصفر هذا المقام في الرياضيات وقد يكون له هذا الاثر الكبير في ارتقاءها ، ولكن ما علاقة ذلك بالمدينة ؟ وهل المدينة تقوم على الرياضيات ؟

وجواباً عن هذا السؤال ليسمح لنا القارئ ان نعطي الجواب اولاً فنقول : نعم . ان المدينة في أساسها وجوهرها ترتكز على العلوم الرياضية . ونسأله الآن ان يتهمل وان لا يرمينا بالتسرع قبل قراءة بقية المقال فالامل وطيد بأنه سيجد فيه ما يحقق قولنا وقد يوافقنا عليه ويشاطرنا الرأي فيه ، وزجو ان نخرج وايه من هذا الحوار متفقين راضيين بالنتائج التي توصلنا اليها ان كل فرع من فروع المعرفة يتقدم ويتناول التغيير والتبديل وكلما اقترب هذا الفرع من الارقام زاد دقة في التعبير ونحنا نحو السكالم ونحو الذروة من الحقيقة . قال كانت Kant « يكون العلم دقيقاً اذا استعمل العلوم الرياضية في بحوثه » ولم يستطع العلماء ان يستفيدوا من بحوث الضوء

ومن انكسار النور الآن بعد ان افرغوا قوانين الانكسار في قالب رياضي وبذلك استطاعوا ان يستعينوا بالمعادلات والارقام في العدسات التي تستعمل لاصلاح عيوب العين . ان علمي الفلك والفيزياء وصل الى درجة كبيرة من الدقة والكمال ، وما ذلك الا بفضل الارقام والمعادلات . جرد هذين العلمين من رياضياتهما بل جرد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها وحينئذ لا يبقى الا تعريفات ومبادئ لا يمكنك ولا بحال من الاحوال ان تستفيد منها او ان تطبقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوي العقل خصب الفكر ان يقف على اسرار الطبيعة والكون ولن يستطيع الغوص في بحارها ليقف على كنوزها وعجائبها ، الا اذا الم بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها ، وان الكيمياء الحديثة لفي حاجة الى الرياضيات حاجتها الى التجربة والاختبار وناهيك بالكيمياء فهي الاساس الذي شيد عليه صرح الصناعة في هذا القرن وازدهرت هذا الازدهار العجيب . ان هذا العصر لهو عصر الهندسة وعصر الآلة وكل هذه في حاجة الى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منها او تطبيقها على مقتضيات العمران الا بذلك . قال البروفسور فوس Voss « ان مدينتنا التي تركز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على اساس العلوم الرياضية » . فالهندسة وأنواعها والملاحة والصناعة كل هذه تحتاج الى الرياضيات ولا يمكنها ان تستغني عنها ، بل ان اساس انشائها تقوم على الارقام والمعادلات . وما يقال عن هذه العلوم يمكن ان يقال عن علوم اخرى الى حد ما ، فان هذه كلما تقدمت وكلما استطاعت ان تدخل الارقام في بحوثها تقترب من الدقة والكمال . فالعلوم على اختلافها اذا اقتربت من الكمال فانها لا بد محقة في سماء العلوم الرياضية وفي جو من الارقام والمعادلات

من هنا تظهر لنا الفوائد التي تجنيها المدنية من العلوم الرياضية ومن استعمالها في العلوم والفنون الاخرى ، وقد ظهر ايضاً كيف ان الحضارة الصناعية مبنية على اساس من الارقام والمعادلات وقد سبق ان ابنا مكانة الصفر في العلوم الرياضية وفضله في تسهيل المسائل والاعمال ، ومن هذه النقطة يتبين للباحث فضل الصفر على المدنية والصناعة

وقبل الختام اود ان اوجه نظر القارئ الى اني اخشى ان يساء فهم هذا المقال فيظن ان الصفر هو الكل في الكل في العلوم الرياضية وبالتالي في المدنية ، ومع استبعادي لذلك ارجب في القول بأن الصفر (ولا شك) عامل مهم في البحوث الرياضية لا يستغني عنه وهو لازم وضروري لها ولتسهيل المعاملات والاعمال الحسابية ، وينتج من ذلك الى انه عامل مهم في الصناعة والاعمال الانشائية التي تحتاج الى استعمال الارقام والمعادلات . فأعجب لصفر يشغل هذا المقام السامي وتجنبي منه الحضارة فوائدهي على اعظم جانب من خطر الشأن

معجزات الكهرباء

مستنبطات جديدة في دقائق الكهرباء

تبين مبلغ سيطرة القوة الكهربائية على المعيشة الانسانية

لعرضى هنرى

يستفاد من احدث الانباء التي وردت على الدوائر العلمية في اوربا وأمريكا ان رواد العلم القائمين بالمباحث في احد ميادينها العجيبة قد استنبطوا حقائق جلية مذهشة اذ تبينوا اسباب وقوف السيارات في طرقها ، وتعطلها بلا علة ظاهرة . وعرفوا كنه استنبات البذور في تربتها ، وادركوا طريقة تقف البيض ، وفهموا سر الراديو وغيره من الظواهر الطبيعية المحيطة بنا حتى اسباب ما يشعر به الانسان من سراء وضرراء عند قيامه من نومه . فصاروا يعززون تلك الحوادث الى المقذوفات الكهربائية الخفية التي تسدّد الينا من ارجاء الكون . وقد اضافت حديثاً المختبرات العلمية في شتى البلدان ، معارف جديدة الى الحقائق المعروفة الخاصة بالعمل السحري الذي تعمله القوة الكهربائية التي في الاجواء

ففي ايطاليا مثلاً ، قام احد العلماء باطلاق امواج كهربائية في الجو فغيّر بها نظام الوراثة في النباتات . ونبغ في هولندا عالم آخر يقتل البكتيريا بالامواج الكهربائية فاستطاع درء الفساد عن الاغذية البشرية . وتمكن عالم غيرها في المانيا من الفوز بنتائج مذهشة بكهربة الهواء في حجر المستشفيات . واتيح في الولايات المتحدة لجراحين من نطاسيتها كشف حقيقة علمية جديدة ، وهي ان القذائف الكهربائية الدقيقة ضرورية لادمغة الناس وأبدانهم

ولعلمهم يهتدون بمباحثهم في الارياح الكهربائية والعواصف المغناطيسية والدخان الشمسي والغبار الكهربائي ، الى حل الغاز الطبيعية التي التبت عليهم من قديم الازمان . وغدا كثيرون من العلماء يعتقدون ان تفسير الالغاز الطبيعية التي بين ظهرانينا ، والوقوف على اسرار الحياة والوراثة والموت ، كلها كامنة في دقائق المشحونة بالكهربائية . وانه ليس في ميادين المباحث العصرية ما يماثلها في اسرارها العجيبة وفيما ينتظر ان تأتينا به من الخيرات العميمة

✽ سر وقوف السيارات وتعطل الطيارات ✽

كان رتل من السيارات مؤلف من مائة سيارة ونيف سائراً منذ عهد قريب بين مدينتين في امريكا فهبت عليه ريح هوجاء اثارت الرمال ففلات الجو حول السيارات غباراً . فأخذت محركاتها

تقف بقطة بلا سبب جليّ . فكنت ترى حينئذٍ السيارات كلها معطلة وجميع سائقها منهمكين في ادارة مقوماتها عبثاً ، وهم لا يدركون علة تعطل المحركات . وظلوا على تلك الحال حتى سكنت الريح فجعلت المحركات تدور فاستأنفت السيارات سيرها ففطن السائقون الى ان قوة خفية كانت العاصفة منارها ، عطلت اجهزة اشعال البنزين في محركات السيارات تعطيلاً وقتيًّا

فكان ذلك الحادث الغامض مدعاة لتذكر الباحثين ما اشيع في خلال الحرب العالمية بشأن شعاعة مبهمة كانت تستعمل وقتئذٍ لوقف محركات الطيارات واسقاطها . فاعلن عالم نمسوي منذ بضعة اسابيع انه اخترع جهازاً من هذا الطراز تنطلق منه في الجو امواج كهربائية قصيرة جداً فتعطل اجهزة اشتعال البنزين في محركات الطيارات وهي طائرة

اذن يتسنى للباحث ان يفقه سرّ تعطل السيارات في ذلك الرتل الاميركي من استنباط جديد استنبطه العلماء في كثير من انحاء العالم . وهو ان عواصف الرمال تولد دائماً قوة كهربائية . وقد تكون تلك الدقائق الكهربائية (الايونات) إما موجبة واما سالبة . ويتوقف ذلك على نوع التركيب الكيماوي للرمل والغبار في الجهة التي يقع فيها الحادث . ففي جنوب افريقية حيث يكثر البلور الصخري ، تكون الدقائق الكهربائية دائماً موجبة . وفي انكلترا حيث يحزل حجر البلاط تشبع الارياح الهوج التي تنور على الطرق المطروقة جداً بالسيارات ، بمقدوفات من الكهرباء السلبية وفي كليفورنيا عالم شاب هو (ريتشارد فولرات) اخترع جهازاً بديعاً لتوليد زوابع الرمال مطبقاً العلم على العمل ، فصار في وسعه اثاره رياح مشبعة بالغبار في انابيب من النحاس الاحمر تولد قوة كهربائية تدخر في كرة معدنية ضخمة قد تبلغ ٢٦٠٠٠٠ فولط كما ثبت في احدي التجارب وفي فصل الربيع الماضي قامت دائرة المقاييس في وشنطون بتجارب تبينت بها مبلغ تأثير القوة الكهربائية الجوية في محركات السيارات اذ شحن الهواء الذي ادخل في منفذ جهاز (مزج الهواء بالبنزين) بعدة دقائق مكهربة مختلفة محشودة بعضها مع بعض ، فكانت قوة محرك السيارة تختلف باختلاف عدد تلك الدقائق المكهربة

الكلف الشمسية والراديو

ويرى الخبIRON ان السنة الحالية اصلح ما يكون لسماع الراديو منذ سنة ١٩٢٣ لاننا نستطيع سماع الاشارات من ابعد المسافات اشد وضوحاً وانتظاماً منها في السنين العشر الماضية . وسبب ذلك ان التقلبات الحاصلة في الكهرباء الجوية طفيفة لضوالة الكلف الشمسية . والمعروف ان الكلف بمثابة براكين من الغاز الناري على وجه الشمس ، يزيد عددها او ينقص في ادوار زمنية منتظمة يبلغ كل منها احدى عشرة سنة . وهي الآن في احط دركاتها . اما في السنوات الخمس المقبلة فسيحدث على وجه الشمس عدد من الكلف يزيد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ غايته نحو سنة ١٩٣٩ ثم

يأخذ في التناقص حتى يختفي بته سنة ١٩٤٥ وحينئذٍ ينتهي دور آخر من ادوار الكلف الشمسية وفي السنين السبع الغابرة قام عالم فلكي ومهندس من المشهورين بمباحث توخيا بها التبخر في درس علاقة الكلف الشمسية بالراديو . وهما الدكتور هارلان . ت . ستسون مدير مرصد مركز والدكتور جرينليف بكر د الذي يعد من اقطاب امريكا الذين اشتغلوا بنقل الحديث بالامواج الكهربائية . فكان الدكتور ستسون يرصد ويصور الكلف الشمسية يوماً فيوماً ، بينما كان زميله يرقب التقلبات التي كانت تحدث في ذلك الحين في قوة امواج الراديو التي كانت تنجىء من محطات الاذاعة القاصية

ولما تضاعف عدد الكلف الشمسية في سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ كانت اشارات الراديو تضعف شيئاً فشيئاً . ولكن من سنة ١٩٢٩ فصاعداً حينما نقص عدد الكلف الشمسية ، اشتدت اشارات الراديو . فعلم العلماء ذلك بأن الغلاف الضخم المؤلف من الدقائق المكهربة الذي يحفُّ بالارض (وهو المعروف بطبقة كيني و هيفسيد - نسبة الى العالمين اللذين استنبطاه) يتأثر بالتقلبات التي تحدث في الشمس . لأن الشمس تقذف الارض بفيض من الدقائق الكهربائية كالذي ينبعث من انابيب الاشعة السلبية الضخمة . ومتى صدمت تلك الدقائق الغلاف الجوي ، مزقت دقائقه وجعلتها ذات كهربائية ايجابية او سلبية ، فيقوم (ذلك الغلاف المكوّن من الدقائق المكهربة والذي يعلو عن سطح الارض نحو ٧٠ ميلاً) مقام مرآة ضخمة تعكس او تردّ امواج الراديو المتجهة نحو الجو الى الارض ثانية . ومتى انعكست الامواج او ارتدت بفعل ذلك الغلاف المكون من الذرات الكهربائية ، استطاعت قطع المسافات البعيدة والدوران حول الارض . وتتوقف درجة تكهرب ذلك الغلاف على مبلغ قوة الشمس . فان كانت شديدة جداً ، اي حينما تكون ذات كلف كثيرة جداً ، انطلق منها اكبر عدد من الكهارب فيزداد تكهرب تلك الطبقة ودنوها من الارض فتردّ امواج الراديو بعنف اشد من ردّها الاول وتقصّر المسافة التي تقطعها . ومن جهة اخرى فان اي نقص في قوة الشمس يقلل من تكهرب الطبقة الهيفسيديّة ويفككها ويرفعها فيكون ردّها للامواج اضعف من ردّها السابق وتضطرها الى قطع مسافات ابعد على سطح الارض . وبهذه الوسيلة يكون عدد وتقلص ذلك العاكس الممثل في الغلاف المحيط بالارض مسيطراً على المسافة التي تقطعها امواج الراديو

وقد قرر الدكتور ستسون ان القمر (كالشمس) يؤثر تأثيراً محدوداً في تلقي الراديو ، فقد اتضح له بتحليل اشارات اذيعت بالراديو بين مدينتي شيكاغو وبوسطن ، ان قوتها زادت حينما غار القمر تحت الافق ، ونقصت عند ارتفاعه الى السمّ ، وهو يعتقد ان هذا ينشأ من اشعة الراديو التي تشع من القمر فتتميل الى دفع الغلاف السابق الذكر الى اسفل حينما يرتفع القمر ارتفاعاً عمودياً فتقلل بذلك المسافة التي تستطيع امواج الراديو قطعها

﴿ مصادر القذائف الكهربائية ﴾

والواقع ان في كل جانب من جوانب الكون قذائف كهربائية دقيقة — بعضها سالح في الهواء وبعضها منبثق من الشمس مخترق اجسامنا، والبعض كمين في المواد التي نتغذى بها . ولكننا لم نعرف كثيراً بشأن تلك الدقائق الكهربائية الخفية الا منذ بضعة سنين والمعروف انها تكون اولاً ذرات ثم ينزع منها كهرب من كهاربها . ففي الايام المصحبية يكون الهواء مشبعاً بالدقائق الكهربائية اكثر منها في الايام الغائمة . وكذلك في الايام الدفيئة اكثر منها في الباردة . وايضاً في الايام الصافية اكثر منها في الايام التي يكدر جوها الدخان . ويختلف عدد الدقائق الكهربائية الجوية (الايونات) من ساعة الى اخرى بل من دقيقة الى دقيقة . ويحدث التغير طبقاً للجزر والمد في الحرب العوان الخفية الدائرة حولنا على الدوام . ونعني بها النزاع الحاصل بين القوات التي تخلق الدقائق الكهربائية والقوات التي تبيدها . فالقوى التي تولد الايونات هي الاشعة الكونية التي تصل الينا من الفضاء الخارجي، والاشعاع الصادر من الشمس، وتأثير المواد المشعة مثل الراديوم فوق سطح الارض وتحت سطحها

ينبعث من الشمس مقادير جزيلة من الدقائق المتناهية في الصغر المشحونة بالقوة الكهربائية . وبعض العلماء يسمي تلك الكتلة المتحركة ، « الدخان الشمسي » . فاذا دنا منا ذلك الجري المؤلف من الدقائق المشحونة بالكهربائية أصبح تحت سيطرة المجال المغنطيسي الارضي ، وانشرط شطران يتجه كل منهما نحو قطب من قطبي المغنطيس . ومتى وصل الى الجو الخارجي للاقطار القطبية فكثيراً ما تصطدم الدقائق بحبيبات الهواء فتتمزق فيتولد منها ظاهرة جميلة تعرف باسم نور الشفق . وتظل الدقائق المتمزقة معلقة في طبقات الهواء العليا فتقوم مقام نواة لتكوين السحب الرقيقة المرتفعة وتسمى بالعربية الفصيحة القزَعُ

ثم ان الشلالات مصانع تصنع فيها الايونات ، ومنها شلال نياجرا الذي تشبع مياهه بكهربائية ايجابية والهواء المحيط به بكهربائية سلبية . حيث تتولد من رشاش الماء دقائق كهربائية ايضاً . والغريب في هذا الموضوع ان رشاش الماء الملح يشبع الهواء المحقق به بدقائق ايجابية على حين ان المياه العذبة تشبعه بدقائق سلبية . وقطرات المطر الكبيرة تصير مشبعة بكهربائية ايجابية متى تفرطحت وتفرقت بمقاومة الهواء . وفي السحب الشاهقة جداً تتكوّن دقائق اخرى بتأثير كهربائية الضوء في ابر الثلج . ويزداد عدد الدقائق بقرب الارض من الرياح التي تهب على سطوح الفلزات ونحوها

وقد بحث حديثاً المستر س . د . فلورا العالم الميثيرولوجي الاميركي تلك الرياح المكهربة فأدرك انها تلحق بالحقول في الفصول الجافة ، اضراراً شديدة في القمح وغيره من الحبوب . وتتم عليها آثارها التي تخلفها كمناطق دكن مستطيلة في حقول الحبوب

ولكن اشد العوامل في توليد الدقائق هي المواد المشعة التي في الارض لان عليها يتوقف نحو نصف كهرية الهواء . وتلك المواد كثيرة في الارض . اما القوى التي تقاوم تولد الايونات او تتلفها فأولاهها اتحاد الدقائق الايجابية بالسلبية فتصير ذرات او جزيئات . والثانية تعلق الدقائق بسطوح الفلزات او السوائل حيث تلتصق بها التصاق الذباب بالورق اللزج ونتيجة هذه المعركة الكونية لها مقام خاص اكبر مما كنا نظن الى عهد قريب . فقد دلت أحدث المباحث على ان للقوة الكهربائية الجوية علاقة وثيقة بأحوالنا الصحية وامزجتنا . ومثال ذلك اننا نستيقظ من النوم في بعض الايام جذلين ، بينما نصحو في غيرها مغموين ، ويعمل الخبيرون في الكهربائية الجوية معظم ذلك التباين بالاختلاف في مقدار الدقائق المشبع بها الهواء

❖ تأثير الدقائق الكهربائية في حالتنا الصحية والمرض ❖

وبينما نحن نكتب هذه السطور تجرب تجربة علمية في هذا الموضوع في دار مؤلفة من عشر قاعات في مدينة شنيكتادي قد يكون لها نتائج بعيدة المدى ، حيث يقوم مهندسو الشركة الكهربائية العامة باختبار جهاز يدل على احوال الهواء ، من طراز جديد يسيطر على الكهربائية الجوية والحرارة والرطوبة ، مؤلف من آلات خاصة اخترعها الدكتور لويس ، كلسر الموظف في معمل المباحث التابع للشركة المشار اليها ، تحصى الدقائق الكهربائية التي في الهواء وتتحكم فيها وتسجل في الحين نفسه تسجيلاً مدققاً مبلغ تأثير الكهربائية في سكان ذلك المختبر العلمي

وينتظر ان تلقي تلك التجارب ضوءاً على اللغز الذي حير مهندسي الاقاليم الشرقية في الولايات المتحدة الذين عنوا من زمن غير بعيد بمسألة تجديد الهواء في البيوت . وبيان ذلك ان مدرسة من مدارس تلك الجهات جهزت بجهاز متقن يقوم بغسل حجرها وتدفعها ، وترطيب هوائها فترتب على استخدامه استهداف التلاميذ للنوازل ، اكثر من قبل !! والجواب عن تلك الاحجية كما يرى بعض الخبراء ، اختلاف عدد الدقائق الكهربائية المشبع بها الهواء . وقد أثبت ذلك بتجارب قاطعة مدهشة العلامة ف . دسويه F. Dessauer الاستاذ بجامعة فرنكفورت بألمانيا اذ برهن على ان للاختلاف السابق تأثيراً بليغاً في ابدان الناس

وشوهدت حوادث عجيبة في جبال الألب بسويسرا وهي ان قنن بعض هاتيك الجبال الشاخنة يتفشى فيها مرض جبلي يتولد منه حمى وصداع وغثيان تستمر بضعة أيام ، على حين ان قمماً اخرى معادلة لها في ارتفاعها ، يندر فيها ذلك المرض . ويعمل العلماء اختلاف تينك الحالتين بتغابر مقدار الكهربائية الجوية في ذينك المكانين

ولقد كانت تلك المباحث مشجعة للاستاذ على مواصلة مباحثه في مبلغ تأثير الكهربائية الجوية في الاجسام البشرية فاخترع جهازاً لتوليد الدقائق الكهربائية يملأ به أية غرفة او اسطوانة بهواء

مشبع بأي مقدار يبغيه من الدقائق الكهربائية . فاستنتج من هذه التجربة ان الدقائق الايجابية هي مثار التعب والدوار والصداع وطنين الاذن دائماً ، والغثيان احياناً . اما الدقائق السلبية فهي مصدر الانشراح

وطبق الاستاذ دسويه تلك النتائج على علاج امراض مختلفة فنجح نجاحاً باهراً . فقرر انها تنجع في مداواة الربو (ضيق التنفس) والروماتيزم وضغط الدم والتهاب شعب الرئة وامراض الشرايين . وتبين من فحص ٢٠٠ اصابة من اصابات ضغط الدم ان ٨٠ ٪ من المرضى قد استفادوا كثيراً من استنشاق الهواء المشبع بالدقائق الكهربائية بعد انقضاء عدة اسابيع . وظهر من بحث سجلات المصابين بالروماتيزم ان صحتهم تحسنت تحسناً محدوداً باستنشاق الهواء المكهرب ايضاً

وأُسفرت المباحث عرضاً عن تحليل لما كان معروفاً عن ان وخز الروماتيزم دليل على دنو عاصفة ! كما تبين للعلماء انه قبل انهمار المطر المصحوب برعد يكون الهواء القريب من الارض غاصاً بمقدار خارق للعادة من الكهرباء الايجابية . وجهاز دسويه آنف الذكر يقذف ٢٠ مليوناً من الدقائق الكهربائية في كل سنتيمتر مكعب من الهواء . وهذا يفوق كثيراً ما تحشده الطبيعة في أية بقعة من بقاع العالم . وقد ركب أحد اجهزة دسويه في مستشفى بنديوبورك وجهاز آخر في جامعة وسكنسن فأسفر استعمالهما عن نتائج تعزز الامل الذي عقد عليهما

وفي جامعة هارفرد يقوم الدكتور ت . پ باجلو المعلم في مدرسة الصحة العمومية بسلسلة مباحث في الموضوع عينه ، وقد دلته مباحثه القيمة في هذا الباب على ان الدقائق السلبية ترطب الجسم في فصل الصيف . ثم عثر على لغز علمي آخر لم يتوصل الى حله للآن . اذ تحقق ان الدقائق الكهربائية في الغرف الخالية تكاد تكون مثلها في الخلاء . بيد انه حين يدخل الناس غرفة خالية ، يقل عدد الدقائق الكهربائية فيها ويظل قليلاً حتى يخرجوا منها فيصعد الى حالته الاصلية . ولكن لا يمكن تحليل ذلك بالقول ان الدقائق الكهربائية تمتص بالتنفس لان مقدار الهواء الذي يدخل الرئتين طفيف بالنسبة لما تشتمل عليه الغرفة

ورب سائل يقول : أين تذهب الدقائق الكهربائية ?? وما سبب اختفائها . وما سبب عودتها ?? والجواب عن تلك الاسئلة : ان العلماء في الكهرباء ما زالوا يبحثون عن تلك الاسباب ومسبباتها التي استعجمت عليهم حتى اليوم

❖ الدقائق الكهربائية ينبوع الحياة ❖

وكما تعمق العلماء في البحث أيقنوا بوجود علاقة وثيقة بين الحياة البشرية والطاقة الكهربائية . وهذا هو الموضوع الجليل الذي اجمله الجراح الكليفلندي المشهور ، الدكتور جورج هـ . كريل فقال « القوة الكهربائية تجعل شعلة الحياة البشرية تنلظى في الخلية »

ثم زاد الدكتور تشارلز ه. مايو (وهو من أشهر الجراحين في مدينة روتشستر باقليم منيوستا) على ذلك الرأي قوله « ان القذائف الكهربائية الدقيقة من الضروريات التي يستعين بها المخ على القيام بوظيفته » وأيد قوله الدكتور واشبرن الاستاذ بجامعة سيراكيوز اذ ذكر من زمن قريب في خطاب القاه في جماعة تقدم العلوم الامريكية ان المباحث الحديثة ارشدته الى الاعتقاد بان التعلم « انما هو تنسيق الدقائق الكهربائية التي في ألياف اعصاب المخ في نماذج مختلفة »

وجاء من روسيا نبأ عظيم يدل على استخدام الدقائق الكهربائية في صنع الاطعمة . فقد منحت حكومة السوفييت احد العلماء ٥٠٠٠ ريال وهو الدكتور تشيزفيتسكي Chizevitsky لاستنباطه طريقة استخدام الدقائق الكهربائية في تعجيل نمو الدواجن . إذ ثبت له ان الدقائق الكهربائية السلبية اذا اضيفت الى الهواء في اكنان الدجاج افلحت الدواجن فلاحاً عجيباً وزاد ثقلها سريعاً وتحسنت صحتها واشتد نشاطها - وقد جرّب ذلك في ١٠٠٠ دجاجة ثم تدرّج منها الى كهربة هواء زرائب المواشي حيث تبرعت له الحكومة بمعمل كيماوي خاص لاجراء مباحثه العالمية

واتضح من مباحث أخرى ان النباتات تتأثر تأثر الحيوانات بالهواء المكهرب . فقد تحقق العالم الايطالي الدكتور م. ميزادرولي الذي يقوم بتجاربه بالتيارات الكهربائية السريعة التوج في مدينة بولونيا ، ان بعض البصل الذي يُعرض لتلك الموجة ثلاثين دقيقة كل يوم ، ينضج قبل غيره الذي ينمو نمواً طبيعياً بعشرة ايام . وان البذور التي تطلق عليها الامواج الكهربائية كثيراً ما تتغير مزاياها الوراثية عند استنباطها . وثبت له بتجاربه كهربائية اخرى ان دود القز يمكن تنشيطه في عمله اذا وضع في مجرى امواج لاسلكية طول الموجة منها متران

ولما كان دأب العلماء نلّس طرقهم ، اذا قصدوا البحث في مجاهل تلك الامواج الكهربائية السريعة التوج فانهم كثيراً ما يكتسبون ، اتفاقاً ، معلومات طريفة لم تكن تخطر على بالهم . والدليل على ذلك ان الدكتور ويليس هويتني الاميركي حينما كان يمتحن بعض الامتحانات الحديثة رأى الفئران تنقد ، أذنانها ، والذباب النائم في فصل الشتاء ينتعش اذا وقع تحت تأثير الامواج القصيرة السحرية . فوضع فأراً في مجال كهربائي حاد تشد قوته شيئاً فشيئاً فارفعت درجة حرارة جسمه حتى تجعد ذنبه وسقط دون ظهور اي ازعاج على الفأر . واسفرت تجربة اخرى عن كون ذباب الفاكهة الذي كان محبوساً في انبوب زجاجي ، حينما تعرض لمقذوفات باردة في درجة الصفر ، اخذ ينام كأنه في سبات فصل الشتاء . وحدث في اثناء توجيه الهواء البارد عليه ان سلطت عليه ايضاً الامواج الكهربائية اللاسلكية القصيرة فانتعش لأن الامواج دفأته داخل جسمه رغم ما كان يحيط به من البرد الشديد !!

وقام العالم روبرت بيب Robert Pape في مدينة سوست بهولندا بكهربية الاغذية، فوضع بيضة مكهربة مكسورة في طبق وتركها في الهواء الطلق شهراً كاملاً فلم تذّر ولم تنن . وذلك انها وضعت في مجال مغناطيس كهربي بكمية خاصة فوقها الفساد على ذلك المنوال . وفي كلية التربية بمدينة اونتااريو من اعمال كندا قام العلماء بمباحث اخرى مذهشة في البيض فجاءوا بمفرخ ذي اسلاك وصفوا فيه البيض صفوفاً مختلفة بين الواح معدنية بعضها مكهرب كهربي بآلية سلبية والبعض مكهرب كهربي بآلية ايجابية ، فنقف البيف نقفاً عجيباً وكانت هناك طائفة من البيض لم تتعرض للتأثير الكهربي فسبقت في التفريخ ، وبعد ست وثلاثين ساعة نفقت جماعة اخرى كانت مصفوفة صفوفاً ، في زوايا قائمة مع الالواح الكهربية . ثم تلتها ، جماعة اخرى فققت بعد خمسة ايام (وهي التي كانت مصفوفة صفوفاً موازية للالواح المعدنية المكهربة) فتساءل الباحثون عن سبب تأخر التفريخ تبعاً لاختلاف وضع صفوف البيض ازاء الالواح المكهربة فلم يستطع احدهم الاجابة . وهم يحاولون ذلك الآن

❖ علاقة المغناطيسية والكهربائية والبراكين والزلازل بعضها ببعض ❖

والمعروف ان خطوطاً من القوة المغناطيسية تخترق الارض دون ان يشعر بها احد غير الآلات الدقيقة ، منبعثة من القطب المغناطيسي الشمالي الى القطب المغناطيسي الجنوبي وتلك الخطوط ذات القوة ، مارة في الهواء والارض وتقلب تقلبات مختلفة طبقاً لقواعد قل من يفهمها . وكل ما يعرف بشأنها انه من عشرين سنة قامت باخرة اسمها كارنيجي لا تقل شيئاً على الاطلاق من الفولاذ ولو مساراً ، فأخذت تجوب البحار لكي تجمع المعلومات الخاصة بهاتيك الخطوط المرتبطة بالكهربائية الجوية ارتباطاً وثيقاً واستمرت تلك الباخرة الفضة قائمة بمهمتها حتى دمرتها النيران التي شبت من انفجار مستودع بنزين في غرب جزيرة ساموي في سنة ١٩٢٩ فأيقن العلماء ان المغناطيسية والكهربائية والبراكين والزلازل ، مرتبطة بعضها ببعض ، بروابط مافتئت مستغلة عليهم جميعاً فاذا انفجر بركان مثلاً رأيت ابر الملاحاة والبوصل في اجهزتها تهتز اهتزازات مغناطيسية ، ولو كانت تبعد عن مجال الهزات الارضية التي يحدثها وعدا ذلك فانه متى أخذت الحمم في البرودة تمغنطت ايجابياً او سلبياً بحسب اتجاه مجال الارض المغناطيسي في ذلك الحين

ويرى الدكتور ا . ج . فلمنج الموظف بمعهد كارنيجي أن البحث في طبقات الحمم القديمة يمكن العلماء من الوقوف على حقائق جديدة في تاريخ مغناطيسية الارض . واحداث جهاز يدل على دنو وقوع الزلازل هو الذي يجرب الآن في جمهورية شيلي بامريكا الجنوبية حيث تكاد تحدث زلازل صغيرة كل اسبوع . ومداره على اضطراب مغناطيسية الارض فيتخذها دليلاً على قرب وقوع الزلازل وفي مرصد الاحوال الجوية بمدينة سلتو في ذلك الاقليم شوهد ان الزلازل العنيفة كانت تسبقها

دائماً عواصف مغناطيسية في ذلك الصقع . وقد وضعت في المرصد آلات حساسة تسجل دقيقة ف دقيقة تقلبات المغناطيسية الارضية ثم يذاع ما تسجله الآلات من الانذارات الخاصة بالزلازل ، مشفوعاً بتقارير الاحوال الجوية اليومية

❖ كيف يستفيد الزراع بالعواصف الكهربائية ❖

في الجهة الشرقية من الولايات المتحدة ينتفع الاهالي بالقوة الكهربائية الجوية انتفاعاً غريباً جداً وهو ان مربّي الفطر تحققوا كون العاصفة الكهربائية يعقبها دائماً تعجيل نمو الفطر . ويظن ان الاوزون في الهواء ، وهو الذي يتولد في الجوع عقب تألق البرق ، مصدر ذلك التأثير — فغدوا حينما يريدون انضاج منتجاتهم ، قبل اوانها لكي يبيعوها لمستهلكيها ، يدرون الآلات التي تطلق كهربائية احتكاكية في الهواء فيولدون بها حالات شبيهة بالاحوال التي تعقب وميض البرق

ويرى العلامة الطبيعي الاسوجي تادبرج ان البرق قد ينزل من السماء الى الارض سالكاً طريقاً عبّدت له الاشعة الكونية . وبناء على هذا الرأي تكهرب الاشعة الكونية الهواء في طريقها غير المعتاد فتقوم تلك الدقائق الكهربائية التي يتشبع بها الهواء مقام معابر تعبر عليها الصاعقة . ويقول احد مهندسي الشركة الكهربائية العامة في امريكا وهو المتخصص في مباحث البرق ان الصواعق التي تنقض من الجو تضيف كل سنة الى التربة ما يقدر بنحو ١٠٠ مليون طن من النيتروجين

ومتى اخترقت تلك الكمية طبقات الهواء هذه ، واربعة اخماسها نيتروجين ، واستقرت على الارض ادمجت في تربتها مقادير كبيرة من تلك المواد الكيميائية الحيوية لنمو النباتات . وطالما خالج العلماء الشك في حوادث البرق الذي ينقض من السماء على شكل كرات ، حتى تمكن عالمان في نبراسكا منذ بضعة اسابيع من مشاهدة تلك الظاهرة الطبيعية العجيبة حيث صورها بالفوتوغرافيا صوراً بديعة اذ شهدا الكرات البرقية في اثناء عواصف حادة تكاد تكون أرياحاً هوجاً . وقد وصفها احدهما المستر جورج رافانج الموظف بالمرصد الجوي في اقليم لينكون بالولايات المتحدة ، فقال انها بمثابة مجرى ناري يسيل من جوانب سحابة ساخنة لدرجة الغليان مشبعة بالغبار كأنها مياه تسيل من مصفاة فتتفرق بعد نزولها كرات شاذة الاشكال . اذن القوة الكهربائية بأشكالها المختلفة سواء كانت مسوقة بالرياح او عاملة في الهواء حولنا ، ستنبؤاً سريعاً مكاناً رفيعاً خليقاً بها في علم الطبيعة ومع ما بلغه العلماء في الزمن الاخير من التقدم في المباحث النظرية الخاصة بها ما برحت طالماً لا حدة له في اعماله وغوامضه

[عن مجلة العلم العام بتصرف يسير]

مرض الجمد وتلقيحه ونموه

جرت العادة من قديم الزمان ان تقسم الاجسام الارضية الى حيوان ونبات وجماد . وبميزات كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة واضحة جداً الا عند الحد الذي يدنو فيه القسم الواحد من الآخر فان انواع الحيوان الدنيا تلتبس بأنواع النبات العليا وانواع النبات الدنيا تلتبس بأنواع الجماد العليا حتى لقد يتعذر عد بعض الموجودات من الحيوان او من النبات او من الجماد

وزد على ذلك ان بعض الانواع العليا من الحيوان تظهر فيها خواص النبات كما ترى في نشعُب المرجان والاسفنج وكثير غيرها من الحيوانات البحرية التي تماثل النبات في نموها وتشعبها وكما ترى في الاشكال التي تتشكل بها بعض انواع القراش والديدان حتى تماثل الازهار والاوراق والاعصان وكما ترى في النبات الحساس والنبات المفترس اللذين يتمثلان بالحيوان . وقد يظن لاول وهلة ان الجماد لا تماثل الحيوان والنبات في شيء ولكن هذا غير الواقع فان بعضه يتبلور باشكال تشبه اشكال النبات واغرب من ذلك ان بعضه يمرض او تظهر فيه ظواهر مثل ظواهر المرض في الحيوان وبعضه يتغير من حال الى اخرى اذا تلقح وبعضه ينمو نمواً محسوساً . واليك بيان ذلك :

❖ مرض الجمد ❖ ذكر ارسطوطاليس ان القصدير الذي يؤتى به من بلاد السلت اسهل ذوباناً من الرصاص العادي بدليل انه يذوب في الماء ويذوب ايضاً اذا اشتدَّ البرد وجلدت الارض . وقد أبان الاستاذ كوهن حديثاً انه اشتدَّ البرد مرة في مدينة من مدن المانيا الشمالية وكان في كنيستها ارغن أنابيب من القصدير فتخرقت من نفسها وصار قصديرها قصماً حول الخروق تفركه بيده فتتحول الى مسحوق ناعم . وقيل ان البرد اشتدَّ مرة في بطرسبرج وكان في دار جمرها قطع كبيرة من القصدير فتفتتت من نفسها

واذا اشتدَّ البرد على القصدير ظهرت على وجهه كلف كالحبوب والناكيل ثم جعلت تفتشر حتى تغطي وجهه كله ولذلك سميت بمرض القصدير او بوباء القصدير . ويستحيل القصدير بعد ذلك الى مسحوق وهذا المسحوق قصدير صرف اي انه ليس مثل صدى الحديد وزنجار النحاس مركباً من المعدن وعنصر آخر بل هو قصدير صرف ويستحيل الواحد الى الآخر عند الدرجة ١٨ بميزان الحرارة وذلك ليس شرطاً لازماً لان القصدير المعدني قد يبرد الى هذه الدرجة او ما تحتها ولا يمرض ولا يسحق . ولكن اذا ظهر فيه المرض ولو في بقعة صغيرة جداً امتدَّ حلاً وشمله كله فهو كالمرض الذي يصيب الحيوان والنبات

﴿تلقيح الجماد﴾ المعروف ان الماء اذا برد الى درجة الصفر يميزان سنتغراد او ٣٢ يميزان فارنهایت جمد واستحال جليداً . ولكن يحدث كثيراً ان الماء يبرد الى الدرجة الرابعة او الخامسة تحت الصفر ولا يجمد وقد يمكن تبريده الى الدرجة العاشرة او العشرين تحت الصفر ولا يجمد بل يبقى سائلاً وذلك اذا كان موضوعاً في اناء زجاجي نظيف وكان سطحه مغطى بقليل من الزيت حتى لا يصل اليه الغبار من الهواء . ولكن اذا طرحت فيه حينئذ قطعة صغيرة من الجليد جمد كله حالاً كأن تلك القطعة لقحتة كما يلقح اللقاح البيضة في الحيوان والثرثرة في النبات . ويحدث مثل ذلك في كثير من الجمادات كالفسفور والحامض الكربوليك والشمول . فاذا برد الشمول الى الدرجة التي يجمد فيها ولم يحرك اناءه ولا وقع فيه غبار بقي سائلاً واذا طرح فيه حينئذ بلورة صغيرة من الشمول الجماد جمد كله حالاً وتبلور . وكذلك خلاصات محلول الصوديوم يبرد الى ما تحت الدرجة التي تتبلور ثم تطرح فيه بلورة صغيرة من خلاصات الصوديوم فيتبلور كله حالاً . اي ان القطعة الصغيرة التي تطرح في السائل المبرد تفعل فعل اللقاح في الحيوان والنبات

واغرب من ذلك ان تلقيح بيضة الحيوان قد يتم بفعل كياوي مثل هذا كما ثبت حديثاً في بيوض بعض الحيوانات البحرية . ثم ان خلاصات الصوديوم الذي يبرد كثيراً ولم يتبلور حالاً اذا وضع في غرفة سحق فيها شيء قليل من بلوراتها بهاون كأن الدرات الدقيقة التي تطير في الغرفة من خلاصات الصوديوم حين سحقه تكفي لتلقيح السائل المبرد كما ان لقاح السمك الذي يكون منتشراً في ماء البحر يكفي احياناً لتلقيح بيضه . واللقاح الذي تحمله الرياح الاواقع يكفي احياناً كثيرة لتلقيح النخل والصنوبر وكما ان القليل من لقاح الحيوان والنبات يكفي لتلقيح ما كان من نوعه كذلك القليل جداً من لقاح الجماد يكفي لتلقيح ما كان من نوعه . فاذا لمست بلورة من بلورات الشمول بشعرة من شعر رأسك ثم لمست بتلك الشعرة سائلاً مبرداً من الشمول كفت لتلقيحه وبلوراتها مهما كان ما علق بها قليلاً ﴿نمو الجماد﴾ اما النمو فشامل لكل الاجسام التي تتبلور . ولكل نوع من البلورات درجة خاصة من النمو وشكل خاص . اذ ملح الطعام في قليل من الماء حتى يشبع منه ثم صب من الماء على لوح من الزجاج وانظر اليه بعدسة مكبرة فتراه يتبلور بلورات مربعة قائمة الزوايا مجوفة في وسطها كأنها مركبة من طبقات متراكزة و تراها تنمو وتكبر امام عينيك . وقد حسبوا ان بلورات الفسفور تنمو بسرعة مائتي قدم في الدقيقة وبلورات الجليد عند الدرجة ٢ تحت الصفر تنمو بسرعة ثمانين قدم في الدقيقة . والغالب ان يكون نمو البلورات في الطبيعة بطيئاً جداً مثل نمو الحيوان بل ابطأ منه

وقد يتغير شكل البلورات من وقت الى آخر . مثال ذلك : ان بلورات الكبريت المصهور اذا برد رويداً رويداً تكون في اول الامر ابرية لامعة ثم يزول لمعانها وتستحيل الى اشكال معينة مما يدل على ان الجماد يتغير احياناً كما يتغير النبات والحيوان

كتاب الشيطان

تأليف امين الريحاني

يعني الكاتب الكبير امين الريحاني ، بوضع كتاب يضعه على لسان « الشيطان »
لباب ما خبره من شؤون الافراد والامم ، مفرغاً في قالب من النقد والتهكم يغري
بالقراءة ويحمل على التفكير والتأمل . والريحاني رجل مستقل التفكير ، ينشد الاصلاح
وقد وعى من اخبار الامم وعبر التاريخ وحكمة المتقدمين والمتأخرين وآيات الادب القديم
والحديث ، ما يجعل كلامه جديراً بكل عناية واحترام ، تشهد بذلك كتبه السائرة في
اللغتين العربية والانكليزية . و« المقتطف » يسره ان يقدم الى قرائه هذا الفصل وهو
الاول من « كتاب الشيطان »

كانت المدينة ملتحفهً بلحاف كثيف من الليل . وكانت ال « بُصَّات »^(١) التي لا تنام تسير
الهوينا في تلك الساعة ، كأنها تمشي في حلم ، وتهدر ثم تنكس كأنها الشبح في رواية هملت
ورأيت من نافذتي نوراً ضئيلاً متحركاً في المتحف البريطاني الذي كنت اسكن في جواره .
رأيت ينتقل من دار الى دار في ذلك المتحف ، ورأيت يخرج من احدى نوافذه ، ويطفو بين
البيوت وفوقها ، وهو يترجج ويزداد ضياءً

رجعت تلك الليلة متأخراً من ولية في النادي ، وكنت لا ازال افكر ، وأنا انظر الى المصباح
الكهربائي خارجاً ، في كلمة قالها احد الاعضاء في ما للشيطان من الاثر الفعال في تعقيد مشاكل
العالم الحاضرة ، وخصوصاً منها المشاكل الجنسية بين الرجل والمرأة

ولكن ذلك النور شغلني وقطع عليّ فكري . رأيت يدنو من البيت الذي اقيم به . فركت عيني
وأنا اظنني في خدعة من خدعات البصر ، فكذب النور ظني ، وهو يدنو مني . هاكاه امام النافذة .
هاكاه في الغرفة . هاكاه على الكرسي — يتجسم ويخيف

لست ممن تتراءى لهم الاشباح ، ولست ممن يخدعون بالخيالات . وما كان ما رأيت شبحاً او
خيلاً . رأيت امامي رجلاً في ثوب « لندي » انيق ، يجلس في ذلك الكرسي جلسة الزائر
الكريم ، ويحيي ، ويده على رأسه ، تحية طيبة

(١) وأحدها بص اي سيارة كبيرة للنقل auto-bus

حاولت ان اخفي ما عراني من اضطراب ، وحاولت ان اجاريه في تأدبه فقلت : « وهل يتفضل سيدي فيزيديني علماً بشخصه الكريم »
فقال وهو يبتسم ابتسامة مؤنسة مغرية : « قد التقينا صدفةً بضع مرات . انا الشيطان خادكم المطيع المخلص »

— « عجيب . وما الذي تبتغيه الآن مني ؟ »

— « سمعتك تناديني وتدعوني اليك »

— « ما دعوتك دعوة رسمية . انما كنت افكر فيك . وكنا في النادي ، هذه الليلة ، نتحدث بشأنك »

— « جميل منكم ذلك . فقد جان للناس وخصوصاً منهم المفكرين ، ان ينظروا اليّ والى اعمالى نظرة عقلية صادقة حرة »

فقلت بشيء من العطف : « اظن ان اشغالك وهومك كثيرة في هذه الايام »

فقال وهو يمكن جلسته : « الهموم لا تهم . اما الاشغال فهي كما قلت . اننا نجتاز في هذا الزمان دوراً سريعاً خطيراً في التطور البشري . وترى الانسان لذلك مضطرب البال ، حائراً جزعاً . تراه ، وقد فقد الفطنة والشجاعة ، يعود الى الخرافات ، الدينية منها والسياسية ، ويعتصم بها . بل تراه يخبط في الدُجى وهو لا يدري بما دخل عليه من وهن وفساد . ان الله نفسه مضطرب البال من اجله . فهو يود ان يظل الانسان جريئاً نشيطاً مقداماً ، فيما شئ سنن الكون وسنن الحياة ، ولا يتقهقر ، ولا يهلع ، ولا يتكل كل الاتكال على القوى الالهية . وها هنا فسحة العمل ، عملي انا . ان عليّ واجب التشجيع ، والتذكير ، والتحريض . وعليّ ان اشعل في صدر الانسان نور الطموح كلما انطفأ ذلك النور . عليّ انا ان اكمل عمل الله فازين للانسان سبيل النشوء الدائم ، والارتقاء المستمر . عليّ ان انبهه ، واستفزه ، واحرضه ، واستغويه . وماذا يهم اذا خسر في طاعته لي معمل صابون ، او معمل اسلحة ؟ ماذا يهم اذا ذهبت في سبيلي الثروات والاساطيل والدول ؟ وما سبيلي غير سبيل رقيه وسعادته . فيجب عليّ ان اساعده ليفهم ذلك ، وان استحثه على العمل ، على السير ، على التصعيد في السبيل الاعلى . هذا هو شغلي . وما هو ، وحياتك ، بالشغل الهين اليسن »

عندئذ اخرج من جيبه كيساً وغلينوناً ، فعبأ الغليون واشعله ، ثم قدم الكيس اليّ قائلاً : « أتريد ان تجرب هذا التبغ ؟ » فلأت غليوناً منه ، شاكرّاً لطف زائري ، وسألته ان يستأنف الحديث ، فقال وهو يدخن :

« ان خصمي عالم من الجود والخرافات . وعليّ ان التغلب عليه . عليّ ان احرك كل جامد في نفس »

الانسان ، وفي روح الامم ، وان احق كل اسباب السخافة ، وكل عوامل الفساد ، في حياة الانسان ، وحياة الامم . واني في عملي لجاذ ، واني فيه كنتصر . فقد انتصرت حتى الآن في بضعة اماكن من هذا العالم المتألب علي : في الصين ، في روسيا ، في تركيا قد انتصرت انتصاراً باهراً . وكان لي بعض النصر في اميركا التي بدأت تدرك شيئاً من اغراضي . اما النصر الاكبر فسيكون ها هنا في هذه الجزائر البريطانية . اقول — ولا حار — الحقيقة كلها . فقد انهزمت في هذه الجزائر مراراً في الماضي وسأفوز لذلك فوزاً باهراً في المستقبل — المستقبل القريب

« قد يُظن ان قوتي هي دون قوى الشعب الانكليزي . وقد يصدق الظن ظاهراً . ولكنني في الحقيقة مستحوذ على المصادر الاولى لقواه : ان عقله وروحه في يدي . وهو يعلم ذلك ولا يجهر به . واعجب من هذا انه يجاريني ظاهراً ، ويستعين سرّاً بي في حروبه الاخرى ... ان في مؤسسات الانكليز العقبة الكثيرة . فلا طبيعية هي ، ولا قانونية . هي على ما يظهر مما وراء الطبيعة ، ومما دون القانون . تكاد تكون « متافيزيكية » لا جسم لها ، ولا روح ، مثل الشركات المالية والاحتكارية . تقاليد ونظم واصطلاحات ، وافانين في الاصطلاحات والنظم والتقاليد . وكلها لا ترى ، ولا تدرك في غير نتائجها — مثل الكهرباء . ولكنها لا تقوى علي . اقول ، لا تقوى علي . فقد يكون ركنها ، او احد اركانها ، في هذا البرلمان برلمانهم ، الشبيهة اعماله واقواله باعمال الرسل واقوالهم . تذكرني مناقشات البرلمان الانكليزي برسائل بولس الرسول . عقلٌ دقيق ، على جبل رقيق ، فوق وهدة عميقة تالذ لي مراقبته . وعندما يقع — وسيقع عاجلاً او آجلاً — اكون انا هناك للتأسية والنجاة »

وكان قد انطفأ غليونه ، فاشعله ثانياً ، ثم قال : « وماذا تفعل انت في لندن ؟ » فقلت : « اني طالب علم . انشد المعرفة والحقيقة . ولا اكتمك اني مفتون بالانكليز . هم قوم اتقياء قديسون . اوان وجوههم ، في الاقل ، هي كوجوه القديسين ، كما قال شاعرهم الاكبر . واني اراهم في كل حال يأمرؤن بالمعروف ، وينهون عن المنكر . بل اراهم ينصرون المظلومين من الشعوب ، ويدافعون عن الغبنات من الامم »

— « لا تزال مخيلتك شرقية »

— « ولكنني روضتها في روضتين : روضة العلم لدروين ، وروضة الشك لهيكسلي »
— « جميل ، جميل . انما استأذنتك بكلمة . اري ان الشك فيك دون العلم قوة وسيراً . شكك كديش^(١) — لا تؤاخذني — وعلمك جواد أصيل . مالنا وهذا . وما لنا ورايك بالانكليز . انما اقول لك — مستأذناً مستغفراً — انك تضيع في لندن شيئاً كثيراً من وقتك ومن عواطفك . اراك تمشي في شارع بيكادلي ، والسبعة بيدك ، كانك في رواق من اروقة الازهر . اراك تهيم على

(١) الكديش من الخيل غير الجواد الاصيل يمنهن بالركوب والجل (محيط المحيط)

وجهك في هيندبرك ، وانت تنشد استعارة جديدة ، او قافية شريفة ، كأنك في بستان من بساتين دمشق . اراك تقف مأخوذاً في قلب المدينة ، بين البورص والبنك والسراي ، وتدوّن في مذكراتك ما تراه من قوة الامبراطورية البريطانية وعظمتها . وارك معجباً حتى بالمهرجانات الصيبانية التي يقيمونها باسم محافظ المدينة ، او باسم من حاول يوماً ان ينسف البرلمان . بل اراك ترد موارد المؤتمرات السياسية والاقتصادية والسامية وتمشى في ظلال التعريفات الجمركية والاعتزالات القومية ، فتردد صدى السفطات السائرة ، والاضاليل الشائعة ، وتود ان تحمل منها الى الشرق رحمة رب . ولكني رحمة بك ، انبك ، واحذر . فانك مثل كل القوميين المفكرين تفكر نصف تفكير . بل تقف في التفكير عند الجانب الذي يفيدك او يفيد قومك ويضر الآخرين . وارك مأخوذاً بما يسمونه النجاح المادي ، فتقيم له تمثالاً . وما النجاح برب يُعبد »

— « انه ليدهشي هذا القول منك . انت الشيطان تحمل على النجاح المادي ، بل على المدينة نفسها ، هذه المدينة التي كنت اظن انها من صنع يدك »

— « انك في بعض ظنك مصيب . انا لست ضد النجاح المادي . ولست خصماً للرفاه الاجتماعي انما انا خصم اولئك الذين يعملون من ثمار المدينة إرثاً عائلياً او وطنياً . اني خصم الرفاه المحصور ، والبؤس المشاع . اني ارى بعيني الاثنين . والناس لا يرون بغير العين الواحدة . وانت في هذا — لا تؤاخذني — من الناس . قد فقدت يا صديقي ، عيناً من عينيك ، وانا الآن اجيشك بها . انا الشيطان اعيد اليك عينك الاخرى . فهل تقبلها مني وتتبعني . هيا بنا . سأفتح لك ابواباً من الابدوس المرصع بالذهب ، فتدخل بها الى عالم قصي شقي ، يدعي القلوب ويذيقها . البؤر — البؤر — بؤر الحياة — بؤر الوجود ، هذا ما يهمني الآن ويشغل بالي وقواي . بؤر تُرى ، وبؤر لا ترى . بؤر تُذكر وبؤر يُعَدّ ذكرها عيباً . بؤر روايحها من المجاري ، وبؤر أريجها من القوارير ، وبؤر عنوانها اليود والسلفرسان . لا تخف . لسنا سائرين الى حي الاشقياء ، او الى حي الاغنياء ، او الى مستوصف المدينة العام . انما نحن سائرون الى عالم آخر ، محبوسة فيه ارواح من يقيمون في مقاذر هذه الحياة : ارواح المخذوعين ، والمنبوذين ، والمقسورين ، والمصابين بالامراض الظاهرة والخفية . سأريك ضحايا السيارات البشرية كلها . سأريك الضحايا لما في العالم من القيود السياسية والدينية والاجتماعية ، فقد مررت امس ببعض آثارها في المتحف البريطاني ، ولكنك ما رأيت غير ما كان امامك في صناديق الزجاج »

— « وهل كنت أنت في المتحف ؟ »

— « نعم . كنت هناك . اني اتردد على المتحف لاغراض شتى — لأعش ذاكرتي ، لاستوحي آثار اعماله ، ولأستريح في بعض الاحايين من عناء الاشغال . وقد رأيتك في دير وستمنستر ، نعم ، اني ازور ايضاً ذلك الدير وازور كذلك بعض الكنائس ، كنيسة مار بولس العظيمة مثلاً ،

وكنييسة مار بطرس العظمى . انما غرضي من هذه الزيارات غير اغراض الناس . غرضي في اللاهوت القديم الذي ينبغي ان يحق ، ان يستأصل تماماً . وقد باشرنا العمل ، وتقدمنا فيه ، أفما سمعت الواعظ العصري يعظ ويحدث ؟ ان في لندن اسقفاً محبوباً محترماً من المفكرين والمفكرات ، المحررين والمحررات . فهل تعلم من اين تحيته الآراء الجديدة ؟ هو نفسه لا يعلم . هيّا بنا « ما ترددت في مصاحبته . ولكنني ، وأنا ألبس معطني ، رغبت في قليل من ذلك الذي ينشط القلوب وينعشها . ورأيت من الواجب علي أن اكرم زائري كما اكرمني ، فقلت . « وهل لك قبل ان نخرج من البيت ، بكأس من الوسكي ؟ » فقال : « لا بأس بالوسكي » وبين نحن نشرب الكأس الثانية قلت : « وهلاً تفضلت بالجواب عن سؤالك الاخير ، أنا لا اعلم . والاسقف نفسه ، كما قلت ، لا يعلم . فمن أين يا ترى تحيته الآراء الجديدة ؟ »

فابتسم ابتسامته اللطيفة وقال : « اني ازوره عند ما يكتب فاجلس الى جانبه . وازوره عند ما يخطب فأقف وراءه في المنبر . لا اقول انه يمي كل ما اوحى به اليه ، ولا اقول انه ينطق بكل ما أهمسه في قلبه . ولكنه باذل جهده ، وجاهر طاقته . فلا يلام في ما يفوته ، ولا في ما يتيقنه . ان قلبه لفي المكان السليم . وهو مثل قلبي يذوب شفقةً وحناناً لدى مشاهدته الشقاء البشري . انما لا يعمن ، ولا يجرؤ ان يعمن في البحث عن الاسباب الاولية لذلك الشقاء ولا يزال الواعظ العصري مقيداً ببعض التقاليد في ما يتعلق بي او بعيداً عن الحقيقة في ما يعتقده روح الزمان . فأما أنه ينكر وجودي بتاتاً ، واما أنه يتمسك بظنه اني عدو الانسان ، بل عدو العالم . هو لا يدرك ان حقيقة النشوء والارتقاء تشمل كل حي يرى ولا يرى في ذا الوجود بل هي تشمل الكون ، وأنا وأنت والواعظ والضفدع من الكون وفيه . الوعظ ، وان ادركوا هذه الحقيقة فانهم لا يجرؤون اليوم ان يجهروا بها من منابر كنائسهم

« أطلت الحديث . ولكنني أقول لك — واسألك وانا اشرب هذه الكأس على صحتك ان تذكر كلامي — اقول لك ان البؤس والاحزان والآلام تخف رويداً رويداً لو كان الناس اعلم بي ، وادرك الحقيقة حالي . بل اقول اكثر من هذا . ان البؤس والاحزان والآلام تزول لو اعترف الناس بوجودي الاعلى ، وكانت لهم الجرأة ان ينصروني ويطيعوني . ولو فعل السياسيون ذلك لأفلحت مؤتمراتهم كلها . ولكن هذه المؤتمرات — مؤتمرات نزع السلاح ، ومؤتمرات السلام ، ومؤتمرات التعاون الاممي كلها لا تفيد اذا كان اربابها لا يصغون الي . فيكفرون بتقاليدهم القديمة وقوانينهم السقيمة ، بل ينبذونها كلها . هي لديهم مقدسة . وهي في نظري وعلمي رأس الشرور وسبب الحروب ، ومصدر الآلام والاحزان . انا الشيطان اقول هذا وأنا الشيطان عامل عملي .

تلك الشرائع والتقاليد ، وتلك الانانيات الدولية ، اني ساع الى هدمها ومحققها لاستئصالها ولو تبغني واطاعني الناس اكننت اسرع عملي ، ولكانت الشعوب تفرض السلم فرضاً على الدول والحكومات اقول لو تبغني الناس لساد السلم ولساد العدل في العالم . خذ البرهان . انت شرقي . وانت عالم بالعراق . وقد رأيت هناك طائفة من الاقدمين الصالحين ، وهم في الوداعة وكرم الاخلاق والمسألة المثل الاعلى . هم من اتباعي . هم يعبدونني ، اجل يعبدون الشيطان . ولكنهم متقهقرون في أحوالهم الاجتماعية لأنهم اخطأوا الفهم والتفسير لوحى . فقد اغرق اليزيديون في التعبد ، فحال ذلك دون تصعيدهم في سلم الارتقاء . انا لا اطلب العبادة ، ولا استحب التمجيد . اني انفر من الاثنين . ولا ارى في الهياكل والمعابد غير القيود التي تؤخر نمو الروح البشرية . ان رقي الانسان ومساعدته لني علمه وحريته . وأنا لا اطلب منه غير ان يعلم الحقيقة الشاملة المزدوجة ، ويعمل بعمله . هذا ما اريده منه ، وهذا ما يريده الله . انا والله . العفو ، العفو . الله وأنا . ولا تعجبن لهذا القران . اظنك تعلم اني كنت مرة في خدمته تعالى . هي قصة قديمة لا فائدة من ترادها . انما اقول ان تعاوننا في الزمان الاول قد يجدد في هذا الزمان . عفوك . قد اطلت الحديث »

كنا قد وصلنا الى المتحف البريطاني ، فدخلنا من مكان لا يفتح كما علمت لغير رفيقي وصحبه وبينما كنا نجتاز ردهة الاواني الخزفية في القسم الاغريقي ، ورواق الآثار الاشورية ، حدثني الرفيق الدليل في موضوع فني اجتماعي جليل ، فتطرق الى الرموز ومقامها في حياة الانسان ، فأشار الى الصفة البارزة في الاناء الذي يدعى أمفوراً — جرة — وفي الصفة السائدة في الاسد الاشوري المجنح . ثم قال : « الجمال والقوة ، لا قيمة للحياة تذكر بدونهما »

وسرنا بعد ذلك الى ردهة القراءة ، تلك الردهة المستديرة ، تحت القبة الكبيرة . فأومأ الرفيق الى القبة ، فاذا هي تنشق ، فتنشق ، حتى بدت السماء من الفرجة فيها . فقال وهو يبتسم ابتسامة مؤنسة مطمئنة : « هات يدك ، ولا تخف » ، ما خفت . وما دهشت ، ويده تضم يدي ، بما كان حتى من جرأتي . انما خيل الي في البدء اني في سفح جبل . وكان الرفيق نفسه ذلك الجبل . بل كنت امامه ، وقد تمطى فلامس رأسه القبة ، كالقزم امام مارد من الجن . وظللت كذلك وأنا تارة على ركبته ، وطوراً على صدره ، حتى بلغت الكتف منه ، وأطلت على الفضاء — على النجوم فشجعني بقوله ثانياً : « لا تخف » وكانت القبة قد انسدت تحتنا ، فعزاني ، اذ قبض ثانياً على يدي ، شيء من الخوف . ثم احسست ان قلبي سقط في لحظة من بين جنبي ، وان جسمي قد ذل كالقنبلة في الفضاء

الفريقة

لبنان

تناظر اللغة الصينية والعربية

اللاب أنستاس ماري الكرمل

١- ﴿تمهيد﴾ يقول اللغويون: نظرت الكلمة الفلانية الى الكلمة الفلانية. اذا اشبهتها او قابلتها. وتناظرت الكلمات : نظرت بعضها بعضاً . ونحن نريد ان نبين في المقال الآتي ، ان في اللغة الصينية الفاظاً تشبه الحروف العربية . ولعل ذلك كان منذ عهد الناس بوضع الكلام ، ولا سيما القليلة الاحرف . وفي ما يلي بيان هذه الحقيقة

٢- ﴿كتاب حديث في تناظر اللغة الصينية لغيرها من اللغات﴾ في نحو اواخر السنة الماضية ، ألف احد الادباء الفرنسيين ، وهو المسيو ميشيل هونوراة كتاباً بقطع الربع . قليل الصفحات سماه : « ايضاح قرابة اللغة الصينية مع اللغات اليافتمية والسامية والحامية » وبالفرنسية : (١) وقد قال المؤلف في صدر مقدمته ما معناه : « تتصل اللغة الصينية كل الاتصال بلغات شعوب الغرب . تلك هي الحقيقة المدهشة

« وكيف ان الناس لم يلاحظوا ذلك قبل هذا الحين ؟ فهذا ما لا أصل الى فهمه ابدأ . والواقع بين وادعه ينطق بنفسه . وشواهد واضحة بنفسها بنوع كاف » ثم قال في نحو اواخر مقدمته المذكورة « وانا ابحت في هذه الكراسة — وقد اختصرتها لغاية في النفس — عن ١٠٠ كلمة صينية . واما ما بقي من الالفاظ الصينية فستكون موضوع كتاب آخر يظهر بعد هذا »

ومن بعد ان أتم مقدمته بما لا حاجة لنا الى استيعابه هنا ، شرع في بحثه ، وقد صور كل كلمة صينية ، بحرف افرنجي كبير يمتاز عن بقية اوضاع سائر اللغى . وراقماً كل كلمة برقم . والظاهر من انعام النظر في ما سرده من الكلام ، ان الرجل لا يحسن العربية احساناً يمكنه من مقابلة ما في لساننا العدناني ، بما وجد في سائر الالسنه ، ولو عرفها لذكر لكل كلمة صينية كلمة عربية . بخلاف ما ورد في باقي اللغات فانه ذكر للكلمة الصينية ما وجد منها في سائر الالسنه ، من غير ان يكون هذا السرد متتابعاً في جميع الالفاظ . اما في لساننا فيكاد يجد القارئ لكل كلمة صينية حرفاً عربياً وانا اعالج الآن هذا الامر مبتدئاً بأول كلمة الى العاشرة ، وهي كل ما جاء في الصفحة الاولى ، ولا اريد ان امضي فيها قدماً الى آخر ما ورد في المصنف المذكور ، لكي لا يمتد بي النفس الى ما يخرج الصدور ، ويدفعها الى السأم والملال

(1) Michel Honorat Démonstration de la parenté de la langue chinoise avec les langues Yaphétiques, Sémitiques et Chamitiques. — Paris — Librairie Orientaliste Paul Guthner 1933

٣- كلمات صينية يقابلها الفاظ عربية * قبل ان ابدأ بالمقابلة اقول: لاجابة لنا ان نرى الكلمة الصينية كما هي في العربية، بل ما يقاربها بالصوت والمعنى. وقد يقع في الكلمة العربية « قلب » اي ان تكون احرف الكلمة الواحدة موجودة في الكلمة الثانية لكن بترتيب آخر غير الترتيب الاول. وابتدأ المؤلف بالكلمة الصينية

١- Mi, Mie قال: هي قريبة من الفرنسية Miel التي معناها العسل ولو صورت الفرنسية بأحرف عربية لقلنا: « ملء » بكسر الميم. فاذا قلبت صارت « لم » بكسر اللام. واللم: العسل. وذكر من الالفاظ المقاربة ما جاء في الالمانية بمعنى العسل، فقال Medu, Mido, Miod, Met وهذه تقرب من لفظتنا: « الماضي » وهو العسل الابيض. واقول: ان الذي اراه ان الماضي وما يقاربه في الجرمانية والصقلبية والمجرية مأخوذ من ماضية اي بلاد المايزيين La Médie وعسل هذه الديار الى يومنا هذا هو عسل ابيض بديع اللون. وقد رأيتُه واكت منهُ مراراً والمسيو هو نوراة صاحب كتاب « الايضاح » لم يذكر من العربيتين كلمة واحدة. ولا ذكر لنا رأيه في اصل كلمة « الماضي » عند بعض ابناء الغرب

٢- Yen أي آلة البصر والبصر نفسه. وذكر مقارباً لها في الفرنسية Ceil ولو كان يعرف العربية لذكرها حالاً قبل سائر الكلام اي « عين » فهي اقرب الى الصينية من جميع الالفاظ التي سردها

٣- Mien ومعناها الوجه والهيئة والصورة وذكر لها في الفرنسية Mine ولم يذكر لها العربية « مَيْلَة » بكسر الميم. وهي الهيئة

٤- Tien ومعناها السماء والضوء. وذكر قريباً منها الجرمانية Ti, Tio ولم يعرف العربية « ضوء »

٤ مكررة - Tsien, Tsin, Tsing اي الاسمانجوني او الازرق السماوي. والحرفان المزدوجان الصينيان TS كثيرأ ما يقابلها بالعربية حرف واحد. إذ قد يكون سيناً مهملة او شيناً معجمة او صاداً. وذكر المؤلف من الالفاظ المقاربة للصينية Tinte الجرمانية وقال معناها: حبر بنفسجي أسود - قلنا: فاذا كان الامر كذلك فما اقرب كلمة « الشامة » العربية من الصينية ومعناها: أر سواد او زرقة غامقة في البدن

٥- Lang, Long, Loh بمعنى الذئب. واهم حرف في مادة الكلمة الصينية هي اللام. وتكاد ترى في جميع اللغات الفرنسية والبريطونية والغالالية والجرمانية واليونانية. وذكر المؤلف من نظائر الصينية الفرنسية Allan وقال معناها الكلب. وقال: Lain هو الشيطان في العربية. وفكرت طويلاً لاعرف هذه الكلمة العدنانية وما عسى ان تكون، فاهتديت اليها في الآخر وانها « اللعين » - ولم يذكر من لغتنا غير هذه الكلمة. وكان في امكانه ان يقول مثلاً: اللعوة واللعاة وهي الكلبة - واللعوس (كجعفر): الذئب واللاي بالتحريك الثور الوحشي. او البقرة الوحشية. ومؤنثها اللاة كفتاة وعندنا ايضاً اللعا وهي الشاة لا يعتد بها في المعاملة على ان الكلمة الحقيقية في لساننا للدلالة على الذئب والمجانسة لما في الالسنه غير السامية هي

اللعوس التي ذكرناها — واما «العين» التي ذكرها المؤلف بمعنى الشيطان فهي من المجاز لا من الوضع الحقيقي . ومع ذلك تراه ذكرها في معنى الذئب لانه يفترس النفوس — في نظره — لا لانه ملعون ، فالنظر الى هذا التحكم في الاشتقاق وتقريب الالفاظ بعضها من بعض والتلاعب بها ٦ — Hen, Han هو البغضة وذكر المؤلف من مقابلاتها في سائر اللغات الفرنسية والانكليزية

والبريطونية والعبرية ، ولم يذكر العربية وهي «العين» العيب والاصابة في العينين ٧ — Siw اي خاط وطرز والابرة (اذا نقل الفعل نفسه وبصورته الى الاسمية) وذكر لها المؤلف متناظرات في الهندية الفصحى والجرمانية واللاتينية اليونانية والاثوانية والصقلية ولم يذكر لها مقابلاً في لغة من اللغات السامية ، مع انك تجد في العربية قولهم : جأى الثوب جأواً : خاطه وأصلحه . والفعل واوي ويأي معاً

٨ — Ye : الليل وامس الدابر . وذكر لها الكاتب من النظائر في اللغات الكارلية والمجرية والفنوية والمناوية والارلندية والفرنسية قال : ومنها في الفرنسية Jé, Jeais وقال : معدن غير لماع او Jé, Geai طائر اسود الى آخر ما قال . — قلنا : وفي لغتنا الهيئر (بكسر الهاء ، والهيئر بتاء مثناة بعد الهاء في مكان المثناة التحتية) من الليل : النصف الاول منه . — والهناء : القطران . والهن : الطائفة من الليل ، الى غير ما هناك من الالفاظ

٩ — Je وهي الشمس والنهار . وذكر لها اشبهاً ونظائر في اللغات الماناوية والروسية والبلغارية والفرنسية والكردية . ولم يذكر كلمة واحدة من لغة سامية . فلا نعرف كيف يحاول ان يجد حروفاً سامية ليصحح او يوجه عنوان كتابه — وفي اللغة العدنانية : الجوى ، ويراد به الهوى الباطن ، والحزن ، والحرقة . والجوة والجوة : غيرة في حمة . والجوة : أرض غليظة في سواد ١٠ — Pang : الضخم الغليظ السمين . وذكر لها مقابلات في البريطانية والفرنسية واللاتينية

ولم يذكر لها مشابهاً من اللغات السامية شيئاً . وفي لغتنا الفصحى والضخم ومعناها معروف . وعندنا ايضاً فعل « فقم » . يقال : فقم الانا : امتلاً . وفقم مال فلان : نقد . وقيل : كثر ، ضد . وفقم الامر : فقم (بالتحريك) ، وفقم ، وفقوماً (بكسوس) لم يحجر على استواء و « عظم » . وأكل الرجل حتى فقم (بكسر العين) اي حتى بشم . وفقم (بضم العين) الامر : اي عظم . فكل هذا مضارع لما ورد في الاصل الصيني وفي اصول بعض اللغات الغربية . ومع ذلك لا تجد ادنى أثر لما ذكرناه لك في كتاب المسيو هونورا فلا جرم ان الرجل غير متضلع من لغتنا ولا من اي لغة سامية . فالعنوان الذي اتخذ لكتابه اعظم من خواه . ولعله اذا وقف على ما يتناه هنا من الامثال يجدوه الى التحقيق اكثر مما فعل الى الآن . هذا ما اردنا اثباته هنا ، اظهاراً لعلو كعب لغتنا وانها تطلعنا على خفايا اللغات على اختلاف انواعها وعلى اختلاف الاقوام الذين ينطقون بها وهذا كاف لان نحافظ على كنوزنا اللغوية ونفاخر بها سائر الالسنه وعلمه فوق كل ذي علم

القضاء في السودان

خليل الخوري

القاضي بمحاكم السودان سابقاً

القضاء الجنائي

منذ اواخر القرن الثامن عشر سادت في اوربا فكرة جمع الشرائع وتأليفها بشكل قوانين فوضع في اول الامر القانون المدني في فرنسا في سنة ١٧٩٣ قبل ظهور نابليون ولكن هذا القانون لم ينظم وينشر وينفذ حتى سنة ١٨٠٤ وفي ذلك الحين كانت تلك الحركة شاملة القارة كلها ففي انكلترا كان الفقيه العظيم جرمي بنتام يسعى الى تأليف الشرع الانكليزي وجمعه بشكل قوانين ولم يختلف في الحقيقة نظرياته عن نظريات الفقهاء الفرنسيين الا انه كان مسوقاً ومسيراً بأصل المنفعة الذي جعله ركن الشرائع وركن جميع الاشياء . والفقهاء الفرنسيون جعلوا القانون الطبيعي الخيالي اصل الشرائع - اما بنتام فكان هدفه الاسمي اصلاح الشرائع وتسهيل فهمها على الناس ورأى في توحيد الشرائع - وجمعها بشكل قوانين وسيلة لبلوغ ذلك الهدف - وعلى سبيل الذكر اقول ان بنتام هو صاحب كتاب اصول الشرائع المشهور الذي ترجمه الى اللغة العربية المرحوم فتحي باشا زغلول - ثم حذو بنتام الفقيه الانكليزي الكبير اوستن على ان الانكليز كانوا ولا يزالون يعافون جمع اصول الشرع المدني بشكل قانون لانهم يرون دون ذلك عقبات لا يستطيع تذليلها ويعتقدون ان في جملة على تلك الصورة مساوي تربى على المنافع . على انهم لم يروا مناصاً من جمع اصول الشرائع الاخرى وقد اصبحت الآن جميع اصول الشرائع عندهم ما عدا الشريعة المدنية وعند غيرهم على اختلاف انواعها مجموعة بقوانين - واذا صح ان يبقى الشرع المدني مبعثراً مشتتاً في كتب الفقهاء وفي احكام المحاكم وفي العادات والسوابق فلا يصح ذلك في الشرع الجنائي لان باب الاجتهاد والقياس والتأويل في الاول مفتوح على مصراعيه حتى في البلدان التي وضعت فيها القوانين ولكن في الثاني لا بد من حصر الجرائم والعقوبات

وقد وضع في السودان على اثر الفتح الثاني في سنة ١٨٩٩ قانون للعقوبات وآخر لتحقيق الجنايات وبني القضاء الجنائي السوداني على القضاء الهندي وهذا بني على القضاء الانكليزي ثم عدل قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات في السودان في سنة ١٩٢٥

والذي اتوخاه في هذا المقال ايراد بعض الاصول المتعلقة بالقضاء الجنائي في السودان مما يستري النظر ويختلف عن مثيله في مصر وفي غيرها من الاقطار التي انسلخت عن السلطنة العثمانية والتي اكثر قضائها الجنائي مبني على القضاء الجنائي الفرنسي ومستقى من مصادره

﴿ تقسيم الجرائم ﴾ — قسمت الجرائم في القوانين المبنية على القانون الفرنسي الى جنائيات وجنح ومخالفات والاساس الذي بني عليه هذا التقسيم هو جسامته الجريمة واختلاف العقوبة بسبب ذلك — وفي الواقع ليس هذا التقسيم علمياً او منطقياً لانه لا ينص على فرق جوهري بين قسم وقسم . ومع ان هذا التقسيم يخلو من المنطق فانه ضروري في فرنسا وغيرها لان نظام القضاء الجنائي برمته عندهم مبني على ذلك التقسيم فقد اخطأ في الاصل واضعو القانون الجنائي وقانون تحقيق الجنائيات الفرنسيون وغيره اخطاء شتى لانهم استعجلوا وضع جميع القوانين في بضع سنوات على اثر ظهور نابليون وقيدوا البلاد بنصوص ثابتة ليس من السهل تعديلها ثم نظمت المحاكم والدوائر والهيئات بناء على تلك القوانين . اما في انكلترا فانهم لم يستعجلوا بل تريثوا كثيراً فلم يضعوا قانوناً الا بعد ان اختمرت الحاجة اليه ومن هذا ترى التعقيد والارتباك في النظم التي اخذت عن فرنسا لما يحول فيها دون الاصلاح والتعديل من العقبات — وهذا شأن كل عمل يباشر بسرعة وبدون ترو — تكون عواقبه غير محمودة

لم يكثر المشتري السوداني لهذا التقسيم بل عمد رأساً الى مهمته فقرر جميع الافعال التي يعدها جرائم فسردها واحدة فواحدة وقرر لكل جريمة عقوبتها الخاصة وهو اسهل جداً واكثر انطباقاً على المنطق والعقل من التقسيم المربك وكمن مرة وقع الاختلاف في مصر وغيرها على اختصاص المحاكم بسبب وصف الجريمة هل هي جنحة او جنائية وكمن مرة حار قضاة الاحالة في اعمالهم — وشيء من هذا يستحيل ان يقع في السودان . وقد كان الخيال الدافع الاعظم لفقهاء الثورة الفرنسية فربطوا الاجيال التي بعدهم بسلاسل من الاوضاع والنظريات التي نحاشاها المشرع الانكليزي بما فطر عليه من بعد النظر والتجرد عن الخيال والتصرف بحسب الحالة الطارئة

﴿ بيان مدلول الالفاظ والعبارات ﴾ — امتاز قانون العقوبات السوداني بتعريف بعض الالفاظ والعبارات وبيان ما تدل عليه غير معناها الاصلي وهذا التعريف ضروري لازالة ما قد يقع من الالتباس في معاني الالفاظ الواردة في القانون . واليك بعض الامثلة على ذلك في المادة ٣٧ ورد تعريف لكلمتي « حسن النية » كما يلي : « لا يقال بان الشيء عمل او اعتقد به بحسن النية متى عمل او اعتقد به بدون العناية والانتباه اللازمين »

وفي المادة ٣٨ عرّف كلمات التهيبج الفجائي الشديد كما يلي : — التهيبج الفجائي الشديد الذي

يترتب عليه تغيير ماهية الجريمة او تخفيف العقوبة التي يمكن الحكم بها بمقتضى اية مادة من هذا القانون لا يشمل الحالات الآتية : —

- (١) التهيب الذي ينتج له المجرم او الذي ينتج من تهيبه العمد لتبرير ارتكاب الجريمة او
 - (٢) التهيب الناشئ عن عمل اطاعة للقانون او الذي يسببه موظف في اثناء مباشرته اعماله قانوناً او
 - (٣) التهيب الناشئ عن عمل شيء في اثناء استعمال حق الدفاع الشخصي قانوناً
- ثم عرف كلمة الرضاء كما يلي بالمادة ٣٩ :

لا يعتبر الرضاء رضاء بمقتضى اية مادة من هذا القانون اذا صدر من شخص خشية من وقوع ضرر او عن خطأ في الواقع وكان يعلم الذي اجري العمل او كان لديه سبب للاعتقاد بان ذلك الرضاء صدر بسبب الخوف او الخطأ او اذا كان الرضاء صادراً من شخص لا يقدر بسبب اختلال عقله او سكره على فهم ماهية الشيء الذي رضي به ونتيجته او اذا صدر الرضاء من شخص يقل عمره عن اثنتي عشرة سنة

وهناك تعريفات اخرى لالفاظ شتى لا يعرف الحكمة من ايرادها وتقريرها ولا يقدرها الا من اشتغل بالقضاء

الافعال التي يظهر لاول وهلة انها جرائم ولكن القانون لا يعدها جرائم * — هذه سنة اخذ بها المشرع السوداني ولم يأخذ بها غيره فقد نص في اوائل قانون العقوبات على افعال خاصة اخرجها من عداد الجرائم وبذلك سهّل على المحاكم وعلى المحققين معالجة تلك الافعال وهي افعال تبدو لاول وهلة انها من الجرائم المقررة في القانون ولكن المشرع بسبب الظروف التي لا يستها رأى اخرجها من سلسلة الجرائم وعلى سبيل التمثيل اذكر بعض تلك الحوادث .

المادة ٤٤ — لا يعتبر الفعل جريمة اذا فعله شخص يجبره القانون على فعله او يبرره في فعله او فعّله وهو يعتقد بحسن نية بسبب جهل الوقائع لاجهل القانون انه مجبور قانوناً على فعله او يبرره القانون في فعله

المادة ٤٥ — لا يكون الفعل جريمة متى وقع من شخص وهو مباشر القضاء كحكمة او كعضو محكمة بالسلطة المخولة له او التي يعتقد بحسن نية انها مخولة له قانوناً

وقد ادخل المشرع في هذه المواد افعال الانسان في اثناء دفاعه عن شخصه او عن غيره او عن ماله او مال غيره او عن شرفه او شرف غيره وافعال الطفل الذي عمره دون السبع سنين وافعال الطفل البالغ من العمر سبع سنين ودون الاثنتي عشرة سنة اذا لم يبلغ من الرشد تمييزاً كافياً لادراك ماهية الفعل او نتيجته وافعال المجنون جنوناً دائماً او مؤقتاً او مختل العقل وافعال السكران الذي نجم سكره عن اعطائه اية مادة رغم ارادته او بدون علمه والافعال التي الجيء الى ارتكابها الفاعل

بالتهديد والافعال التي تنطوي على اضرار طفيفة والافعال التي تحدث ضرراً ولكنها اجريت لمنع ضرر آخر اريد الحاقه بالاشخاص او الاموال وغير ذلك :-

العقوبات المقررة * من العقوبات المقررة في القانون السوداني عقوبتا الجلد بالسوط ذي الفروع التسعة والجلد بالمقرعة — والعقوبة الاولى يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذكر البالغ والعقوبة الثانية يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذي عمره دون ست عشرة سنة

وهاتان العقوبتان لا يوقعهما القاضي في جميع الجرائم بل في جرائم معينة وليس هو مجبوراً على الحكم بهما بل هو مطلق الرأي اذا شاء حكم بالجلد وان شاء حكم بعقوبات اخرى مقررة للمجرم لان الجلد ليس من العقوبات الاساسية المفروضة للجرائم وانما اعطي القاضي الحق في الحكم به في بعض الاحوال بدلاً من الحكم بالعقوبات الاخرى — وقد ظهر بالاختبار ان الجلد عقوبة فعالة ذات اثر عاجل في الاقتصاص والردع وقد يعترض عليه البعض انه اثر من آثار الشدة التي كانت تسود القضاء في الماضي ولكن منفعة الجلد في بعض الاحوال وبالنسبة لبعض الأشخاص لا يمكن انكارها —

التحريض على ارتكاب الجرائم والشروع في ارتكاب الجرائم * — يمتاز القانون السوداني في هذين البابين بأنه — بالنسبة الى التحريض — يعاقب المحرض على ارتكاب الجريمة ولو لم ترتكب الجريمة ويعاقب المحرض على التحريض كما اذا اغرى عمرو بـ كراً ليغري كاملاً على قتل زيد قتلاً عمداً فأغرى بناءً على ذلك بكر كاملاً على قتل زيد قتلاً عمداً فارتكب كامل تلك الجريمة بناءً على اغراء بكر فيعاقب بكر من اجل جريمته بعقوبة القتل العمد وبما ان عمراً اغرى بكرّاً على ارتكاب الجريمة فيعاقب بنفس العقوبة . ومن حرّض على ارتكاب جريمة عقوبتها الاعدام او الحبس المؤبد يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى سبع سنين وبالغرامة ايضاً اذا لم ترتكب الجريمة بناءً على ذلك التحريض — ومن حرّض على جريمة عقوبتها الحبس يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى ربع اقصى المدة المقررة لتلك الجريمة او بالغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم ترتكب الجريمة ويعاقب المحرض كالفاعل اذا ارتكبت الجريمة

اما الشروع في ارتكاب الجرائم فان القانون السوداني لم يذكر في صدد سوى مادة واحدة اراها وافية بالمرام وهي على غاية البساطة والسهولة وهي المادة ٩٣ — كل من شرع في ارتكاب جريمة عقوبتها الحبس او شرع في تسبیب ارتكابها وارتكب في ذلك الشروع اي فعل في سبيل ارتكاب تلك الجريمة يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى نصف اقصى المدة المقررة لتلك الجريمة او بالغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم يوجد نص صريح في هذا القانون او في اي قانون آخر

معمول به على عقوبة لذلك الشروع — ولا صعوبة في تطبيق هذه المادة في الشروع بالجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام لان القانون السوداني في جميع امثال الجرائم ينص على عقوبة الاعدام او الحبس المؤبد والغرامة والحبس المؤبد معناه عشرون سنة فقط . فالشارع في ارتكابها يعاقب الحبس لغاية عشر سنين ولو قارنا مادة الشروع هذه بمواد الشروع في القانون المصري او قانون الجزاء العثماني لتبين لنا الفرق الكبير بين التشريعين فان الاول سهل واضح والثاني معقد مرتبك

*) الاسباب المخففة والاسباب المشددة والعود — اذا راجعنا المواد الواردة في القانون المصري في هذا الصدد رأينا مشقة جسيمة في تفهمها وفي مراميها وفي تطبيقها وتعقيداً كبيراً في نصوصها كأنها الغاز في الغاز وقد خلا القانون السوداني كل الخلو من مثل هذه النصوص . والسبب الظاهر الذي حدا بالشارع السوداني الى تحاشي مثل هذه النصوص ليس فقط لغرض الخلو من التعقيد ورغبته في الوضوح والبساطة بل لانه يرى فيها تكبيلاً للقاضي . ومثل هذه النصوص غير ضرورية في القضاء السوداني لان الشارع لم يفرض حداً أدنى لعقوبة الحبس ولا لعقوبة الغرامة فالقاضي مخير في المدة والمبلغ وفي جميع المواد يفرض الشارع الحد الاقصى لمدة الحبس التي لا يصح للقاضي تجاوزها وهو في ما خلا الجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام او الحبس المؤبد حر في تعيين مدة الحبس . خذ مثلاً مسألة العذر في من قتل زوجته حال تلبسها بالزنا الوارد لها مادة خاصة في القانون المصري وهي التي تقضي بالحكم على الزوج في هذه الحالة بالحبس بدلاً من الاشغال الشاقة الخ — وقد حاول بعضهم في مصر توسيع نطاق هذه المادة حتى تشمل قاتل المحارم على العموم ولكنهم لم ينجحوا في هذا —

ولا حاجة في القضاء السوداني الى مثل هذه النصوص لان القتل في السودان نوعان القتل العمد والقتل الجنائي الذي لا يبلغ القتل العمد . وفي القانون السوداني مواد وافية للتمييز بين النوعين فالاول عقوبته الاعدام او الحبس المؤبد والغرامة والثاني عقوبته الحبس المؤبد او الحبس مدة اقل من المؤبد او الغرامة او العقوبتان خريمة الزوج الذي يقتل زوجته في حالة الزنا تدخل تحت النوع الثاني وللقاضي أن يحكم على الزوج بالغرامة فقط اذا رآها وافية وليس ملزماً بالحكم بالحبس واذا حكم بالحبس فهو غير مقيد بمدة وله ان يحكم بيوم واحد فقط — وله ذلك ليس فقط في مسألة الزوج بل في كل مسألة لا يبلغ فيها القتل درجة العمد فقتل المحارم في الحالة المذكورة يدخل في هذا وكل قتل حصل اثر التهيبج الفجائي الشديد يدخل في هذا وكل هذا بمثابة الظروف المخففة أو الاعذار او دواعي الشفقة او مهما شئت فسمه — فالقاضي السوداني لديه مجال واسع جداً لاستعمال مثل هذه الاسباب — وكذا قيل عن العود وهو الذي معناه في غير السودان عود المجرم الى الاجرام فيشددون عليه العقوبة بمقتضى سلسلة من المواد معقدة اما في السودان فلا حاجة الى هذا مادام

الجال للقاضي كما ذكر واسع النطاق فاذا أحضر امامه مجرم قديم عريق في الاجرام عاجله بما لديه من السلطة التي خوله القانون مباشرتها بحسب الظروف في كل مسألة. فالقاضي السوداني يصعد بالعقوبة من الحبس يوماً واحداً أو الغرامة ببضعة قروش إلى الحبس عشرين سنة أو الغرامة مائتي جنيه وهو حر بين الحدين

﴿ جرائم الموظفين او الجرائم التي تتعلق بالموظفين ﴾ — في هذا الباب نصوص قاسية شديدة وقد توخى الشارع السوداني الشدة فيها لضمان نزاهة الموظفين في أعمالهم وانصافهم في معاملة الناس فالرشوة مثلاً تشمل غير معناها المفهوم المألوف كل ما يعطى او يوعد باعطائه نقداً او غير نقد وتشمل ما يعطى على سبيل المكافأة من اجل عمل اجراه الموظف ولا تسري الرشوة على الموظفين فقط بل على من كان يتوقع ان يصبح موظفاً وقبل الرشوة. ومما ادمج في سلسلة الجرائم احالة الموظف اشخاصاً للمحاكمة او للحبس مع علمه بأنه يفعل ذلك مخالفة للقانون — وإهمال الموظف القبض على الشخص. وترك الموظف عمداً القيام بواجبه حيث يسبب ذلك الترك خطراً وترك الموظف عمله بدون حق لعرقلة الاعمال العامة واشتغال الموظف بالتجارة وشراء الموظف مالاً او مزايدته فيه على خلاف القانون — والاختفاء للهرب من تبليغ ورقة حضور او اعلان

وقد خصص الشارع السوداني باباً في قانون العقوبات للقسوة على الحيوانات فعدَّ ضرب الحيوان بقسوة او تعذيبه او الاساءة اليه بطرق اخرى والافراط المقرون بالطيش في ركوب الحيوان او في سوقه او تحميله واستخدام الحيوان العاجز عن العمل بسبب عمره او مرضه او جراحه او اعتلاله وإهمال الحيوان جرائم مقررة —

وعقد فصلاً خاصاً لجرائم الاذى وهي تشمل جميع الافعال التي تؤذي الانسان لما دون القتل وهو مفصل وافٍ واضح لا مثيل له في غير السودان ومن انفصول الجلمية الواضحة ما تعلق بالاعاقة والاعتقال بدون حق وبالقوة الجنائية والتهجم وبالخطف وبالتشغيل الجبري — وبالاغتصاب والجرائم المخالفة للطبيعة وهتك العرض — والاخلال الجنائي بعقود الخدمة والجرائم المتعلقة بالزواج والزنا بالمحارم والجريمة الاخيرة اي الزنا بالمحارم جريمة جديدة قررت في القانون الجديد الذي صدر في سنة ١٩٢٥ على اثر ظهور جماعة في السودان دعت الى اباحة الزوج بالمحارم فوضعت المادة ٤٣٥ خصيصاً لمنع مثل ذلك المبدأ الفاسد من الانتشار فعدَّت الزنا بالمحارم جريمة عقوبتها الحبس لغاية سبع سنين وبالغرامة ايضاً والمحارم من جهة الرجل هنَّ ابنته وحفيده وامه وأية أنثى اخرى من اصوله او فروعه الاناث واخوته وابنة أخيه وابنة اخته وعمته وخالته . ومن جهة المرأة ابنتها وحفيدها وأبوها وأي واحد من اصولها او فروعها الذكور وأخوها وابن أخيها وابن اختها وعمها وخالها — فيعاقب الرجل الزاني والمرأة الزانية كلاهما . وهذه الجريمة لا مثيل لها في

« لها تنمة »

غير السودان

أقمرُ عاشِرُ للمشتري

في انباء الدوائر الفلكية ان الدكتور جفرز Jeffers احد علماء مرصد لك كشف عن جسم على مقربة من المشتري قد ثبت انه قمرٌ عاشِرٌ لا كبر السيارات . ذلك ان الدكتور جفرز كان يصوِّر قمر المشتري الثامن فشهد في صورهِ جرماً يتحرك حركةً يومية تشبه حركة القمر الثامن . وهو صغير خافي النور من القدر التاسع عشر لا يرى الاً بأكبر النظارات الفلكية . وقد اذيع هذا النبأ من مرصد هارفرد الى مراصد العالم لكي يتعاون الفلكيون على تحقيقه ، ومعرفة هل هذا الجرم قمرٌ عاشِرٌ للمشتري او نجمة

فاذا صح ان هذا الجرم قمرٌ عاشِرٌ للمشتري ، كان هو والقمران الثامن والتاسع ، من اعجب الاجرام في النظام الشمسي . ذلك ان الاقمار السبعة الاولى التي تدور حول المشتري تدور من الغرب الى الشرق في جهة دوران السيار نفسه حول الشمس وجهة دوران القمر حول الارض واما الاقمار الباقية اي الثامن والتاسع والعاشر ، فتدور من الشرق الى الغرب في جهة مضادة لجهة دوران الاقمار الاخرى وجهة دوران السيار حول الشمس وهو « نكوص » في عرف الفلكيين

والمشهور ان غليليو هو اول من كشف عن اقمار المشتري الاربعة الاولى ، يوم وجَّه نظارته الى المشتري في يناير سنة ١٦١٠ . ولكن يقال ان فلكيًّا المانيًّا يدعي سيمون ماريوس شاهدها في السنة السابقة وانما لم يدرك ما هي هذه الاجرام ، حتى اذاع غليليو ما كشف

وظلَّت اقمار المشتري المعروفة اربعة ، حتى كشف الاستاذ ادورد بارنرد في مرصد لك الاميريكي القمر الخامس سنة ١٨٩٢ وتلاه علماء هذا المرصد نفسه فكشف الدكتور بريسن القمر السادس والسابع سنتي ١٩٠٤ و١٩٠٥ . اما القمر الثامن فكشفه الدكتور ميلوت احد علماء المرصد الملكي بمدينة غرينتش سنة ١٩٠٨ ثم كشف العالم نيكلسن من علماء مرصد لك كذلك ، القمر التاسع سنة ١٩١٤ . وهذا هو العاشر على ما يُظنُّ

ومن غريب ما يعرف عن هذه الاقمار التفاوت في اقطارها . فالاقمار الاربعة الاولى يكاد كلُّ منها يكون من حجم قمر الارض . على ان ثانيها (قطره ٢٠٠٠ ميل) اصغر قليلاً من الثلاثة الباقية (قطر اكبرها ٣٥٠٠ ميل) ولولا قربها للسيار لاستطعنا رؤيتها بالعين المجردة . ولكن ضياء السيار يغمرها ويغطي على ضيائها . اما القمر الخامس فقد لا يزيد قطره مائة ميل ويدور حول السيار في ١٢ ساعة وهو اسرع الاقمار دوراناً حول المشتري على ما نعلم . واما الاقمار الباقية فتتباين اقطارها من مائة ميل الى ١٥ ميلاً وهو قطر القمر التاسع

بريطانيا واليابان

تقاضي تجارة بريطانيا وبواعثها

تكمُن غلادستن في اواخر القرن التاسع عشر بمستقبل بريطانيا التجارية فقال : « اميركا وحدها ، تستطيع اذا آن الاوان ، ان تنزع منا سيادتنا التجارية ، والراجح انها تفعل » . كانت اليابان في ذلك العهد بقعة لا شأن لها على الخريطة الجغرافية . دع عنك خريطة العالم الاقتصادية . وكانت بلادها ما تزال في عرف المثقفين بلاد الشمس الطالعة والربيع الزاهي والفنون اللطيفة والبنات الرواقص . فما كان سياسي بريطاني يستطيع حينئذ ان يتصورها ، وقد أصبحت بعد نصف قرن من الزمان ، الامة التي تلي الامة الاميركية في شدة منافستها لسيادة بريطانيا التجارية . ونحن اذا قابلنا بين اميركا واليابان ، وجدنا الأولى تفوق الثانية في مصادر الثروة الطبيعية واسباب القوة المالية . بل ان اليابان ازاء اميركا من هذه الناحية كالقزم امام الجبار . على ان ذلك لا يمنع ان تكون اليابان مصدر قلق لبريطانيا من حيث منافستها لها في بعض ميادين الصناعة

واذا نحن نظرنا الى الموضوع نظرة عامة ، وجدنا ان اميركا قد تفوقت على بريطانيا في صناعات الحديد وما اليها وهي ما يعرف «بالصناعات الثقيلة» Heavy Industries . ففي هذا الميدان لا تخشى بريطانيا من اليابان شراً . على ان ما تخشاه بريطانيا من اليابان ، انما هو منافستها لها في بعض الصناعات الخفيفة كصناعة نسيج القطن والصوف ، وهي من الصناعات الاساسية التي بنيت عليها عظمة بريطانيا التجارية ، وكانت حتى عهد قريب لا ينافسها في ميدانها منافس

كانت مصانع القطن البريطانية قبل الحرب الكبرى تحتوي على ٥٥ مليون مغزل . اي ثلث مغازل القطن في العالم . وفي سنة ١٩١٣ صدرت انكلترا ٦٢٧٨٠٠٠٠٠٠ يردة مربعة من المنسوجات القطنية وكانت مسيطرة على تجارة الاقطان في الاسواق العالمية . وكان عدد المغازل في مصانعها في سنة ١٩٣٢ خمسين مليوناً ، اي ان العدد الاول نقص خمسة ملايين مغزل ، وهو ليس نقصاً كبيراً . ولكن الصادر من المنسوجات القطنية الانكليزية في سنة ١٩٣٢ بلغ ٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠ يردة مربعة اي ان مقدار الصادر في سنة ١٩٣٢ نقص ٤٠٨٠٠٠٠٠٠٠ يردة مربعة عنه سنة ١٩١٣ وهو نقص كبير

وهذا يبيّن لك ان المغازل الباقية في مصانع الاقطان الانكليزية كانت عاطلة خلال جانب كبير من سنة ١٩٣٢ لقلة الطلب على منتجاتها

وماذا تم لليابان في خلال هذه الفترة ؟ زاد عدد مصانعها القطنية من ٣٠٠٠ ر ٣٠٠ مغزل قبيل الحرب ، الى ٨٠٠٠ ر ٨٠٠ مغزل في سنة ١٩٣٢ ومع ان عدد مغازلها في سنة ١٩٣٢ كان لا يبلغ الا ١٦ في المائة من عدد مغازل بريطانيا ، الا ان هذه المغازل انتجت في سنة ١٩٣٢ من المنسوجات القطنية ٢٠٣٠ ر ٣٠٠٠٠٠ يردّة مربعة ، وهو لا ينقص عما صدرته بريطانيا في تلك السنة الا ١٧٠ مليون يردّة مربعة . وفي الشهور الستة الاولى من سنة ١٩٣٣ بلغ ما صدرته اليابان من المنسوجات القطنية ١٠٣٥ ر ١٠٠٠٠٠٠ يردّة مربعة حالة ان ما صدرته بريطانيا بلغ ١٠٨٣ ر ١٠٠٠٠٠٠٠ فكان الفرق بين بريطانيا واليابان ٤٨ مليون يردّة مربعة فقط

ويمكن ان يقال بوجه عام ان تجارة الصادرات العالمية في المنسوجات القطنية تبلغ في السنة نحو ٥٥٠٠ ر ٥٠٠٠٠٠٠ يردّة مربعة ، تصدر منها بريطانيا واليابان ٢٣٠ ر ٤٠٠٠٠٠٠٠ يردّة مربعة في حصتين متساويتين او تكادان . اما الباقي وقدره ١٣٠٠ ر ٣٠٠٠٠٠٠٠ يردّة مربعة فتصدره الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان الصناعية

هنا مجال للتأمل . ثمانية ملايين مغزل في اليابان تنتج من المنسوجات القطنية قدر ما تنتجه خمسون مليون مغزل في بريطانيا . هل سبب ذلك ان معظم المغازل في بريطانيا عاطلة عن العمل ؟ او لان صناعة المنسوجات القطنية في اليابان ، يشملها نظام أدق وأتم من نظام الصناعة البريطانية ؟

ان بلاد الهند هي اوسع الميادين التي تنافس فيها التجارة اليابانية والتجارة البريطانية . فبعد الحرب الكبرى اخذت التجارة اليابانية تغزو الاسواق الهندية التي كادت تكون من قبل احتكراً لمصانع لانكشير وتجار منشستر . ففي سنة ١٩٢٩ استوردت الهند البريطانية ٦٦ في المائة من وارداتها القطنية من بريطانيا و ٣٠ في المائة من اليابان . وفي سنة ١٩٣٠ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٩ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٣٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣١ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٠ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٤٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣٣ نقصت حصة بريطانيا الى ٤٨ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٥٠ في المائة ، اي ان ما استوردته الهند في سنة ١٩٣٣ من بريطانيا بلغ ٦٠٠ مليون يردّة مربعة من المنسوجات القطنية واما ما استوردته من اليابان فبلغ ٦٤٥ مليوناً

فكان تفوّق اليابان على بريطانيا في سوق الهند ، باعثاً على القلق العظيم ، وحمل حكومة الهند في اغسطس سنة ١٩٣٢ على رفع الضريبة الجمركية على البضائع غير البريطانية (اي على البضائع اليابانية) من ٣١ في المائة الى ٥٠ في المائة ، حالة ان الضريبة الجمركية على الواردات القطنية البريطانية ظلّت في المائة

ومع فداحة هذه الزيادة رأت حكومة الهند ان تعلن حكومة اليابان عن طريق لندن، في ١٠ ابريل سنة ١٩٣٣ عن عزمها على انتهاء المعاهدة اليابانية الهندية التجارية بعد انقضاء ستة أشهر، وفي هذه المعاهدة بندٌ يمنح اليابان حق معاملتها في الهند على قدم المساواة بالأمم الاخرى. وكذلك مهدت الطريق لزيادة الضريبة الجمركية على الواردات القطنية اليابانية الى الهند وكان ميعاد انتهاء هذه المعاهدة في ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣

ولكن قبل انتهائها اصدرت حكومة الهند قانوناً يخوّل نائب الملك رفع الضرائب الجمركية على الواردات الاجنبية، عند الاقتضاء، حماية للصناعة الوطنية وفي ٦ يونيو ١٩٣٣ زيدت الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية القطنية الى الهند حتى اصبحت ٧٥ في المائة تقابلها ضريبة جمركية على الواردات القطنية من منشستر قدرها ٢٥ في المائة

ولم تكتفِ بريطانيا باستنهاض الهند بل حركت اصبعها في بلدان مختلفة لمكافحة البضائع اليابانية ففرضت مصر في ١٤ مايو ١٩٣٣ على الواردات ضريبة اضافية قدرها ٢٥ في المائة. وفي ١٥ مايو اعلنت حكومة لندن انتهاء المعاهدة التجارية بين اليابان وغرب افريقية البريطانية بعد سنة من ذلك الاعلان. وفي ١٦ يونيو رفعت مستعمرة المضائق Straits Settlements الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية. وفي ٢٦ يونيو اقتفت مقاطعة شرق افريقية البريطانية اثرها. وفي ٢٩ يونيو أقرت استراليا قانوناً لمقاومة غمر الاسواق Anti dumping على ان يبدأ تنفيذه في ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣

ومع ذلك فقام بريطانيا في اكبر هذه الاسواق، اي السوق الهندية والسوق الاسترالية-ليس من المنفعة بحيث يتصور المتصورون خذ مثلاً على ذلك السوق الهندية:

في السنوات العشر التي انقضت بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٣١ ابتاعت اليابان من الهند ما متوسطه ١٦٠٠ مليون بالة قطن كل سنة ثمنها ٢٤٠ مليون رن. فاذا ردت اليابان على محاولات بريطانيا بمقاطعة القطن الهندي، بار القطن الهندي وخرب زراعته. فينجم عن ذلك ان مقدرة الهند على شراء بضائع لنكشير تضعف. وكذلك تخسر بريطانيا بجيلولتها بين اليابان والسوق الهندية. ولا حلّ لذلك الا ان تقبل منشستر على القطن الهندي فتحل محل اليابان في اتياعه. ولكن لنكشير لن تبتاع القطن الهندي في الغالب. ذلك ان لنكشير كانت تستورد مقادير كبيرة من قطن الهند في القرن الماضي فشجع ذلك الزراع الهنود على توسيع نطاق زراعته. فلما اقبلت الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة الاميركية على زراعة القطن تحولت لنكشير من استعمال قطن الهند الى استعمال القطن الاميركي. ولولا أن تنجد المصانع اليابانية الزراع الهنود بشراء قطنهم لحلّ الخراب بهؤلاء. وقد تعنى بريطانيا

الآن بالعودة الى استعمال القطن الهندي رغبة في استعادة مقامها في السوق الهندية . ولكن ذلك غير مرجح . لان عمال المصانع الانكليزية وقد تعودوا غزل القطن الاميركي ونسجه — وهو اذق اليافاً من القطن الهندي — يرفضون استعمال القطن الهندي مدعين انه غير صحي . ثم ان مصانع لنكشير مجهزة بالآلات اللازمة للنسج الدقيق ولا تصلح لاستعمال القطن الهندي الا اذا طرأ عليها تغيير كبير

فالخيلولة بين البضائع اليابانية والسوق الهندية ، يصدق عليه مثل الرجل الذي قتل اوزة تبيض بيضة من ذهب . ففي العشرين السنة الاخيرة ابتاعت اليابان من الهند خامات يفوق ثمنها ثمن ما ابتاعته الهند من اليابان بنحو ٢٦٠٠ مليون ين . وفي الفترة نفسها باعت انكلترا للهند بضائع تزيد قيمتها على قيمة ما اشترته انكلترا من الهند بنحو ٢٣٠٠ مليون ين . اي ان اليابان كانت تفرغ في الهند في كل سنة من سنوات تلك الفترة ما متوسطه ١٣٠ مليون ين ، حالة ان بريطانيا كانت تأخذ من الهند في كل سنة من سنوات هذه الفترة ، ما قيمته ١٦٠ مليون ين . واذاً نستطيع ان نقول ان الهند بوجه عام ، تسدد لانكلترا بما تأخذه من اليابان . اي ان ميزان التجارة بين الهند واليابان في الفترة المذكورة كانت في جانب الهند ، وأما ميزانها بين الهند وبريطانيا فكان في جانب بريطانيا . فاذا توقفت اليابان عن ابتياع خامات الهند ، نقصت تجارة بريطانيا في السوق الهندية ، لنقص قوة الشراء في الشعب الهندي

ولا ريب في ان هذه الحقيقة حملت حكومتي الهند ولندن على الاتفاق مع اليابان في ٨ يناير سنة ١٩٣٤ ، بعد مفاوضات دامت اربعة اشهر على ما يأتي : يسمح لليابان بتصدير ٤٠٠ مليون ياردة مربعة الى الهند كل سنة . وهذا الرقم ينقص عما صدرته اليابان الى الهند في سنة ١٩٣٢ بنحو ١٠٠ مليون ذراع مربعة — على ان تشتري اليابان من الهند ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون بالة قطن — وهو اقل مما اشترته سنة ١٩٣٢ بمائة الف بالة — وقد تم الاتفاق كذلك على ان تفرض حكومة الهند ضريبة جمركية على واردات اليابان قدرها ٥٠ في المائة وتبقى الضريبة الجمركية على الواردات الانكليزية الى الهند ٢٥ في المائة . ومدة هذا الاتفاق ثلاث سنوات

والراجح انه لو لم يتم الاتفاق لقاطع اليابانيون القطن الهندي ، وفقاً لقرار اتخذته جماعة غزالي القطن اليابانيين في ١٣ يونيو سنة ١٩٣٣ والانكليز يعتقدون ان اليابانيين لا يستغنون عن القطن الهندي ، الا ان اليابانيين يرون غير ذلك . وفي رأيهم ان القطن الاميركي يحل محل القطن الهندي ، على ان يخلط بقطن قصير الشعرة يستصدر من ايران والصين وتركيا وغينيا الجديدة . والطرق التي يستعملونها لخلط الاقطان سر من اسرار الصناعة اليابانية وقد برع فيه اليابانيون براعة عظيمة . والعقبة الوحيدة في سبيل ذلك غلاء سعر القطن الاميركي بالمقابلة مع سعر القطن الهندي

هذا عن الهند . أما استراليا فموقفها شبيه بموقف الهند من هذه الناحية ان تربية الغنم في استراليا كزراعة القطن في الهند . واليابان تستورد من الصوف الاسترالي كل سنة مقداراً يزيد قيمته بنحو ١٠٠ مليون ين على ما تصدره اليابان الى استراليا ففي سنة ١٩٣٢ بلغ ما ابتاعته اليابان من خامات استراليا ١٣٤ مليون ين

وبلغ ما باعتته من بضائعها في السوق الاسترالية ٣٦ مليون ين . والصوف كما لا يخفى هو مادة التصدير المقدمة في استراليا . ومع ذلك اضطرت استراليا ، ان ترفع الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية اليها ، وفقاً لاتفاق اوتوى الامبراطوري . فهي كذلك تقتل بعملها هذا الازوة التي تبيض بيضاً من ذهب . اذ ما يكون مصير صناعة تربية الغنم في استراليا ، اذا عرضت اليابان عن الصوف الاسترالي واقبلت على الصوف الارجنتيني ؟ وأصحاب المصانع اليابانية واثقون كل النقطة من انهم يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، وان ما يقوم في وجوههم من الصعاب يستطيعون التغلب عليه

ولعل خشية استراليا من مقاطعة اليابان لصوفها ، حملها على تعيين ممثل دبلوماسي في طوكيو مثل ممثل كندا في واشنطن . وفي الانباء الاخيرة ان استراليا قد زادت ما تستورده من اليابان . وفي اوائل هذه السنة ذهب وزير خارجية استراليا الى اليابان لمفاوضة حكومته في الشؤون التجارية

هذا هو التحدي الذي يوجهه الشرق الى الغرب . ففي بريطانيا نظام صناعي قديم . حالة ان نظام اليابان لا يرتد الى اكثر من خمسين سنة على الاكثر . فالمصنع الكبير الاول الذي بني في اليابان لصناعة نسج القطن بني سنة ١٨٦٢ وكان فيه خمسة آلاف مغزل . وفي سنة ١٨٦٨ كان في اليابان ٣٠٠ مصنع أما في سنة ١٩٣٠ فقد كان فيها ستون الف (٦٠٠٠٠) مصنع

والفرق الكبير بين النظامين ان مستوى المعيشة في بريطانيا أعلى منه في اليابان . فنفقات الصناعة أعلى . خذ مثلاً العمال البريطانيين الذين يشتغلون في مصانع الجوارب . فالرجل منهم يأخذ اجراً قدره اربعة جنيهات في الاسبوع . والسيدة تأخذ أجراً قدره يختلف من جنيهين الى جنيهين و ٢٥ قرشاً . يقابل ذلك في اليابان ان الرجل يتناول أجراً قدره ١٢ شلناً في الاسبوع والسيدة ستة شلنات . ولكن من الخطأ ان نحسب ان العامل الياباني ، يرهق في العمل لقاء اجر قليل .

فالعامل الياباني يكتفي بالاجر الذي يتناوله ويعيش به عيشه ترضيه . فمسألة الاجور مسألة نسبية واذاً لا يكفي ان نعلم ان تفسير تفوق اليابان على بريطانيا ، الى القول بأنها تفرق الاسواق وتقلد الماركات المسجلة . قد يكون شيء من هذا قد وقع في بعض النواحي ، ولكنه لا يفسر الاكتساح الذي اكتسحت به تجارتها بحجارة بريطانيا في الاسواق العالمية

ونحن اذا تغلغلنا الى صميم الموضوع ، في تقصينا ، وجدنا ان الاسباب التي منحت اليابان هذا التفوق تقسم الى قسمين . اسباب وقتية ، واسباب دائمة .
فمن الاسباب الوقتية الازمة العالمية ، وتأثيرها في هذه الناحية عجيب . ذلك أن الازمة العالمية قد نقصت مقدرة الناس الشرائية ، فأصبح أكثر الطلب في انحاء العالم على البضائع الرخيصة . ولما كان معظم ما تخرجه المصانع اليابانية من هذا الصنف أكثر الطلب عليه واتسع نطاق تجارتها به ، ويظن احد كتاب السبكتاتور ، ان مقدرة الناس الشرائية في بعض البلدان قد تقلصت ، حتى ليتعذر على الناس فيها ان يشتروا البضائع البريطانية الغالية ، ولو انسحبت اليابان من ميدان المنافسة . يضاف الى ذلك أن هبوط سعر « الين » قد مكن اليابانيين من ترخيص بضائعهم وخصوصاً في البدء ، لما كانت مخازنهم لا تزال مكظوظة بمواد خام اتيحت بالذهب

اما الاسباب الدائمة ، ففي مقدمتها ان اليابانيين ، عنوا من بدء سنة ١٩٢٩ باتباع خطة Rationalisation في صناعتهم ، أي اعادة تنظيمها ، بصرف النظر عن التقاليد ، وفقاً لاحكام العقل ، حتى تقل نفقات الانتاج الى أدنى حد مستطاع . وهناك عامل آخر . فالمشهور ان اليابان كانت تفتقر الى ان تبتاع كل غذائها من الخارج . وهذا على ما يظهر خطأ واذاً فسقوط سعر الين ، من حيث مقدرة على اتياع الاغذية اللازمة لها من الخارج لا يهملها على الاطلاق . وعليه ، تستطيع ان تستعمل كل الاموال التي تبيع بها صادراتها في الخارج ، لشراء المواد الخام لمصانعها . أما في انكلترا فأكبر جانب من ثمن بضائعها الصادرة يستعمل لا بتياع الطعام . وما دامت الاطعمة التي تنتجها بلاد اليابان نفسها ، مماشية لزيادة السكان فيها ، فقيامها الاقتصادي ، كصناعة ومصدرة ، يظل قوياً ككل القوة صحيح أنه من المتعذر الآن ، التنبؤ بما تكون عليه نقود الامم بعد سنة او بعد خمس سنوات . وهل تبقى لليابان هذه الميزة التي يمنحها اياها هبوط « الين » ولكن الامر الذي لا ريب فيه أنه اذا استقرت العالم ، ظل في نظام الصناعة اليابانية ، عناصر تجعل لليابان ميزة على بريطانيا ، وعلى الدول الصناعية في الغرب بوجه الاجمال

يضاف الى ذلك عامل نفسي له شأن كبير . فالعامل البريطاني ، لا يحسب الصناعة همها الاول والتاجر البريطاني كذلك . بل ينصرفان الى مطالب الحياة الاخرى ، في الرياضة او الفن أو العلم او المطالعة او غيرها . ولكن العامل الياباني ، يحسب الصناعة او التجارة همها الاول ، لان لا حياة لامتة من دونها فينصرف اليه بعزم يفل الحديد . وقد يفضل الغرب الشرق من هذه الناحية لان للحياة مطالب أعلى من مطالب النجاح المادي ، ولكن هذه الصفة على كل حال ، مهما يحسن الظن بها ، لا تساعد الغربي في ميدان المنافسة الدولية ؟

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب عبد الرحمن شهبندر

عوامل التجانس

الذي تبني عليه وحدة الأمم

لقد جعلنا التجانس المحور الذي تدور عليه الوحدة السياسية في الامم ، فلامة حيث لا يرتبط الافراد برابطة التشابه والتماثل ، ولا نعرف سياسياً عبر عن هذا التجانس بقاعدة قريبة من قواعد العلوم الحسية الرياضية مثل بسمارك داهية الالمان فقد جعل القاعدة التي تقوم عليها الامبراطورية الجرمانية ما يأتي وهي : « طاقة النموذج البروسي على اهتضام العناصر الجرمانية الاخرى وتمثيلها » لما بينه وبينها من اسباب التشابه والاتصال

وتبوء هذه العوامل على الطريقة الآتية :

(أولاً) احتلال بقعة جغرافية منضمة ، لان شأن القطر الواحد في سبك سكانه امة هو مثل شأن البيت في سبك اهله اسرة . فنزول قوم بارض يستنشقون هواءها ويشربون ماءها ويتدفأون بشمسها ويتمتعون بمنظرها ويتعاونون على استخراج خيراتها يقرب شقة الخلاف فيما بينهم ويساعدون على التجانس في الافكار والاوزاع ، ذلك ان اتصال الجمعية البشرية بحيطها الطبيعي واعتمادها عليه هو اتصال مباشر ، وقدما عرف الناس ان المرء ابن الارض التي ينبت فيها ، واهتمام الامة بان تكون الارض التي تعيش عليها منضمة معروفة الحدود غير متداخلة في غيرها يفسر لنا احتجاج الالمان الصميم على ما احدثته معاهدة (فرساي) من اقامة (المجاز البولوني) بين بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية . ومثل هذا الباعث يحمل الارلنديين على مقاومة كل جهود لاقرار دولة (ألتستر) في شمال جزيرتهم مع كل ما قيل من تلك الفروق الواهية بين اهل الشمال والجنوب ، ونحن اعرف الناس بمن لا يرضى ان يتحد البروتستانت والكاثوليك هناك ، بل ان يبقى الخلاف بينهم على سلطة البابوية الروحية الى الابد ، لاننا خبرنا في سورية من لا يرضى ان يتحد السني والشيعة فضلاً عن المسلم والنصراني . وما تلك الدويلات الخرافية التي احدثتها يد الاستعمار في الوطن الغالي الا محاولة لتمزيق شمله بتمزيق وحدة ارضه ، بل ان الشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ينبغي في جملة ما ينبغي من الغايات السياسية اقامة حاجز اجنبي بين اجزاء البلدان العربية لاضعاف صلتها الجغرافية وكما لا تعيش اسرة من غير بيت تنضم تحت سقفه كذلك لا تعيش امة من غير وطن تأتلف فوق

ارضه . وان قواعد الحقوق الدولية الحاضرة كما قال (لورنس) تتخللها فكرة السيادة الارضية الى درجة ان كل حياة سياسية لم تستقر على بقعة من سطح الارض تمتلكها وتتصرف فيها تصرفاً مشتركاً لا تستطيع الانتفاع بالقانون الدولي^(١) وقد كان اغتصاب الاراضي من اصحابها في ازمنة التاريخ باعناً من أقوى البواعث على الحرب والانتقام ، ونرى اثر ذلك في البوادي التي لا يظن انها ملك احد مادة اذ يقع العراك فيها لاجل الآبار والمراعي ، وكلما استقرت الامم واسبطر عمرانها ارتبط تاريخها بالارض التي نبتت فيها بحيث تصير سواقيها وانهارها وجبالها واغوارها حتى كثران رمالها رمزاً لكل عزيز ومقدس ومبجل

(ثانياً) العامل الثاني (القرابة) او (وحدة النسب) :

ان علائق النسب بين الامم وابنائها وهي اقدم قرابة عرقية كانت الاساس الذي قامت عليه الرابطة الاجتماعية منذ انبثاق فجر البشر ، ولا تزال العامل الاكبر في تعيين الاخوة في الجماعات الابتدائية . وتنقسم قبائل البدو في ايامنا الى بطون وانفاذ جرياً على هذه القرابة الطبيعية الحيوية بيد ان البحوث المقابلة في الحيوان لا تمنح هذا الاتصال في الاصلاب والابدان غير شأن مؤقت ، فلاشبال مثلاً تتعامل فيما بينها تعامل الاخوة ما دامت تعيش في عرين واحد وترضع من طيبي واحد ، ولكن متى اضطرتها مصالحها الفردية الى البحث عن طعامها وما تتطلبه اجسامها من المطالب الحيوية بطريقها الخاصة انقطعت عن الاسرة وغادرت المكان الذي ولدت فيه ولم تعد تعرف امها ولا اخوتها بالامس بل اذا صادفت احداً منها عرضاً في الطريق عاملة معاملته العدو المزاحم . ولوبقي هذا الخلق الذي ندعوه بشراً خلواً من الميزات التي جعلته انساناً — من اللغة والعقيدة والعاطفة والفكرة وسائر الملكات الاجتماعية التي اكتسبها في حجر ابويه وبين اخوته — ما اختلفت هذه القرابة فيه عن الحيوان اختلافاً يتيماً ، ولكن الذي اكسبها هذا الشأن في الاقوام على اختلافها — حتى في الاقوام الراقية المعاصرة — كما هو الحال في المانيا النازية اليوم وما صنعتها من تمييز الجنس الآري لاختلاص من اليهود الساميين — هو ان مهد القرابة في حجر الآباء والامهات هو مهد الاتحاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي أيضاً ، ففي هذا المهد يتلقن الانسان اللغة ويمارس شؤون الحياة العملية وتربى فيه الملكات الاجتماعية مما يحمله على الظن ان هذه التحف المعنوية الثمينة التي زانت نفسه هي العرض ، وان القرابة الرحمة هي الجوهر ، مع ان الحال على عكس ذلك الى مدى بعيد ، ولا يعني هذا الكلام اننا ننكر بتاتاً شأن الوراثة السلالية القومية ولا سيما في السلالات المتباينة في الوانها بل نريد ان نقول ان البيض — خصوصاً الآريين منهم — افراطوا في تقويم هذه القرابة بالتمن الغالي كما افراط الانسان في قويم الماس والياقوت والفيروز وسائر الاحجار الكريمة وان كانت هذه «المجوهرات» عند التحليل نهائياً وفي الميزان العقلي المجرد لا تعدوا ان تكون احجاراً فقط

(1) The Principles of International Law p. 58.

على ان الثمن الذي يضعه المجتمع للاشياء والاعيان اصطلاحاً هو ثمن شئنا ام أيّنا ، ومعرفتنا ان الماس من الوجهة الكيموية مثلاً خف لا تمكننا من شرائه بالارطال بل لا يزال يباع بالقراريط وانصافها وارباعها على رغم الصيغة التي تدون بها مادته في كتب الكيمياء لا غرو ان الاقوام الناشئة تبحث عند سعيها لتأليف وحدثها عن عنصر القرابة ايضاً ، وهذا ما يشاهد في شعوب العالم العربي اليوم ، فما نسمعه من الضجة حول اصل السوريين والمصريين وسائر سكان افريقيا الشمالية هو ظاهرة من ظواهر هذا السعي الموفق ، فهذه المجموعة لا تكفي بما بينها من عناصر الاتحاد الاجتماعي الوثيق من لغة وعقيدة وعادة وتاريخ ومصلحة بل تبحث عن تلك الرابطة البيولوجية ايضاً — رابطة الاعراق — فتجدها في الموجات السامية التي طغت من الجزيرة العربية على الانحاء في القرون الخالية وربما كان آخرها الفتح الاسلامي ، وهي ترى كيف انتقلت هذه الدماء الى الاقطار القريبة والبعيدة في آسيا وأفريقيا ، وهذا مما يساعد على تقوية الائتلاف الحاضر وتأييد الرابطة المنشودة وان لم يكن جوهرياً كما يدل تأليف الولايات المتحدة من عناصر متباينة

وغير نكير ان العرب الاقحاح حاولوا بعد الاسلام الاحتفاظ بأنسابهم ولكن دخولهم الامصار واختلاطهم باخوانهم في الدين من العرب والعجم وتزاوجهم كل ذلك ادّى بهم الى اطراح اكثر هذه الأنساب — الا ما بقي منها متعلقاً ببعض البيوت المقدسة وأشباهاها كالبيت الهاشمي والبكري والعمرى والعلوي الخ — ذلك ان الدين الاسلامي لا يفرق بين اتباعه الا بالتقوى ، لاجرم اتنا نجد القبائل العربية التي دوخت فارس والروم اندججت في البلدان التي فتحتها ، فما كان متيسراً لها من حفظ انسابها وهي نازلة بالبقاع المنقطعة في الجزيرة تعاني شظف العيش وتعجز عن تحمل فرد واحد آخر تزيد اعالته على ما عندها من الموارد الضيقة المحدودة ، اصبح متعذراً بعد نزولها الامصار وامتزاجها بمن اعتنق دينها وقبل ثقافتها . وفي عقيدتي ان كل محاولة لاتخاذ اية قرابة اقليمية خاصة في العالم العربي لتقف دون الروابط الوثيقة التي ذكرناها هي محاولة عقيمة محكوم عليها بالاخفاق في عصر الامم الكبيرة الذي نعيش فيه ولا تستند الى شيء من العلم ، وقد يكون الباعث عليها احقاداً خلفتها القرون الوسطى او اغراضاً استعمارية لا يطمئن بالها ما لم تر سكان الشرق العربي ممزقين الى فينيقيين وأشوريين وفرعونيين وبربر وعرب علاوة على تمزيقهم الى ملل ونحل لا يتسع لذكرها هذا المقام . وان تعجب لشيء فعجب ان تستعين قوى التاريخ الاجتماعية بالثقافة العربية منذ اربعة عشر قرناً لتجعل منا وحدة صحيحة فيأبى الممزقون من مستعمرين او متعصبين الا ان يستعينوا بقوى البسطة الاوربية السياسية في القرن العشرين ليبلبلونا

لقد اتفق المستثمرون على آلة الهجوم فما بالنّا ونحن الذين تنزف دماؤنا نختلف على آلة الدفاع؟ وما هو حري بالتدوين اننا احصينا الزعماء النافذين في بعض البلدان التي قام من ابنائها نفر يصيح

عالمياً بهذه الدعوة الاقليمية « الجاهلية » فوجدنا معظمهم من العرب الاقحاح الذين لا يختلف في نسبهم مؤرخان ولا ينتطح في عروبهم عنان - ناهيك بتلك العرى الوثيقة التي لم تغادر كبراً او صغيراً الاً ضمته الى هذه الوحدة المقدسة

ثالثاً : ﴿ وحدة اللغة ﴾ نعتقد ان اللغة عامل من اقوى العوامل للتشابه بين الناس ، فقد دلت التبعات الدقيقة في التدرج الاجتماعي على ان الثقافة العامة هي الاساس المتين الذي يشترك الافراد - كلٌ بحسب قابليته - في بناء صرح الامة عليه ، وفي حجر القرابة الرحمة يتوارث الخلف عن السلف ثقافة معنونة واحدة ، وفي رابطة الدين تنتقل العقائد من الواحد الى الآخر وينتقل معها الكثير من مقومات الثقافة ، ولكن في الاشتراك اللغوي المبني على التفاهم المباشر توحد هذه الثقافة ويكون الشبه القائم عليها شبيهاً روحياً وفكرياً واجتماعياً في آن واحد ، ولم يعد المجتمع اسيرة ولا نخذاً او بطناً او قبيلة بل اصبح يضم العناصر على انواعها تحت لواء واحد من الثقافة هي ثقافة اللغة في الدرجة الاولى . وقد وجد اهل البحث في الولايات المتحدة حيث يكثّر المهاجرون ان اهل اللغة الواحدة هم اقرب الى التفاهم والتضامن على اختلاف الدين والمذهب من اهل العقيدة الدينية الواحدة المختلفين في لغتهم الاً اذا كان المهاجرون لا يزالون في ثقافتهم على طريقة القرون الوسطى . ومن المسائل التي اتعبت الحكومة الاميركية ما اشار اليه « الموجز في علم الاجتماع » بقوله « والصعوبة في اقرار النظام الاجتماعي بين الجماعات المختلفة ذات اللغات المتنوعة والافكار المتنافرة والمشاعر المتباينة هي صعوبة كبيرة جداً حتى انها لتلاحظ اليوم في المدن الاميركية الكبرى وما فيها من اهلين غير متجانسين واللغة هي وليدة السعي للانفصاح عما يخالج النفس من الافكار ، ومن ينقب عن منشأ المجتمع البشري يجد في فعل اللغة وفي رد فعلها سبباً من الاسباب الداعية الى تكوين هذا المجتمع ونتيجة من النتائج الناجمة عنه »

ونحن باللغة نصور حالات النفس ، ونرسل على سلكها ادق مشاعرنا الى اعماق قلوب غيرنا وبها نقنع الخصم ونهذب الطبع ونستفز الحمية وننشر العلم ونهدي الضال وننير الطريق ، واللغة رحي اجتماعية تطعن العناصر وتمزج بعضها ببعض ولولاها ما كان اتساق ولا انسجم رأي عام ، فهي هي اساس التشابه الاجتماعي الذي تبني عليه الوحدة الوطنية وهي هي اداة التنظيم العقلي الذي يكسب الامة ارادة عامة ، وقد احسن ارسطو كل الاحسان بتعريفه الانسان انه حيوان ناطق . قال الاستاذ بايندر « وطاقه الناس على التكلم بلغة واحدة تعني اشتراكهم في اعمال اخرى على نمط متشابه وطريقة واحدة ، وتنتقل الملاحظات من الواحد الى الآخر بسبيل الكلام فكان متحماً ان يعمل التلميذ مثل استاذه على اساس المحاكاة والارشاد . وهكذا يكون اتجاه عقلي متماثل يتجلى في الاعمال المتماثلة في كل دائرة من دوائر الحياة ، فتكون عروة الاتصال في الواقع عروة تطبيع لاعروة طبع ، ولكن هذه الحقيقة لبثت مجهولة زمنياً مديداً . فاهتم الناس خطأ بالانساب وصلة الارحام

بدلاً من ان يوجهوا عنايتهم شطر العنصر التهذيبي المتجلي في العلائق القائمة بين الناس على الادراك. ولا تزيد قيمة الانساب والاصلاب في الانسان عن قيمتها في الحيوان، ولكن الباسها حلة من القدر والقيمة جعلها رابطة من الروابط الاجتماعية (١)

رابعاً : ﴿ الوحدة الدينية ﴾ الاخوة الدينية جزء من الثقافة العامة ولها اثر فعال في جمع العناصر المتباينة ، وكان ذلك خصوصاً قبلما ظهرت الوطنية الحديثة بشكلها الزمني الشامل ، ولما كان الدين في القرون الوسطى الفارق الاعظم بين الناس ، وكان المجتمع قائماً من الاساس على انواع المعبودات التي يسجدون لها بحيث ينظر الى دين المرء أكثر مما ينظر الى لغته وعاداته وجنسه والاقليم الذي ولد فيه ، فكانت الحروب الخارجية تعان بين الجماعات لاسباب دينية كما هي الحال في الحروب التي أثارها النصرانية لتحطيم الوثنية والثورة العالمية التي قام بها الاسلام للتوحيد والتنزيه عن الشرك ، والحروب الصليبية التي شنتها اوربا على بلاد الاسلام بحجة انقاذ القبر المقدس ، وهي ما فتئت تشنها حتى في القرن العشرين كما يستدل من قول اللورد النبي عن فتح فلسطين انه آخر حرب صليبية - لما كان ذلك كله قائماً على اعتبارات يتعلق معظمها بالايمان وبالعبادة وبالموقف الخاص الذي يقفه المؤمن تجاه معبوده فلا غرو ان يقسم الخلق اجمالاً الى قسمين اثنين لا ثالث لهما قسم المؤمنين وقسم الكفار وان نعتبر ملة الكفر واحدة مهما اختلفت العقائد التي تدن بها ، وان يعامل « المؤمنون » معاملة فيها كل انواع التفضيل ، في حين يحرم الكفار من كثير من الحقوق حتى ما كان منها في بعض الاحيان جوهرية ، ويبدو الاثر الذي تحدثه هذه النظرية الى عصر متأخر في الكتب التي وضعها بعض المشتريين الاوربيين المتأخرين عن « حقوق الدول » وفيها حصروا التمتع بمزايا هذه الحقوق ومنافعها في العالم النصراني - دون العالم الاسلامي مثلاً - يعني ان الذي يقول « باسم الاب والابن وروح القدس » يحق له ان يجلس في قاعة الامم واما الذي يقول « باسم الله الرحمن الرحيم » فيبقى خارجاً !

وفي العلوم الاجتماعية الحديثة ان الدين هو احد الروابط التي تربط الناس بعضها ببعض من غير زيادة ولا نقصان - فالرايان المتطرفان وهما رأي من يقول ان الدين لا شأن له اليوم في جمع الناس من جهة ، ورأي من يقول ان الدين هو العامل الوحيد في تأليف الجماعات من جهة اخرى ، كلاهما بعيد عن محجة الصواب ولا يؤيده العلم ، وحسبنا في تأييد ما للرابطة الدينية من قوة في دهاء الناس ان نبين هنا كيف تستغلها السياسية التوسعية لمصلحتها وتستعين بها على الجماعات كما تفعل فرنسا في سورية فاننا نراها هناك احرص على المذهب النصيري والدرزي من النصيريين والدروز أنفسهم . وليس في الاحداث السياسية بعد الحرب العظمى حدث بني على الرابطة الدينية - في الظاهر - مثل الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، فمثل هذه التجربة الجريئة في بلاد لا يدين

أهلها باليهودية لا تليق بدولة تعيش في القرن العشرين ، ولو قامت مثل هذه الدعوة في بلاد شرقية متعددة الأديان لمانا أهل أوربا بكل مذمة ولادعوا بأننا لا نزال على وضعة القرون المظلمة ، وليس في جميع الشرق اليوم دين حرمانى ينصب الحواجز حوله عالياً كالصهيونية لأنها أضافت إلى الوطنية المتطرفة تعصباً دينياً متطرفاً

وهل يوجد في جميع العالم سخييف واحد في طاقته ان يدعي ان محمداً هيام فرنسا بالدرزية وانكثرا باليهودية أدت إلى تأليف دولة الدروز في سورية والوطن القومي الصهيوني في فلسطين ؟ وكنا نحسب ان إرلندة في نهضتها الحديثة افهمت الانكليز خطر العبث بالأديان واتخاذها وسيلة للأغراض السياسية المادية ، فزرع البغضاء على هذا النمط لا ينبت غير القلاقل في الأحوال العادية ، وأما عند سنوح الفرص - في الحروب العامة واشتغال كل فريق بما يضمن له أسباب الحياة - فالخطر يتجاوز حدود الشرائع وقواعد الإيمان

ونحن وان لم نخارنا شك في قوة الدين الروحية وانها على جانب عظيم من الخطورة إلا ان نهضة الشعوب الحديثة في القرن الماضي وفي هذا القرن - نهضة الترك انفسهم وهم من صميم الشرق - حملتنا على لفت انظار القراء إلى قول الاستاذ (بايندر) وما فيه من الحق الصريح حين وصفها بأنها «تفقد سلطانها حتى بين الشعوب الأكثر جهلاً في آسيا ، لأنه لما اريد جمع المسلمين تحت لواء الجهاد المقدس لمقاتلة النصارى لم يطع اتباع النبي تلك الدعوة بل ان الكثيرين منهم قاتلوا خليفته على اساس وطنية استفاقت من غفلتها حديثاً . فالعرب مثل المسلمين الهنود اشتبكوا في حرب يقاتلون الترك باعتبارهم طورانيين . وفي يومنا هذا تفوق الوطنية بمداهها البعيد وشأنها الخطير سائر روابط الاتصال بين الجماعات » (١)

(خامساً) خضوع مشترك حقيقى من الزمن لحكومة نظامية ثابتة !

مهما قيل في الامبراطوريات العظيمة التي تتألف من عناصر متنافرة فان خضوع هذه العناصر لحكومة واحدة مدة من الزمن مديدة يقرب شقة الخلاف الطبيعي فيما بينها من بعض الوجوه ويجعلها في كثير من امورها على نسق واحد . وقد كانت الامبراطورية النمساوية مثلاً على ذلك في الغرب إلى ان مزقتها الحرب العالمية ، وكذلك كان حال الامبراطورية العثمانية ، فان حكومة الترك العثمانيين بعد استقرارها اجيالاً في الاستانة استطاعت ان تخلق من الترك والعرب والكرد والارمن واليونان والالبان على اختلاف الملل والنحل شيئاً من التشابه والاتساق على الرغم من دواعي التنافر

وبواعث الاحتكاك . فاذا كان هذا سلطان الادارة المستديرة في سبك العناصر المتنافرة فليت شعري ماذا يكون سلطانها في العناصر المتجانسة في طبعها وطبيعتها وثقافتها ؟ ولا مرأى ان ذاك الوضع الديني السياسي الذي خلفته القرون الوسطى وهو وضع البابوية في النصرانية والخلافة في الاسلام كان له الاثر الفعّال في سبك (المؤمنين) وطبعهم على غرار واحد . وغير نكير ان البابا كان في بعض الاحيان في وكر كما كان الخليفة في قمص ولكن الوضع الذي مثله كان ممتدّا الى اقاصي المعمور ، ولئن تجلّى هذا الامر الروحي السياسي بأنهم مظاهره في القرون الوسطى فذلك لان العقيدة الدينية تناولت حياة البشر في تلك الاجيال من جميع الوجوه فقد عاش الناس يومئذ في الدين واكلوا في الدين وشربوا في الدين وماتوا في الدين وعملوا سائر اعمالهم في الدين كما يتضح من التلاوات والاوراد والشعائر التي كان يقوم بها الفرد منذ ما يصبح في فراشه الى ان يعود اليه في الهزيع الاول من الليل . ويعجز القلم عن تبين الخدمات الجلّية التي أدتها العقيدة الدينية لتنظيم اكثرية عظمى من الناطقين بالعربية تنظيمًا روحياً عقلياً اجتماعياً واعدادهم للتفاهم ، لان الشرط الاول في تأسيس الدولة الثابتة هو احداث نواة من التجانس صالحة للارتكاز والتجمع ، ولولا هذه النواة المؤلفة من الاكثرية لادّى التنافر والتشاكس بين العناصر المتكافئة الى الفوضى والتفتت . ومن بعد ما تألفت هذه النواة صار في الميسور الانتقال الى الطور الاجتماعي التالي وهو طور الوحدة السياسية ، وفي هذا الطور تتسع اسباب التشابه بحيث تصير الثقافة العامة - بصرف النظر عن العقيدة الدينية والمذهبية - اساس اجتماع الكلمة ، فيكون للوضع الديني السياسي المزدوج في القرون الوسطى والحالة هذه القدر المعلى في اعداد الشعب على اختلاف ملله ونحله للالتزام الحديث والمضي في طريقة سياسية تضمن للجميع اخوة ومساواة من غير تفريق ، لان وحدة من غير اكثرية اساسية سابقة يقوم عليها البناء السياسي وتلتف حولها الاقليات مع احتفاظها بخصائصها هي وحدة الاحلام ، ويعمل القبط اليوم وهم من صميم النصارى مع اخوانهم المسلمين رفعة شأن مصر اعمالاً تسجل بمداد الفخر وهي درس بليغ يجب ان يتلى على مسمع من شغلهم السفساف القروسطية والتعصبات البالية عن انقاذ بلادهم من مرأشف المستنرفين وبرائن المستعمرين

(سادساً) : اشتراك في المصلحة الاقتصادية وتماثل في المهن والحرف وما ينتظر لها من ثمرات (سابعاً) : «اشتراك في تقاليد عامة وفي ذكريات من آلام مرّت وانتصارات تمت وهي تبدو في الاغاني والاساطير والاسماء الغالية لشخصيات عظيمة تتجلى فيها ميزات الامة ومثلها العليا وكذلك في اسماء الامكنة المقدسة حيث الذكرى الوطنية العامة مدفونة في كعبة يحج اليها القوم» وقد قال الاستاذ (رمزي ميور) عن هذا العامل انه اقوى العوامل التي تسبك الافراد امة وانه لا يمكن الاستغناء عنه ، مما يدل على انه يرى الوطنية كما يراها سائر الكتّاب المحققين شعوراً داخلياً وفيضاً معنوياً وهذا ما سنزيده ايضاحاً في المقال الآتي

نكبة الاقتصاد الزراعي المصري

ازمة وسائل النقل

توفيق البارمى

اجمع الاقتصاديون في العالم كله على ان الازمة التي تعانيها جميع الامم هي ازمة شبع لا ازمة جوع وقد جمعت من المتناقضات ما تسمئ منه النفس البشرية . فالقمح يتلف في استراليا وكندا واميركا الشمالية . ومع ذلك يقدر عدد العاطلين والاسر المرتبطة بهم بنحو خمس الجنس البشري على الأقل وجميع هؤلاء العاطلين في حاجة الى القوت الضروري . وتهلك اميركا وبلاد السكندناف الخنازير وغيرها من حيوانات اللحوم لكي تصون سعر اللحم في السوق مع ان عشرات الملايين من الفقراء والعاطلين لا يجدون الخبز فضلاً عن اللحم . وتبادر جميع البلاد الزراعية الى تحديد الانتاج من القمح والسكر والقطن ولو تركت الاراضي بوراً مع ان ابناء الانسانية الفقراء الذين يعدون بمئات الملايين يحتاجون الى الطعام والملابس ولكنهم لا يجدون سبيلاً الى الحصول عليها على ان هذه الخدمة العظمى التي تؤديها الدول المنظمة القوية لارباب رؤوس الاموال لا يمكن ان تدوم طويلاً لان ناموس الاقتصاد الطبيعي لا بد ان يفعل فعله فيتطور الزمن وتبديل الاحوال والآراء ويسير الاصلاح سيره شيئاً فشيئاً . ونحن نشهد هذا السير الآن وان كان بطيئاً . فالام التي تفتبه له وتبادر الى تكيف حياتها الاقتصادية . تكييفاً منطبقاً عليه تستطيع ان تنجو بنفسها من حكم الطبيعة القاسي وتجاري الامم الاخرى في مضمارها الجديد

وفي طليعة الحقائق التي ينبئنا بها سير العالم الاقتصادي الحالي هبوط اثمان الحاصلات الزراعية ونزول اثمان المصنوعات في أثرها . فقد ارتقى العلم في هذا العصر ارتقاء شمل الانتاج الزراعي من جميع نواحيه كما شمل كل شيء آخر ، فأصبحت آلة صغيرة لا يزيد ثمنها على بضع مئات من الجنيهات قادرة على انتاج محصول لم يكن ينتجه من قبل سوى مئات من الايدي العاملة . وتقدمت وسائل النقل وتنوعت فهبطت الاجور وترتب على ذلك كثرة الانتاج وترتب على كثرة الانتاج هبوط الاسعار فضعفت قوة الشراء في البلدان الزراعية . ولما كانت هذه البلدان تستهلك الجانب الاعظم من مصنوعات المعامل فان هذه المصنوعات لم تجد اسواقاً لاستهلاكها لان ثمنها اعلى من القدرة العامة

على الشراء ولم يكن في وسع المعامل تخفيض الاجور تخفيضاً يذكر لان العمال منظمون ومستعدون للاضراب عند تخفيض اجورهم . ومن هنا نشأت الازمة الصناعية واستفحلت البطالة واستطاع بلد كاليابان رخصت فيه أجرة العمل ان ينتهز هذه الفرصة ويغمر اسواق العالم بمصنوعاته . ويضيف الى رخص اجرة العامل اتقان التنظيم الصناعي وتخفيض سعر العملة فاليابان في مقدمة الدول التي استطاعت تكييف الانتاج وفقاً لحاجة الزمن ولذلك لا يرى فيها من الازمة ما نراه في غيرها . فالازمة تعظم او تضعف بقدر ما تنتبه الامة الى تكييف احوالها ومراعاة التطور الاقتصادي الجديد في العالم

اما مصر فقد تكون في مؤخرة الامم المنتجة التي تنتبه الى هذه الحقائق اذ ما زالت تكاليف الانتاج فيها كما كانت قبل الازمة . ولولم تخفف الحكومة وطأة هذه التكاليف بتخفيض ضريبة القطن وبمنح الاعانات لتصدير القمح والبول والارز وبتسهيل التسليف الزراعي وبتخفيف بعض الضرائب لاصيب هذا القطر بكارثة كبرى

ولكن جميع هذه التدابير ليست علاجاً بل مسكناً وقتياً من ألم الازمة . اذ ما زالت تكاليف الانتاج موازية لثمن المحصول . فالقطن لا يباع الآن بربح يذكر . والقمح لا يمكن ان يبلغ سعره الحالي لولا الرسوم الجمركية الفادحة المفروضة على القمح الاجنبي . فالربح منه ليس ربحاً اقتصادياً بل عبارة عن مبلغ تأخذه الحكومة قسراً من جيوب جميع السكان في مصر وتمنحه لزراع القمح الذين لا يستطيعون ان ينتجوه ويبيعوه بالسعر الذي يباع به قمح البلدان الاخرى . ولولا اعانات التصدير الكبيرة التي انفقت على الفول والارز لما كان من الممكن اصدار شيء منهما ولهبط سعرها الى اقل من تكاليف انتاجه الحالية كما رأينا ذلك فعلاً في وقت من الاوقات

فالخطة الوحيدة التي يجب اتباعها لجعل الاقتصاد الزراعي المصري عملاً منتجاً رابحاً بذاته هي تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة غلة الفدان . واود ان اقصر كلامي في هذا المقال على الشق الاول لانه في نظري من المهم التي يسهل الاضطلاع بها في الحال بدون حاجة الى عناء كبير او نفقات كثيرة

وفي مقدمة تكاليف الانتاج اجرة اليد العاملة واثمان البذور والسماد والضرائب واجور النقل . اما الاولى والثانية فلا سبيل الى تخفيضهما تخفيضاً يذكر لانهما بالغتان ادنى الحدود . واما الضرائب فقد خفف جانب منها واستعاض الزراع عن جانب آخر باعانات التصدير وبيع بعض المنح السنوية . على

انها ما زالت اعظم من الحد الذي تتحمله حالة الانتاج الزراعي الحاضرة فلا بد للحكومة عاجلاً او آجلاً من ان تفكر في تخفيضها الى المستوى الذي تقتضيه سلامة الاقتصاد الاهلي . وأما اجور النقل فهي التي تستحق العناية العظمى الآن ويتوقف عليها جانب كبير من التيسير الذي يسمح للاقتصاد الزراعي بأن يكون رابحاً

واعظم وسائل النقل في مصر هي السكك الحديدية فلو رجعنا الى تعريفاتها المختلفة وجدنا انها اغلى السكك الحديدية اجوراً في العالم مع انها لا تدفع ضريبة ايراد ولا رسوماً محلية ولا شيئاً مما يحد من ارباحها . ويتقاضى موظفوها على اختلاف درجاتهم مرتبات تزيد اضعافاً على امثالها في السكك الحديدية الاخرى في العالم . على ان اجور النقل عدلت فيها قليلاً في العهد الاخير ولكنه لم يكن التعديل الكافي الذي تقتضيه مصلحة الانتاج الزراعي . ويكفي ان نعلم الآن ان اجرة نقل قنطار من البصل من الوجه القبلي الى الاسكندرية تزيد كثيراً على ثمنه . وأجرة نقل شحنة كاملة من البطيخ من مكان يبعد ثلاث ساعات عن القاهرة الى اسواق هذه المدينة تزيد على ثمن الشحنة زيادة كبيرة فكأن الزارع يزرع وينتج ويعمل طول السنة لكي يدفع ضعف ثمن محصوله اجرة نقل

ومن الغريب ان لدينا في مصر وسائل نقل رخيصة جداً ولكننا نهمل امرها ونحاربها بكل قوانا . فالنيل يتخلل بفروعه وترعه الحياء القطر جميعها . وفي الامكان تعزيز الملاحة النهرية لتعزيزها . يسمح بنقل المحاصيل المصرية بين المدن المختلفة وبين الحقول والمواني بأجور تقل عن ربع الاجور الحالية بالسكك الحديدية ومع ذلك تضع الحكومة جميع العقبات الممكنة في سبيل النقل النهري ورائدها في ذلك منعه من منافسة السكك الحديدية مع ان الخطة المثلى هي ان تعمل على ازالة تكاليف النقل بالسكك الحديدية الى مستوى اجور النقل المائي او ما يقرب من مستواها لا على رفع هذه الى مستوى تلك

وما يلاقيه النقل المائي من العراقيل تلاقيه السيارات . فالقطر المصري محروم من الطرق المعبدة التي لم تعد اقل المستعمرات شأنًا في العالم خالية منها . ومن العار ان يوجد في بلد ناهض كمصر طريق سبي بين مدينتين كبيرتين كطريق القاهرة والسويس . ومتى خرج المرء من المدن الكبيرة فانه لا يكاد يجد طريقاً عصرية للسيارات . ولا نظن ان قلة المال هي التي تدفع الحكومة الى اهمال الطرق . ولا نجد تعليلاً لهذا الاهمال سوى الحرص على ان لا تنافس السيارات السكك الحديدية ومن جملة التدابير التي اتخذتها الحكومة لحماية السكك الحديدية من المنافسة زيادة الرسوم الجمركية على السيارات اضعافاً ورفع الرسم الجمركي المفروض على البنزين من نحو ١٤٠ قرشاً في سنة

١٩٣٠ الى ١٢ جنيهاً في سنة ١٩٣٢ . وما زال هذا الرسم كما هو حتى الآن . وأصدرت الحكومة أخيراً ضريبة السيارات . فكان نصيب السيارات الخاصة بالنقل منها فاحشاً جداً اذ قد حصرت استعمال سيارة النقل الكبيرة في مديرية او محافظة واحدة وكلما امتدت الى مديرية او محافظة اخرى زاد عليها الرسم . ثم ان الرسم جعل وفقاً للوزن فهو ١٥ ملياً عن كل كيلو من الوزن الاجمالي لسيارة النقل على ان لا يقل مجموع الرسم عن ١٥ جنيهاً ولا تستعمل السيارة الا في مديرية او محافظة واحدة . فاذا استعملت في مديرتين زاد الرسم الى ٢٠ ملياً على الكيلو الواحد . والحد الأدنى الى ١٥ جنيهاً . واذا استعملت في جميع انحاء القطر زاد الرسم الى ٢٥ ملياً على الكيلو الواحد . وقد احتفظت الحكومة لنفسها في قانون هذه الضريبة بالحق في زيادتها حتى ٣٥ في المائة ومعنى ذلك انها اذا لم تجد الضريبة كافية لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية فانها تظل تزيد الضريبة الى ان تقضي على المنافسة

قد يقال ان الحكومات الاوربية تجري على مثل هذه الخطة لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية في النقل ولكن الفرق بين ما تفعله نحن وما يفعلونه هم هو انهم يتوخون الانصاف في القرض وفي المعاملة لا حماية احد الفريقين على حساب الآخر . فالسكك الحديدية في انكلترا مثلاً تدفع ضريبة ايراد فاحشة وتدفع رسوماً محلية عديدة فلا تستطيع وهي تتحمل هذه الاعباء ان تقوى على المنافسة ولذلك تضع الحكومة من الاعباء على السيارات ما يقيم ميزان العدالة بين الفريقين فتتساوى القرض وتكون الغلبة لمن يقيم الدليل على انه اقدر من الآخر على خدمة الجمهور . اما في مصر فالسكك الحديدية تتمتع بجميع المزايا ولا تدفع للحكومة شيئاً سوى فائدة قدرها ٤ في المائة عن رأس المال ومع ذلك لم تزد ارباحها في السنة الماضية على ٢ في المائة بعد دفع فائدة رأس المال . فلو انها كانت تدفع ضريبة ايراد لاصيبت بخسائر فاحشة . ثم لو انها كانت تجد خطوطها وأدواتها المحركة والمتحركة لقلنا انها تنفق جانباً من دخلها على تحسين حالتها . ولكن السكك الحديدية المصرية كما يؤخذ من التقارير الرسمية اسوأ حالاً من جميع السكك الحديدية في العالم . فالمدير العام يقول في مذكرة كتبها في يناير الماضي ان جميع الخطوط محتاج الى تقوية وان كثيراً من المحطات ليس فيها ارضفة للبضاعة وليست مربوطة بعضها ببعض باشارات . وكثير من ارضفة التخزين قصيرة لا تستوعب العدد اللازم من عربات البضاعة ويتطاير الغبار على الركاب على جميع الخطوط . ويخشى من الحالة التي وصلت اليها القاطرات والمركبات على سلامة الجمهور فالسكك الحديدية المصرية في حاجة الى اصلاح جوهرى يقلب نظامها الاساسي رأساً على عقب وينزل اجور النقل الى المستوى الذي يتفق مع مصلحة الانتاج وقدرة الجمهور على الشراء وهذه

هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح للاقتصاد الزراعي الى حد كبير بان يكون راجحاً وتكفل منع منافسة السيارات للسكك الحديدية

وقد لا نجد مناصاً من التفكير في توحيد وسائل النقل في القطر المصري فيكون مشتركاً بين السفن النهرية والسيارات والسكك الحديدية لكي يمكن تخفيض الاجور الى اقل حد يتفق مع مصالحة الانتاج . وقد وجدت وسائل النقل في العالم لخدمة الانتاج ولا سيما متى كانت ملكاً للحكومة ونحن نثق بان المدير العام للسكك الحديدية المصرية يعرف هذه الحقائق حق المعرفة فان لم زه يعمل بها الا ضمن حدود ليست بذات شأن كبير فقد تكون يده مغلوطة عن العمل

بقي الشطر الآخر من وسائل النقل وهو النقل البحري اي اتصال المحصولات المصرية الى اسواق الاستهلاك الخارجية . وهو لا يقل ارهاقاً للمحاصيل عن النقل بالسكك الحديدية . ومن اهم المحصولات المصرية التي تنقل الى الخارج القطن والبصل والبيض والارز . وجميع السفن التي تنقلها اجنبية . والاجور فاحشة في جميع الحالات تزيد على ضعف اجور نقل البضائع التي ترد الى مصر من الخارج في السفن ذاتها . ويحدث عند ابتداء كل موسم ان يتآمر ارباب السفن على الحصول المصري ويحددوا سعراً فاحشاً لنقله فلا يجد التجار مناصاً عن دفع هذه الاجرة . ومن المقرر انهم يضيفونها الى التكاليف ويحسبون حساب السعر في سوق الاستهلاك ويحددون الثمن الذي يشترون به المحصول على هذا الاساس فلا يبقى للزارع المصري من ثمن محصول ما يكفي لتسديد نفقات انتاجه . ولولا اعانة التصدير لاصيب بخسارة محقة . وترهق القطن طائفة كبيرة من التكاليف والنفقات الاضافية بعد خروجه من الحقل . وقد حسب صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا وكيل وزارة المالية هذه التكاليف في مذكرته عن السياسة القطنية وتتبعها واحدة فواحدة فوجد ان القنطار الواحد من القطن يصيبه ١١٠ قروش ابتداء من خروجه من الحقل حتى يصل الى ليقربول ، فهل يرجح الزارع نصف هذا المبلغ من قنطار من القطن ؟

والحل الوحيد لمشكلة النقل البحري هو ان يكون لمصر اسطول تجاري ينقل محاصيله الى الخارج باجور معقولة . وقد بدأنا نرى نواة هذا الاسطول تتكوّن . فعسى ان تحقق آمال مصر وتؤدي للاقتصاد الزراعي المصري الخدمة التي يحتاج اليها الآن كل الاحتياج للمحافظة على سلامته ولجعله قادراً على المنافسة في اسواق العالم

حَدِيقَةُ الْمُقْتَطَفِ

قصيدتان
للشاعر المصري خيري

صفصافي

الارواح العائدة

نقلهما عن الفرنسية

جورجي نيقولاوس



قصيدتان

للشاعر المصري خيرى : نقلها عن الفرنسية : جورجى نيقولاوس

صفصافنى

أيتها الصفصافة ! يا صفصافة دموعنا ، ذات الاوراق العيية التعبه ، انك لستَ حنين
دون رجعة ، على ترى الاموات ، وتهديلين فوق باقات الزهور الداكنة المبعثرة ،
ذات الاكام الثلجية ، التي هي ازهار آلامنا وأحزاننا

بينما أشجار الغابات ، التي يعطرها الندى ، واقفة كالمردة ، وقد انتصبت اغصانها
فأشبهت قُننُها سهام القباب الذاهبة صُعُداً ، في الفضاء الوردى ، وهي تكاد تمسُ السماء
ورياح العواصف الهوجاء ، وهي الجبارة التي لا يسلس لها قياد ، تنثر أوراق
هذه الاشجار ، عابثة بها ، فتتحمل الاشجار آلامها بصبر وجلد ، وهي تضطرب تحت
وابل الامطار ، وقد ادركتها حشرة الموت ، لكن ذلك لا يحني هامتها ، ولا يثني من عزتها
ومع ذلك نجد هذه الاشجار القائمة العابسة ، ضحية الصقيع القارص ، في اكثر
الاحيان ، الغبطة والبهجة ، اذا ما انطلق ، في رابعة النهار ، ونحت ظلالها الوارفة
تغريد الطيور الصداحة البهج ، المختلف الالان ، الذي يشبه نشيد جوقه ، ذا ترديد
طويلة المدى ، شجية التواقيع

.. او اذا ما جذبت اليها من بعيد ، زمرة من العشاق الجذلين ، فتظلل تحت
اغصانها الحب ومباهجه العديدة ، ولذة كلماته العذبة المسكرة ، المملوءة سحراً وشجواً
فتمترج أحاديث الهوى وتبارج الغرام ، بحفيف اوراق هاتيك الاشجار الحربية ،
فتتكون من ذلك الحانٌ وأغانٍ ، تملأ القلوب لذة وحبوراً

اما انت ، ايها الصفصافة الساكنة ، الكثيبة ، المنعزلة ، البعيدة عن مباهج
الحياة ، المنزوية في ركن الوحدة ، فلا يطرق أذُنك ، سوى تنهدات وأنات اولئك
الاحياء الباقين ، وزفراتهم المؤلمة ، المتساقطة من اعماق نفوسهم المتفجرة
وهذا النشيد المमित ، الذي سيُودى بك ، يحني بحزن اغصانك المنتجة الباكية ،
فكانها بهذا التدلي الابدى ، تتقبَّل الآلام المنبعثة من قلوب الاحياء المنفطرة

يا صفصافة دموعنا ، يا صديقة متوسدي الثرى ، قد يكون انحنائك على اجدات
الموتى ، فوق زهور الراحلين ، ذات الاكام الثلجية ، حناناً منك ورأفة ، فتميلين
لتسكي على تلك الارض الغامرة ، شآبيب الساوى ، وتُفيض عليها حنانك ورحمتك

الارواح العائرة

أَجَلٌ! في جَوْفِ الليل الهادئ، تَمَسُّنا ارواحُ موتانا، فَتَسْتَدَقُّ في قلوبنا
الوسيلة، المُعدَّة لاحتوائها، كأنها ازاهير الليل، المتفتحة الوراق والاكمام، التي
يكتمل رواؤها، عند ما تقع عليها عين المحبين

قد تكون هذه الارواح، ارواح ابناء تدفعها المحبة البَنَوِيَّة، او ارواح امهات
تحملها عاطفة الامومة، فتتنسَّم نِزَاجات قلوبنا النسيجية، حيث تحرق اميالنا، وتذوب
نِزَواتنا، فتجدد في افئدتنا الايمان، الذي يشرف احلامنا، ذات المنازع العدائية
وانت ايتها الشقيقة الساهرة، الحارسة، المنبئة بما يُحِبُّني لنا المقدور، وانت ايتها
الحبيبة الوفية، ذات النِزَاجات الحبيبة الخالصة، وانت ايتها الاشباح، اراك تحسدين ذخائر
الحياة، اي نحن الباقين، نحن الاصدقاء البعيدين، المحتلين لمقامك الارضي الذي رحلت عنه
عندما يتملكنا الكلال عقب الاوقات الصخابة، نشعر في قرارة نفوسنا،
بانجذاب الى الوحدة والانفراد، لننعم بالهدوء والسكينة، في تلك الجنان الجميلة
الحافلة بالاشباح المؤلمة، السارية في تلك المسافة الغريبة، ذات المناظر الخفية الجذابة
وانت يا ارواح الموتى، الائمة الحبيبة الينا، تحركين بنفسك، ذكرياتنا الماضية،
في احلامنا الهائلة، فتمدين الينا يدك الخفية، وتقودينا بتوعدة، نحو اشجار السرو،
التي هي اشجار التهيدات والزففات

ايتها الاشباح الحزنة، يا اخوات الوحدة القاتلة، انك تسحريننا بهذا التسكين
الشعري، المؤلف من سيال لا نهاية له، يسكرنا ويضرم عواطفنا، ليتسنى لك دون
عائق، ان تُغدقي على افئدتنا، حنوك الكلي، ورقتك السماوية
ايتها الروح الحار، يا روح الام المتبخر عطفاً، السعيد بهذا العطف، ليسهر
بواسطة بكائه، على ابنه العزيز، ويحوطه بالحب الاموي المتناهي، الذي لا ينضب
معينته، انك الروح المحب، الذي يعذبه ابدًا، ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه،
في قلب نقي، لا يعتريه ندم، ولا وَخْز ضمير

اجل! ان الارواح تَمَسُّنا في جَوْفِ الليل الهادئ، ولكن في نهارنا الذي يملأه
النسيان الجنوني الكثير الصخب، تتطير في اكثر الاحيان، اعز ذكرى لها، تطير
الرماد تذروه الرياح، فتعفو آثارها، متغلغلة في طيات القدر المحتوم
صاح! عند ما تنفجر في قلوبنا هذه الاصوات العزيرة علينا، لنكرم بمسرة
وارتياح عودتها العطوف، ولنقدم بهذه المحبة العميقة، التي نحن على آلامنا واوجاعنا،
الزابق الطاهرة، لاسمى واشرف حب، تضطرم به حشى، ويختلج به فؤاد

المرأة التركية الجديدة

نهضتها وآمالها

شهدت تركيا في العقد الاخير : انقلاباً ايّ انقلاب في مقام المرأة التركية ومكانتها الاجتماعية فالسيدات اللواتي كنّ منعزلات في الحريم ، ولا يخرجن الى الشوارع الاّ وعلى وجوههنّ احجية كشيقة ، وملاءات تغطيهنّ من قمة الرأس الى اخمص القدم ، تراهنّ الآن في شوارع استانبول وازمير وانقره ، مرتديات احدث الازياء ، او على شواطىء جزائر الامراء و ترابيا لابسات آخر ما يعهد من ملابس الاستحمام . ثم ان المرأة التركية قد شقّت طريقها في حياة تركيا العامة ، تراها تشارك في الانتخاب وتدرّس في المدارس وتنتخب في مجالس البلديات وتجلس الى جانب القضاة في المحاكم وتشارك مع ارباب الاقلام والاعمال في انشاء الصحف على انواعها وادارة المصارف

صباحت فتاة في التاسعة عشرة من العمر تخرجت من اليسييه هذا الصيف ، وينتظر ان تنتظم في الجامعة في اوائل الخريف المقبل . نشأت في بلدة بالاناضول سكانها خمسون الفاً . فكانت اولى فتيات تلك البلدة في تلقي العلوم بمدرسة من درجة « ليسيه » . ولكي تدرك مقام هذا العمل من جانبها يجب ان تعلم ان الفتيات المسلمات في بلديها ، كان يحظر عليهنّ الانتظام في مدرسة اجنبية فيها فكانت تلك المدرسة ان تكون وفقاً على الفتيات الارمنيات . ولكن صباحت ، كانت ترغب في العلم رغبة ملحة وكان ابوها ارمل وهي وحيدته . فعطف على رغبته ولكنه تردّد ، ذلك ان اعمامها واخوالها وعماها وخالاتها وسائر اقاربها اعترضوا اشدّ اعتراض على هذه الفكرة النكراء . وظلت هي تقاوم مقاومتهم ثلاث سنوات متوالية ، وصبرها لا ينفد ، وعزمها لا تُفلّ . واخيراً سلّم لها ابوها بما تريد وسمح لها بان تنتظم في سلك مدرسة اميركية للبنات في مدينة مجاورة . فلما اقبلت المدرسة الاميركية انتظمت صباحت في مدرسة « ليسيه » تركية في مدينة بعيدة عن مسقط رأسها

وكانت صباحت فتاة ذكية ، مجتهدة ، فتعلمت لغتها قراءة وكتابة — بنوعين من الحروف — العربية والانينية — وتمكنت من اللغة الانكليزية ، وهي كما تدرين يا سيدتي تختلف عن اللغة التركية اصولاً وقواعد . وبني خُلُقها على قواعد من الاعتماد على النفس ، وقوة التحصيل والنقد ، وحسن تدبير الامور ، ونظرة فلسفية الى الحياة ، اتمتها فيها انواع المقاومة التي لقيتها وتغلبت عليها . وهي فتاة خفيفة القوام ، فاحمة الشعر مجومته ، بيضاء البشرة ناعمتها ، سمرات العينين دسجاواها ، يسترعي منظرها الانظار . وقد رحب افق نظرها الى الحياة فلا تحصر عنايتها في اتقان الدروس التي تتعلمها ، بل تحب المطالعة المسلية المثقفة ، والرياضة والموسيقى وما اليها من الفنون ولو ان صباحت ولدت قبل بضع سنوات ، لكان تعذر عليها تحقيق امنيتها هذه . ذلك ان القانون

التركي ، كان يحظر على البنات التركيات ، قبل سنة ١٩٠٨ ان ينتظمن في سلك المدارس الاجنبية . والمدرسة التركية الوحيدة في استانبول ، حينئذ ، كانت دار المعلمات وهي قريبة من رتبة مدرسة ليسيه ، وكانت دروسها الرئيسية محصورة في الفقه الاسلامي واللغتين العربية والفارسية او تكاد ، وكانت بعض الاسر السرية تستقدم الشيوخ لتدريس بناتها في منازلهن . وتذكر صباحت ان امها قالت لها مرة « يجب ألا تقلعي اظافرك في الليل . ان ذلك خطيئة » فقالت الفتاة ولماذا

فقالت الام : اننا نساء . فنحن لا نسأل . انما نطيع . تلك كانت النفسية النسائية السائدة في العهد السابق لمولد صباحت

ولو ان مولدها تأخر بضع سنوات ، لكانت رأت سبيلها سهلاً . فعشرون فتاة من فتيات بلدها يذهبن الى مدرسة الليسيه الآن ، والراجح ان مدرسة ثانوية للبنات سوف تنشأ قريباً في تلك البلدة ايضاً بل ان حماسة الامة التركية لتعليم البنات بلغ مبلغاً عظيماً ، حتى ترى المدارس مزدحمة بهن ، فتجلس ثلاث فتيات على مقعد اعدت لفتاتين فقط . وابلغ مثل على ذلك عدد الطالبات التركيات في المدارس الثانوية وازدياده . ففي سنة ١٩١٣ كان عددهن ٦٧ فتاة وفي ١٩٢٣ كان عددهن ٧٧٣ فتاة وفي سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ كان عددهن يربي على ثمانية آلاف . اما جامعة استانبول فتتظم فيها الشابات على قدم المساواة مع الشبان . والتعليم المشترك سائد في المدارس الاولى والمتوسطة ، ولكنه يكاد يكون غير مألوف في مدارس الليسيه . والمشرفون على شؤون التعليم في تركيا ، يعتقدون ان شيوعه في مدارس الليسيه ينطوي على خطر

وتلبس الفتاة التركية في المدرسة ثوباً رمادياً او ازرق غامقاً او اسود . وهي تقف باحترام عند دخول المعلمة او عند ما تقترب منها في حديقة المدرسة . تتكلم عندما تخاطب . وتقوم بما يطلب اليها ان تقوم به . وانما يلاحظ فرق بين الفتيات صغيرات السن والفتيات المتقدمات في السن . فصغيرات السن قد أصبحن اقل كلفة في سلوكهن . وقد قيل لاحد الكواتب الاميركيات ان فتاة منهن اعطيت مجموعة من قصائد انكليزية كتبت في عهد الملكة اليبسابات وطلب اليها ان تختار منها قصيدة تفضلها على الباقي ، فاختارت قصيدة مطلعها ما معناه « من المتعذر على حداثة السن ان تساكن تقدم السن » . وترجمت القصيدة ووزعتها على صويحباتها في المدرسة فأعجبن بها كل الاعجاب . وقد تحدثت المعلمات التركيات في احدى المدارس مع هذه الكاتبة في حكمة اطلاع الفتيات على قصص الغرام من قبيل ما كتبه شكسبير وجان اوستن . وهن يرين ان مطالعة الفتيات لقصص تحتوي على كثير من حوادث الغرام والزواج يضر بهن . ثم سألت الكاتبة من لقيته من الفتيات فرأت انهن مطلعات اطلاقاً واسماً على قصص الغرام ، وعددت لها الفتاة صباحت ما قرأته من هذه الروايات ولكنها اضافت ان مطالعة القصص لا تهمها بوجه خاص

كانت الفتاة في العهد القديم تلبس الملاعة في السنة الثانية عشر من عمرها . وكانت قبل ان تلبسها ، حرة في الذهاب الى المدرسة والالعاب مع الاحداث من جيرتها ، فاذا لبستها حُظِرَ عليها كل ذلك واصبح هم والديها البحث لها عن زوج

ولكن الملاعة اصبحت في تركيا الآن من مخلفات الماضي . فاذا اردت ان تعرف مقام نزع الملاعة في حياة المرأة التركية اقرأ الحادثة التالية : — كانت طائفة من المرشدات التركيات يسرن في شارع من شوارع استانبول ، وكانت امرأة متقدمة في السن لابسة الملاعة القديمة تراقبهن وهي تذرف الدموع فقالت « اني لا افهم . اني لا افهم . لم التصور انني اعيش حتى ارى هؤلاء الفتيات وهن في سن الزواج ، وقد طرحن للملاعة وخرجن عاريات الاعناق والاذرع . ألا ينجلن ! » . وكانت هذه السيدة تعتقد ان هذا الاثم لا يمكن ان يستمر من دون عقاب رادع من السماء !

ان رجال الغرب ونساءه الذين تعودوا ان ينظروا الى تقدم المرأة من ناحية الحقوق السياسية وخوضها ميدان الاعمال لا يدركون الشأن الكبير الذي تعلقه المرأة التركية بالملابس كمظهر من مظاهر حريتها الجديدة . وتقول الكاتبة لوكي باركر انها عرضت على بعض صديقاتها التركيات صورة في مجلة اميركية لامرأة لابسة ملاعة وتطل على البوسفور وقد كتب تحتها « سيدة في تركيا الجديدة » فغضبن غضباً شديداً

ثم قالت : نعم لقد منحت المرأة التركية امتيازات سياسية حتى أصبحن اسوة بالرجال ، ولكن هذه الامتيازات في نظر المرأة التركية المتوسطة اقل شأنًا من الحقوق التي فتحت امامها ميادين السينما والمسرح والالعب الرياضية والكتب والملابس الغربية وما الى ذلك . وليست الملابس اقل هذه شأنًا . فقد رأيت طائفة من خريجات الجامعة التركية يقضين ساعة حافلة بالسرور امام صورة ثوب جديد من الاثواب الباريسية . والانسان مغرئ بأنه يقاب شفته استخفافاً عند ما يرى هذه العناية بالملابس فيقول « أهذا هو مقياس عقولهن » ؟ ولكن يجب ان نذكر انه انقضت قرون والمرأة التركية محرومة من حق اظهار شخصيتها بملابسها خارج دارها . فلهذه العناية بالملابس من جانبهن مغزى اجتماعي وتاريخي كبير

وتروي هذه الكاتبة انها سافرت من انقره الى استانبول في القطار الذي يسير بين المدينتين فشاركته سيدة تركية تدعى جولتن هانم مخدع النوم بالسكة الحديدية . وكانت جولتن هانم ربعة تميل الى السمنة وفي الاربعين من السن . ولكنها تامة الانوثة

جلست هنيئة في مقعدها وهي تنظر بسرور الى ما حولها ، المقاعد الوثيرة والمصابيح الكهربائية والحقائب ورفيقتها الاميركية ، وبعد ما رتبت أمتعتها النفقت اليها بعد ما حاولت مخاطبتها بالتركية وسألها هل تتكلم الفرنسية ، فأجابت انها تتكلمها متعثرة

فسرها ذلك وقالت : ان ابنتي قالت لي بأني لن استطيع التحدث معك ولكننا نتحدث الآن وهذا يبعث في نفسي غبطة عظيمة

مضت في حديثها كالجدول السلسال ساعة فاخرى فاخرى . قالت ان من بواعث غبطتها ان يتاح لها السفر وحدها . ففي العهد القديم كان احد افراد اسرتها من الرجال يصحبها دائماً ليعتني بها - اما والدها او شقيقها او زوجها . وكان يتعذر عليها ان تحدث احداً مع انها تحب ان تتحدث مع الناس . وسردت لي ابناءً ثلاث اجيال من اسرتها ووصفت الملابس التي لبستها السيدات في الحفلة الراقصة الكبرى التي اقيمت تلك السنة في انقره

واذ هي ماضية في حديثها قامت الى حقيبة صغيرة وفتحتها وأخرجت منها طعامها ، وطلبت الي ان اشاركها فيه . وقبل ان استطيع الجواب كانت قد وضعت امامي صحيفة عليها قطعاً من دجاجة مقلوة . ولاحظتها وهي تأكل فاذا آدابها في تناول الطعام ومضغه لا يُعنى عليها . وبعد ما انتهينا من الاكل اخرجت منشفة مبلولة وأعطيني اياها لامسح بها اصابعي . واني لا عجز عن تعداد وجوه عنايتها . بل لا عجز عن ذكر امرأة غربية تفوقها في ادبها

وكانت جولتن هانم قد ذهبت الى انقره في زيارة لشقيقة لها اصغر منها سنًا . قالت وهي تحرق الارم ان شقيقها هذه تجيد الانكليزية . اما هي فنسيت القليل الذي تعلمته في المدرسة لانها تزوجت وهي في السادسة عشرة رجلاً طيباً ولكنه كان متقدماً في السن ، وانها في الواقع لم تتعلم الا الخياطة والعناية بالاطفال

فقلت ان تدبير امور البيت والعناية بالاطفال من اهم ما يجيده المرأة

فقلت لا شك في انهما من اهم ما تتعلمه المرأة . ولكن التثقيف الحقيقي والمقدرة على مخاطبة الاغراب ... وقالت ان لها ابنة شقيق التقت في حفلة راقصة بشاب انكليزي فاستطاعت ان تخاطبه بلغته ! وقد تزوجته الآن رغم مقاومة اهلها وهم عاشران الآن في ازмир معيشة كلها رغد وهناء وكذلك انقضت الساعات بين انقره واستانبول . كانت جولتن هانم من اشد مؤيدات النظام الجديد حماسة ، مع انها لم تمارس حقوقها السياسية الجديدة . ولم تكن تنوي ان تنتظم في سلك صناعة من الصناعات او حرفة من الحرف . ولا كان يهمها ان تتولى هي تدبير ملكها الخاص وهذا لا يعني ان جميع نساء تركيا تهمن هذه الناحية السخيفة - في نظر البعض -

من نواحي حريتهن الجديدة . فثمة طائفة صغيرة من النساء اللواتي بلغن مقاماً عالياً في حياة تركيا العامة . فثمة طبيبات ومحاميات وقاضيات ومؤلفات وكاتبات في المحال التجارية وصحافيات ومعلمات يزداد عددهن سنة فسنة . والنساء التركيات يشغلن مناصب ذات شأن في مجالس المدن البلدية وفي مصالح الحكومة . وقد بعث بعضهم مندوبات عن الحكومة الى مؤتمر البلقان ثم ان اقتحام ميادين الحياة العامة ليس مقتصراً على نساء المدن . فقد انتخبت سيدة حديثاً

للمنصب محضر وهو يقابل منصب « عمدة » في مصر ، في قرية على مقربة من ازمير . ومن مهام هذا المنصب تدوين المواليد والوفيات وتوقيع كل الاوراق الرسمية الخاصة بالملك والبيع والارث وما اشبه . وكثيراً ما يحتكم الى المحضر في النزاعات المحلية . وعن طريقه تبعث الحكومة بأوامرها الى الاهلين . واذن فانتخاب امرأة لتشغل هذا المنصب حدث ذو خطر خاص

وقد سهلت الاحوال طريق المرأة لبلوغ مناصب كبيرة في ميدان الاعمال . فقد مُنِيت تركيا بفقد نصف رجالها في حرب البلقان والحرب الكبرى وحرب الاستقلال التي تلتها . فاقضى الواجب من النساء التركيات ان يتقدمن لسد الثغرة التي أحدثتها الحروب في صفوف الرجال . فتقدمن غير هيايات وقن بكل نوع من العمل من حرث الارض الى ادارة البنوك — خذ مثلاً سيدة في پيرا باستانبول تدعى خديجة هانم . فهي مديرة فرع بنك الاعمال في پيرا وهي اول امرأة تركية حازت حق التوقيع باسم البنك . غير ان خديجة هانم ليست مديرة بنك فقط بل هي والددة ستة اولاد كذلك ، وتعاون زوجها في ادارة مزرعة ، وهي تقول ان عملها الحقيقي التعليم ، وهو في نظرها ، اوسع نطاقاً من الاشتغال بأعمال البنوك . ولكنها تحسب عمل البنوك ميداناً يوافق موافقة خاصة مزاج السيدات لانهن اقدر من الرجال على التدبير . وأكثر منهم لطفاً في معاملة الموظفين والمتصلين بالبنك بصفة العمل

وثمة سيدة تدعى سعاد هانم كتبت كتاباً عرضت فيه لقضية المرأة في تركيا الجديدة ، من ناحيتي تأييدها ونقدها . وهي من اوليات الفتيات التركيات اللواتي انتظمن في كلية البنات الاميركية باستانبول بعد دستور سنة ١٩٠٨ . ثم وسعت نطاق تعليمها بالدراسة في المانيا . وقد نذبتها الحكومة التركية غير مرة لتمثلها في مؤتمر البلقان ، وأرسلت الى اميركا لحضور اجتماع عقدته «عصبة النساء الدولية للسلام والحرية»

وقد طالبت المتطرفات من زعيمات الحركة النسوية في تركيا في الشتاء الماضي بحق المرأة التركية في الانتظام في صفوف ضباط الجيش . ومنصب ضابط الجيش ذو مكانة كبيرة في تركيا ولكن الشبان يقولون انهم ما زالوا قادرين على الدفاع عن الوطن ، فنجح النساء حق بلوغ مراتب الضباط من غير ان يعملن أولاً عمل الجنود ، غير معقول والراجح ان هذه المطالبة لن تسفر الاّن ، عن قرار عملي ما والراجح ان ميادين العمل النسائي في تركيا ، اذا استثنينا دائرة البيت ، سوف تنحصر في

التعليم والطب والصحافة والتجارة والعمل الاجتماعي وشغل بعض المناصب الحكومية كانت المرأة في السلطنة العثمانية اشبه شيء بالاسيرة في البيت يمنعها الحجاب وسوء التعليم او عدمه من الاشتراك في حياة الامة وتأدية نصيبها في ترقيتها . اما الجمهورية التركية فتقول ان الواجب يقضي على المرأة بالاشتراك في تكوين حياتها المثل . فهي معاملة وطبيبة ومحامية وقاضية وصحافية ولا يمنعها كل ذلك من ان تكون زوجة فاضلة وأماً رؤوماً

حرارة الصيف

وعاداتنا الصحية في الملابس والمأكل والمشرب

إذا اشتدَّت حرارة الجوِّ كما اشتدت في أواسط يونيو الماضي عمد الناس الى كثير من الامور التي لا تخفف وطأة الحرِّ وقد تضرَّ بهم اضراراً بالغة وأول مايجب ان يشار به في هذا المقام وجوب الانصراف عن التفكير باشتداد الحرِّ او الاهتمام به لان ذلك من افعال الوسائل لتخفيف وطأته. وقد روى الدكتور سدler الاميركي في هذا الصدد انه كان ماشياً في شوارع شيكاغو في يوم اشتدَّ حرُّه حتى بلغت درجة الحرارة نحو ٣٧ بميزان سنغراد وهي حرارة عالية جداً اذا قيست بحرارة الجوِّ العادية في شيكاغو فرأى فتاتين تبدو عليهما دلائل الجبور والنشاط فلما اقتربتا من صيدلية امامهما دخلتا احدهما الصيدلية في شأن لها ولبثت الاخرى تنتظرها خارجاً فوقع نظرها اتفاقاً على ميزان الحرارة فرأت ان درجتها بلغت ٣٧ بميزان سنغراد فهرولت الى الداخل تنادي صديقتها قائلة « لاشأن لنا نجول في الشوارع الآن وقد بلغت الحرارة هذه الدرجة من الارتفاع اننا في خطر من الاصابة بالرعن » (ضربة الشمس فهلما بنا الى البيت) ان شعور هذه الفتاة باشتداد الحرارة لم يكن طبيعياً لانها قبل رؤية ميزان الحرارة كانت تسير في الشوارع كأن حرارة الجو عادية او تكاد. ومن هذا القبيل حوادث كثيرة تجري في القطر المصري فحر الصيف لا مندوحة عنه وفي قدرة كل انسان ان يحتمله اذا لم يصرف كلَّ همِّه الى قياس الفرق بين حرارة يومه وحرارة امسه والتكهن بما تكون عليه حرارة غده وفيما يلي ارشادات صحية لا بدَّ من الجري عليها في الصيف لتخفيف وطأة حره

﴿ الطعام والشراب ﴾ - معظم الطعام الذي نأكله ونهضمه يتجدد بالا كسجين الذي يصل الى الدم عن طريق الرئتين ويتحوَّل الى حرارة . فاذا اكلنا اطعمة من شأنها توليد مقدار كبير من الحرارة لدى اتحادها بالا كسجين كالزبدة والسكر والنشاء زدنا مقدار الحرارة التي تتولد في الجسم وزاد بذلك شعورنا بحرارة الجوِّ ولو لم تكن شديدة . فيجدر بنا ان نكثر من تناول هذه الاطعمة في الشتاء حين تكون حرارة الجوِّ اقل كثيراً من حرارة الجسم فنحتفظ بحرارتنا الطبيعية ولكن حرارة الجو في الصيف تقرب من حرارة الجسم فيجب ان نقلل من هذه الاطعمة ونكثر من تناول الاطعمة التي لا تولد مقداراً كبيراً من الحرارة كالفاكهة والخضراوات على انواعها وعلينا ان نكثر من شرب الاشربة الباردة لانها تكثر افراز العرق والعرق لدى تبخره يبرد الجسم

على ان كثيراً من الناس يكثر من وضع السكر في اشربتهم الباردة وهذا وهمٌ صحيّ يجب الافلاع عنه لان السكر كما ذكرنا يولد مقداراً كبيراً من الحرارة حين اتحاده بالاكسجين . ومن هذا القبيل اشير بالاكثر من شرب الماء البارد لان الاشربة الاخرى وخصوصاً ما كان من نوع « الدندمة » يبرّد من يتناوله حين تناوله ولكن لا يلبث ان يتحوّل الى حرارة في جسمه فيعكس فعله الاول

جاء اليّ احد المرضى الذين اعالجهم يتبرّم بتأثير الحرّ في جسمه مع انه يشرب نحو ٢٠ كأساً من الاشربة الباردة في النهار . ولدى الفحص وجدت ان هذه الكؤوس العشرين التي يشربها كل يوم تحتوي على مقدار من السكر يكفي وحده لتوليد ما يحتاج اليه الجسم من الحرارة في يوم كامل ومع ذلك فقد كان يتناول طعامه ثلاث مرات في اليوم ومعظم ما يتناوله كان يتحول الى حرارة ايضاً يتصور بعض الناس خطأ ان الاكثر من اكل الخضراوات والفاكهة الغضة يضر بالمعدة والصواب ان الخطر الذي قد يصيب المعدة من تناول الخضراوات والفاكهة انما ينجم عن تناولها غير نظيفة اذ قد تكون مكروبات الدوسنتاريا او التيفوئيد عالقة بها وعليه فيجب غسلها قبل تناولها فالما كل التي يحسن اكلها في الصيف هي : الفاكهة . التفاح . الكرز . العنب . البرتقال . الخوخ . الكمثرى . الاناناس . الكبوش . البطيخ . عصير الفاكهة على اختلافها الخ

الخضراوات — الطماطم . الخرشوف (ارضي شوكي) . الهليون . الفاصوليا الخضراء . الاسبانخ . الكرنب . الكرّاث . الخيار . الباذنجان . الخس . الكوسى الخ

ماء كل اخرى — البيض باعتدال . اللبن . السلاطة على انواعها

والماء كل التي يجب اجتنابها او الاقلال منها هي : الحبوب والخبز وكل المواد النشائية . انواع الكعك . المعكروني . الرز والاوتميل . الزيتون وزيتته . الجوز واللوز وما اليهما . البلح . التين . الموز . البطاطس . اللحوم على انواعها . الفاصوليا المجففة والحمص . الزبدة وكل الادهان . العسل . الدبس . الحلويات . السكر

ولا بدّ من الانتباه الى الماء كل التي قد يتطرق اليها شيء من الفساد لشدة الحرّ وخصوصاً الماء كل التي يدخل اللبن في تركيبها او يكون فيها مادة بروتينية كاللحم والجبين . قد تتقيا او تمرض حين تأكل قطعة من فاكهة تطرق اليها الفساد ولكن مرضك لا يكون مميتاً واما اذا تناولت طعاماً فاسداً وكان من قبيل اللحم او اللبن اي من الاطعمة التي فيها مواد بروتينية فان تناوله قد يكون مميتاً

❊ الاستحمام ❊ — يمكن تخفيف وطأة الحرّ في الليالي بمسح الجسم بأسفنجة رطبة وعدم تشفيفه فينبخر الماء وفي اثناء تبخره يتناول من الجسم جانباً من الحرارة اللازمة لتبخيره

كذلك يستحسن ان يعلق في غرفة النوم مثلاً ملاءة رطبة فتبرد جو الغرفة وتخفف وطأة الحر. على ان الملات يجب ان تكون تقطر ماء. واذا طال التعرض للشمس وخيف من الاصابة بضربتها (الرعن) فيحسن لف الجسم بملاءة مبلولة ماء.

ولا شك ان الحمام البارد كبير الفائدة في انعاش الجسم حين اشتداد الحر على ان الجسم يفرز افرازاته الجلدية في الصيف كما يفرزها في الشتاء ويبقى من هذا الافراز طبقة اقذار يلزم لازالتها حمام فاتر بالصابون او حمام سخن فيجب ان لا يكتفى بالحمام البارد يوماً بعد يوم والاستحمام في البرك العامة وعلى شواطئ البحر مفيد اذا كان معتدلاً. على ان كثيرين من ضعاف البنية يتعرضون لاضرار صحية خطيرة اذ يطيلون مدة اقامتهم في الماء وغيرهم يتعرض لمثل هذه الاضرار بكثرة تعرضهم لنور الشمس بعد استحمامهم في ماء البحر او ماء بركة طامة. وليس من الحكمة في شيء ان يستحم احد بعد تناول طعام ثقيل

﴿الرياضة﴾ — يتوهم البعض ان البقاء على شاطئ البحر والتعرض لنور الشمس حتى تدبغ البشرة بلون النحاس مفيد كل الافادة. وعندي ان المكوث على الشاطئ كذلك من غير رياضة او تمرين لا يفيد الجسم كثيراً. ولا بد ان ينتبه كل الذين يصطافون على شواطئ البحر الى ان الخروج عن حد الاعتدال في التعرض لنور الشمس قد يكون ضاراً اذ للاشعة التي فوق البنفسجي اذا طال التعرض لها فعلاً قوياً يتلف خلايا الجسم

ولا يخفى ان التعرض لنور الشمس يقوي الجسم على مقاومة امراض الانيميا والكساح وغيرها ولكن يجب تغطية العينين والرأس والسلسلة الفقارية حين التعرض لها. ويجب التدرج في تعريض الجسم للشمس فيبدأ بتعريضه ثلاث دقائق او اربع دقائق مرتين او ثلاث مرات في اليوم ثم يزداد الى عشر دقائق

ويجب ان تذكر ربّات البيوت ان الواح الزجاج التي تصنع منها نوافذنا تحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فلا تدخل الغرف. فاذا ارادت أم ان تضع طفلها في نور الشمس في غرفة من الغرف فلا بد من فتح النوافذ لانه اذا اقبلتها حجب اشعة التي تفيد الطفل

أما الاصابة «بضربة الحر» فلها في الغالب سبب غير شدة الحر ومن أسبابها

١ — ادمان المشروبات الروحية والمخدرات

٢ — التعب

٣ — اقفال الغرف وعدم تهويتها

٤ — ازدياد الرطوبة في الهواء

٥ — لبس ملابس ضيقة تضغط على الاعضاء

٦ - الاكثر من اكل اللحوم والا كل فوق الشبع بوجه عام

٧ - الشيخوخة او حداثة السن فالشيخوخ والاطفال اكثر الناس تعرضاً لها

٨ - الهم والغم

٩ - الاكثر من تناول الاشربة المثلوجة

ان الرياضة المعتدلة حين اشتداد الحر مفيدة لانها تعد الجسم لافراز العرق وافراز العرق ينفضه لدى تبخره . على اني بوجه عام اشير بعدم الرياضة العنيفة في الشمس حين اشتداد الحر

﴿ الملابس ﴾ - يجب ان لا نلبس في الصيف ما يمنع الجسم من اشعاع الحرارة التي تتولد فيه بانحداد الطعام باكسجين الدم . ولكن يجب ان نلبس ما يكفينا لحفظه من التعرض لاشعة الشمس من غير قيد او رابط

فعندي ان لبس البرانيط في الصيف لازم اذ قد ثبت لي ان كثيراً من اصابات الصداع التي حلتها سببها التجوال في الشمس من غير برنيطة تغطي الرأس . حين يشتد الحر يجب ان يحفظ الرأس بارداً بقدر الامكان ويجب ايضاً حفظ العينين من وهج النور . واعتقد ان تعريض الرأس لنور الشمس يساعد سقوط الشعر اكثر مما يساعد نموه

وأهم ما يجب ان ننظر فيه حين اعداد ملابس الصيف هو شراء أقمشة كثيرة الثقوب حتى يسهل اشعاع الحرارة التي تتولد في الجسم . وتفضل الالوان البيضاء او القريبة من البياض لانها لا تمتص الحرارة . كذلك يجب اجتناب كل القمصان والياقات التي غمست بالنشا وكويت فأصبحت كالدرع ولا شك ان ملابس السيدات في هذا العصر توافقهن كل الموافقة في فصل الصيف لدى اشتداد الحرارة . وفي ذلك قد تغلبن على الرجال فقد كان الرجال منذ سنوات ينظرون شزراً الى السيدات ولقد لبسن المشدات وغيرها مما يعيق النمو والحركة فما قول أسيادي الرجال الآن وقد طرحت السيدات كل ما يعيق نموهن واقبلن على ما يطلق الحرية للجسم ولا زال نحن مقيدون بقيود الياقة المسكوية والقميص المسكوي الخ

اما برانيط الرجال التي يجب لبسها في الصيف فيجب ان تكون من نوع البرانيط المصنوعة من قش بناما لانها خفيفة الوزن لا تضغط على الرأس فيبقى مهيئاً وترد عنه الشمس لانها بيضاء ولها دأر غير ضيق . اما برانيط القش الجامد فلا اري لبسها مفيداً لانها تضغط على الرأس وتعيق دورة الدم في جلده وبذلك تمهد السبيل للصلع

وما يقال عن ملابس النساء عامة يقال عن احذيتن التي من نوع الصندال وقد اخذن يلبسها في أثناء النهار ، فهي مرة لا تتعب الرجل وكثيرة الثقوب يتخللها الهواء فتبقى الرجل مهوية . وليست كذلك أحذية الرجال

الحب والزواج

بحث استقرائي

في مدينة نيويورك مكتب يعرف بمكتب الصحة الاجتماعية ، وجه طائفة من الاسئلة تتعلق بالحب والزواج الى مائة رجل متزوج والى مائة امرأة متزوجة . والغرض من هذه الاسئلة جمع اكبر قدر من الحقائق عن الزواج والحياة الجنسية بالاستقراء . وكان جميع الرجال والنساء الذين وجهت اليهم هذه الاسئلة من درجة خريجي الجامعات او ما دونها قليلا ، وكانت اعمارهم متباينة فمنهم المهندس والطبيب والمحامي والتاجر . وكان متوسط الدخل السنوي لنصف الرجال اقل من الف جنيه في السنة . وكانت اعمار النساء تختلف من ٢٣ سنة الى ٥٩ سنة وانما سوادهن كان بين الثلاثين والاربعين . وقد تبين ان هؤلاء الرجال والنساء حدث لهم في خلال حياتهم ١٣٥٨ حادثة حب قبل الزواج وفي خلاله . والمقال التالي تلخيص لبعض الحقائق العامة التي خلص اليها الباحثون من النظر في هذه الحوادث والاجابة عن المسائل المتعلقة بها

وفيما يلي مثال من الاسئلة التي وجهت الى النساء

اذكري الشبان الذين احببتهم قبل الزواج او بعده واجبي عن المسائل الآتية الخاصة بهم :

١ - ما كان عمرك عند بدء كل حب جديد

٢ - اكان اكبر منك سنًا او اصغر سنًا

٣ - ما كان لون عينيه وشعره وبشرته

٤ - اكان طويل القامة او قصيرها او ربعة

٥ - اكان سمينا او دقيق القوام او متوسطا

٦ - اكان يشبه والدك او احد اشقائك في خلقه ومزاجه ؟

٧ - اكان يشبه والدك او احد اشقائك في مظهره الخارجي ؟

٨ - اي حد بلغت مكاشفة الحب بينكما

٩ - كيف انتهى حبكما ؟ واسئلة أخرى من هذا القبيل

وغني عن البيان ان الاجابة عن هذه المسائل كانت تتخذ احيانا شكلا من الحديث فكانت السيدة مثلاً تبسط ما تريد بسطه - بعد تدوين اجابتها - ومندوب المكتب يصغي ويدون الحقائق المهمة من دون ان يقول كلمة توجه تيار الحديث في وجهة خاصة . وكان معظم الرجال الذين سئلوا متزوجين نساء غير النساء اللواتي سئلن . وكان معظم النساء اللواتي سئلن متزوجات غير الرجال الذين سئلوا . وقد تبين من دراسة هذه الاجابات وتبويبها ان ثلاث نساء من مائة امرأة لم يحببن في حياتهن رجلا قط وانهن غير قادرات على حب من هذا القبيل . أما الباقيات -

وعدهن ٩٧ — فقد حدث لهن ٦٧٧ حادثة حب بمتوسط ٧ حوادث للمرأة الواحدة . اما الرجال
المائة فحدثت لهم ٦٨١ حادثة حب . فتوسطهم اقل قليلاً من متوسط النساء في هذه الناحية

كان الحب قبل الزواج توطئة للزواج في حياة هؤلاء الرجال والنساء اذا استثنينا رجلاً واحداً
والنساء الثلاث اللواتي قلن انهن لم يحببن رجلاً في حياتهن وامرأتين أخريين . ومن غريب ما تبينه
الباحثون ان معظم الرجال والنساء الذين سئلوا عن النساء او الرجال الذين احببهم في حياتهم لم يذكروا
ازواجهم الا بعد تذكرهم . فكانت تقول المرأة مثلاً « آه نسيت ان اذكر زوجي »

في اجوبة هؤلاء الناس تبين الباحثون نواحي من مآسي الزواج . فهنا رجل متزوج يلتقي
بسيده متزوجة فيرى كل منهما في الآخر عطفاً وتقديراً لا يراها الرجل في زوجته ولا السيدة في
زوجها . فيحسان عندئذ بأن الزواج كان نوعاً من الوحدة الالمية ، خفف وقعها ولادة الاولاد
والانصراف الى العناية بشؤونهم . وفي اكثر هذه الحوادث كان الحائل دون تبادل الحب ،
احساس المرأة بالواجب عليها نحو اولادها ، واحساس الرجل بالشفقة على زوجته

هذه المآسي تملأ حياة نحو نصف النساء اللواتي سئلن وثلاث الرجال الذين سئلوا . ويؤخذ
من هذا الاحصاء ان واحدة وأربعين امرأة من مائة كنَّ يحببن رجلاً غير ازواجهن وتسعة
وعشرين رجلاً من مائة كانوا يحببون نساء غير زوجاتهن . ولكن هذه الحالة النفسية في
هؤلاء النساء والرجال لم تكن من القوة في الغالب بحيث تحمل على الطلاق والزواج من الشخص
المحبوب . وكان لكل من هؤلاء النساء والرجال في الغالب عناية خاصة بمطلب من مطالب الحياة
يرون عليها ألم الوحدة الذي يحسون به

ولا يخفى ان من الآراء الحديثة ان الطلاق او الانفصال او انشاء صلات حبية خارج نطاق الزواج
يجب ان يعقب هذا الاحساس بفقد الحب بين رجل وزوجته ، او بين امرأة وزوجها . وان الطلاق
او الانفصال او اتخاذ خلية دليل على اثبات حرية الانسان وتعزيز لاستقلاله . فهل دلت احصاءات
هؤلاء الباحثين على ان الذين يفعلون ذلك يفوزون بنصيب اكبر من الرضا ؟

يؤخذ من تبويب الاجابات ، ان ٥١ في المائة من الرجال و ٤٥ في المائة من النساء كانوا راضين
عن حالتهم الزوجية . اما الرجال والنساء الذين كانوا غير راضين عن حالتهم الزوجية ففريقان . فريق
حافظ على عهود الزوجية . وفريق لم يحافظ عليها

فمن الرجال ٢٨ رجلاً اقرؤا بعدم محافظتهم على عهود الزواج ولكن ثمانية فقط منهم — او
٢٩ في المائة — اعترفوا بأنهم ما يزالون راضين بحالهم الزوجية . ومنهم ٧٢ رجلاً انكروا خيانتهم
لعهود الزواج ومنهم ٤٣ رجلاً منهم — اي ٦٠ في المائة — اقرؤوا برضايتهم بحالهم الزوجية
ومن النساء ٢٤ امرأة اقررن بخيانتهم لعهود الزواج — واربع منهن فقط اي ١٧ في المائة —
راضيات عن حالتهم الزوجية

ومنهن ٧٦ امرأة حافظن على عهود الزواج . وقد اقرت ٤١ امرأة منهن - اي ٥٤ في المائة -
انهن راضيات عن حالتهم الزوجية
فهذا الاحصاء يتجه الى اثبات ان انشاء علاقات الحب خارج نطاق الزوجية ، لا يزيد الرضا
بالحالة الزوجية بل على الضد من ذلك يزيد التبرؤ بها

اذا انتقلنا من هذه الناحية الى ناحية صلة العمر بحوادث الحب ظهر لنا ما يمكن تلخيصه
في الجدول التالي

العمر	عدد حوادث الحب للرجل - متوسط	عدد حوادث الحب للمرأة - متوسط
٦ - ١٢	٠٠٦٣	٠٠٥٧
١٢ - ١٥	١٠٥٠	١٦٤٤
١٦ - ٢٠	١٦٥٦	٢٠٣٢
٢١ - ٢٥	١٦٦٨	١٦٣٣
٢٦ - ٢٩	١٦٠٣	٠٠٧٦
٣٠ - ٣٤	٠٠٧٩	٠٠٥٦
٣٥ - ٣٩	٠٠٣٤	٠٠٣٥
٤٠ وما فوقها	٠٠٤٣	٠٠٦٤

فالرجل بحسب هذا الجدول يسبق المرأة في العهد الاول ، او هي في الواقع تتخلف عنه .
ولكن النساء اسرع نمواً من الرجال شعوراً وجسداً ولذلك يبلغن اقصى مدى في حوادثهما الحسية
في ما بين السادسة عشرة والعشرين (المتوسط لهن حينئذ ٢٠٣٢) واما الرجال فلا يبلغون اقصى
مداهم الا بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ومع ذلك فتوسطهم في هذه الفترة (١٦٦٨)
هو دون متوسط النساء في الفترة السابقة . وبعد ذلك ينحدر متوسط الجنسين ولكن انحدار
متوسط الرجال ابطأ من انحدار متوسط النساء كما كان ارتفاع متوسطهم ابطأ من ارتفاع متوسطهن
وعند ما يبلغ الفريقان سن الاربعين تستيقظ فيهم صبوة جديدة بحسب هذه الاحصاءات فيزيد
متوسط حوادث الحب في حياة الرجال من ٠٠٣٤ الى ٠٠٤٣ ولكن الزيادة في حياة النساء اكبر جداً
لان المتوسط ينتقل من ٠٠٣٥ (وهو مثل متوسط الرجال في تلك الفترة) الى ٠٠٦٤ اي زيادة نحو
٣٠ في المائة في الفترة نفسها . ولعلنا نجد تليلاً لذلك في ان المرأة اذا بلغت هذه السن ، تكون قد
انتهت في الغالب من العناية الدائمة بشؤون اطفالها ، فتتسع حياتها حينئذ لبواعث الحب والخيال
ما العلاقة بين سن الحب وسن المحبوب ؟
الاعتقاد الشائع يقضي بأن يكون الزوج اكبر قليلاً من الزوجة . ولهذا سبب فسيولوجي

وآخر نفسي . فالمرأة تسبق الرجل غوياً ، جسماً وانفعالاً . فيجب عليها ان تتزوج من هو اكبر منها حتى تتزوج كفؤاً . والرأي السائد يقول ان الفتيات في الغالب يهمن رجال تخطوا الشباب الى الكهولة . والشبان يهيمون بنساء اكتملت فيهن صفات الانوثة . وان الكهول يلتفتون الى الصبايا . والكهلات الى الشبان . وهذا كله تؤيده الاحصاءات التالية :

رجال احبوا نساء اكبر منهم سناً	نساء احبن رجالاً اكبر منهم سناً	رجال احبوا نساء اصغر منهم سناً	نساء احبن رجالاً اصغر منهم سناً
١٧ ٪	٣٥ ٪	٠٤ ٪	٠ ٪
٢٩-٢٠	٤١ ٪	١٣ ٪	١
٣٩-٣٠	٣٧ ٪	٥٦ ٪	١٩ ٪
٤٠ وما فوقها	١٩ ٪	٨٠ ٪	٣٨ ٪

فالقارئ يتبين من هذا الجدول ان الفتيان والفتيات يحبون رجالاً ونساءً اكبر منهم في ما بين السنة العاشرة والسنة التاسعة عشرة وان هذه الصفة في الفتيات ابرز وأعم منها في الفتيان . ولكن فلما تجد في هذه السن احداً يحبون من كان اصغر منهم من الجنس المقابل . فلاحصاء يبين انه لم توجد فتاة واحدة احبت فتى اصغر منها سناً . وان نسبة الفتيان الذين احبوا فتيات اصغر منهم سناً في المائة فقط . أما في السطر الاخير من هذا الجدول فترى الآية وقد عكست . فلست تجد الا ١ في المائة من الرجال فوق الاربعين احبوا امرأة اكبر منهم سناً . ونسبة النساء في هذه الناحية (١٩) ولكنها اقل في هذه السن منها في الادوار السابقة . ولكن ثمانين في المائة من الرجال - في سن الاربعين أو فوقه - يميلون الى من كان اصغر منهم سناً من النساء ، وكذلك النساء في هذا الدور من الحياة يملن الى من كان اصغر منهن سناً من الرجال

وقد بينت في الاحصاءات ان الرجال او النساء الذين حدثت لهم خمس حوادث حب أو دون ذلك اكثر سعادة في الزواج من الرجال او النساء الذين اُربت حوادث حبهم على ذلك . ومن غرائب ما جاء ان احد الرجال حدث له ٢٧ حادثة حب ولكن « وقع » على حد التعبير العربي السائر ، فكان شقيماً في زواجه . واليك البيان :

﴿ من الرجال ﴾ - ٦٦ رجلاً وقعت لكل منهم خمس حوادث حب او اقل - ٥٩ في المائة منهم سعيد في زواجه . و ٥٤ رجلاً وقعت لكل منهم اكثر من خمس حوادث حب - ٢٤ في المائة منهم سعيد في زواجه

﴿ من النساء ﴾ - ٣٩ امرأة وقعت لكل منهن خمس حوادث حب او اقل - ٥٩ في المائة منهن سعيدات في زواجهن و ٥٨ امرأة وقعت لكل منهن خمس حوادث حب - ٢٨ في المائة سعيدة في زواجهن وفي الحالين نسبة السعداء من الفريق الاول في الجنسين اعلى من نسبتهم في الفريق الثاني

مكتبة المقتطفات

مقابر الكنب

١ - ديوان عبد المطلب

قامت بطبعة ونشره مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٤

وقف على طبعه الاستاذ محمد المراوي وشرحه وصححه الاستاذان (ابراهيم الاياري) و(عبد الحفيظ شابي)

كان عبد المطلب رحمه الله - على كثرة ما يعاوده من الامراض - فتيماً تسمع لحديثه رنات مجلجلات كأنما يتكلم وحده في بيداء تتداعى اصداؤها ، وكانت الكلمات العربية الخالصة تتجدر من لسانه ومن بين شفثيه وعليها ميسم العرب الخالص الآ في قليل من الحروف ، وذلك القليل هو حرف (الضاد) فاني كنت اسمعه ينطقه على لهجتنا (اعني اهل مصر) كأنه دال مفخمة (١) وكان الرجل في احساسه بوداد اصدقائه كأنما خلقت اعصابه كلها من المادة التي يخلق منها القلب الرقيق الوفي ، ولذلك كان اهون الناس عداوة على الرغم مما ترى من شدته وجفائه في الخصومة ، ولذلك ايضاً كان أحسن الناس تقديراً لمعاصريه من الادباء لا يداخله في ذلك حسد . هذا الاحساس الرقيق وحده كان هو موضع الشعر في عبد المطلب ، فإذا صعب على اصحابنا من الادباء ان يعدوا شعر عبد المطلب كله من عالي الشعر في هذا العصر ، فليس منهم من يستطيع ان ينسى ان رجلاً من الرجال اسمه عبد المطلب رحمه الله عليه كان كما خلق انسانية من الشعر لا انساناً من الشعراء وأنا حين اقرأ شعر عبد المطلب لا اشك ساعة في أمرين . اما احدهما : فكون هذا الشعر ليس من النمط العالي الذي تقوم به البلاغة العربية في هذا العصر وان كان هو من حيث العربية وعلوها من جيد الكلام وجزله ورصينه ومحكمه . فان اتساع الفكرة في هذا الزمن ثم بساطتها ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها ، ثم تغلغل النظرة الفلسفية الى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار الافذاذ والبلغاء في عصرنا هذا . وهو النوع الذي لم تعرفه العربية الآ في القليل من شعرائها ، وفي القليل من شعر هؤلاء الشعراء . وليس في العربية من هذا النوع الآ معجزتان

(١) اما المنطق العربي الصحيح (لضاد) فهو قريب الشبه بالظاء مع اختلاف الخارج فان مخرج الضاد من الالف حافة وما يليه من الاضراس من الجانب الايسر وهذا الحرف يستطيل في النطق به حتى يتصل بمخرج اللام وهو الحرف الوحيد الذي يسمى (المستطيل) لما فيه من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء

أحداها القرآن ، والآخرى ما صحَّ من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ففهما وحدهما تبلغ الفكرة في نفسها ، ثم بتعبيرها والفاظها ، ثم بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشجة بها ، ثم بسرّياتها من الفاظها وكنياتها مسرى الرُّوح العطر في جوِّ السَّحر ، ثم فوق ذلك كله البساطة واللين والتقارب والتعاطف بين هذه المعاني كلها — تقول يبلغ هذا كله مبلغاً يكون منه ما هو كنسيم الجنة في طيبه ونعمته ، ويكون منه ما هو كحز المواسي في علائق القلوب ، ويكون منه ما هو كالنار تستعر وتلذع ، ويكون منه ما ينتظم البنيان الانساني البليغ المتفهم فيزهز الزلزلة أعصاب الأرض وبهذا كان القرآن معجزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبمثل كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال

أما الامر الآخر الذي لا اشك فيه حين اقرأ شعر عبد المطلب ، فهو هذه الحياة التي تفرق في شعره وان كان هذا الشعر نفسه على النمط الذي يسمونه (التقليدي) ، فهو يصف الابل ويتغزل لافتتاح القصيدة ثم يتخلص من غزله الى المدح او اي كان من اغراض الشعر الى غير ذلك من الملامح التي يحفظها هذا الشعر الحديث لشعر آبائنا رحمهم الله في عصورهم الماضية . فالعجب ان يكون عبد المطلب وهو الرجل العربي الذي احتفظ بعربيته في القرن العشرين يحاكي شعر اجدادنا واجداده ولا يخرج الشعر من فكره فأتراً ميتاً بل يخرج وهو يتحرك وينبض وكأنه شعر عصره الذي كان يمكن ان يقال فيه هذا هو العجب . وهو عندي الدليل الوحيد على ما كان في نفس عبد المطلب رحمة الله عليه من اسباب الشعر ومادته الحية

فكانت مقدرة هذا الرجل الشاعر في نقله صورة من القرون الماضية وحياتها الى القرن العشرين ... نقل هذه الصورة ولم يدعها كما أتته بل ارسل فيها من شاعريته ، ما احيها ونفخ فيها الروح حتى لا يشك المرء في انها لا تزال حية بين يديه مع اختلاف الازمان عليها وتطاول العصور بها . ومن هنا كان يسمي نفسه بالشاعر البدوي لانه هو الذي استطاع في شعره ان يعطينا صورة حية من السانية قد مضت ونفذ بها الاجل في ثوب من العربية الفصيحة التي لا عجمة فيها ولا فساد

هذا هو الشاعر البدوي كما بد لنا قبل ان نقرأ ديوانه مجموعاً وبعد ان قرأنا ديوانه مطبوعاً فمن شاء ان يختار لدراسة الشعر القديم استاذاً يهديه فليرجع الى ديوان عبد المطلب فسيستهل عليه بعد ذلك ان يحسَّ بجمال الشعر البدوي حين يقرؤه لامرئ القيس وغيره من شعراء الجاهلية ومن جاء على آثارهم . ولنعذرنا القارئ اذا بدله اننا لم نختار لعبد المطلب ما ثبتته في هذه الكلمة ، فان باب الكتب في هذا الشهر لا يحتمل اكثر مما كتبنا ، وليرجع الى الديوان نفسه وليقس على ما قلناه فسيجد ذلك صواباً — ان شاء الله

٢ - مرشد المتعلم

تأليف السر (جون ادمز) استاذ التربية بجامعة لندن سابقاً — وترجمة الاستاذ (محمد احمد الغمراوي)
خريج المعلمين العليا وجامعة لندن والمدرس بكلية الطب — من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة
والنشر بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤

الاستاذ الغمراوي كما عرفته من سنين رجل موفق فيما يتعمده من الامور، مرتب الحديث كأنما يحدثك عن كتاب، واسع الفكرة بسيطها حتى ليخيل اليك احياناً أنه يتكلم بكلام يتداوله الناس لا عمل للفكر الدقيق فيه، ولكنك اذا راجعت نفسك فيما تسمع رأيت التوفيق معاناً بالترتيب، مقدراً بالفكرة، محفوفاً بالبساطة والحرية والجمال. واذا اردت ان تتبين ما وصفنا لك فاقراً كتاباً يؤلفه رجل يدرس الكيمياء ويريق عليها من شبابه، في باب يتباعد ما بينه وبين الكيمياء وهو الادب. اقرأ كتابه الذي ألفه في رد الرأي الذي اذاعه الدكتور طه حسين عن الشعر الجاهلي فسترى كيف (يحلل) هذا الكيميائي كتاب الدكتور طه ويصنف لك في (تحليله) انواع الجرائم الفكرية التي وقعت فيه، ويقيدها لك بسلاسل من العلم، ويضع لك الدواء الذي يذهب بها ويميتها ونحن لا نقول هذه الكلمة لننتصر برجل على رجل، بل نقولها لأن الحقيقة تفرض علينا أن نقول ذلك وان ندعو — ما تعرضت الفرصة — الى قراءة هذا الكتاب الذي لا غنى لاحد من الادباء عنه لأنه هو الكتاب الذي ادخل في الادب دقة التحليل الكيميائي ومزج بين الفكرة العلمية المتلبسة المتشعبة، وبين الفكرة الادبية الخيالية الجامحة واخرج منهما (مزيجاً) شافياً لما انتشر عندنا من الامراض الادبية الكثيرة

قلنا ان الغمراوي رجل موفق فما رأينا من توفيقه اختياره كتاب (مرشد المتعلم) للترجمة. فان المتعلمين في مصر وغيرها من بلاد العربية بل الذين يعدون انفسهم من شيوخ المثقفين وكبار النابغين !! هم احوج الناس في الارشاد الى مثل هذا الكتاب. ولعل كثيراً من الذين يسمعون قولنا هذا او يقرأونه يكبر عليهم ان يكون ذلك كذلك. ولكن هذه هي الحقيقة لا تمنعنا عنها الا كبرياء النفس المتعالية. لقد كان القدماء من آبائنا رضوان الله عليهم يتخذون من شيوخهم امثلة يسترشدون بها، وكانوا اقدر منا على ذلك لشدة تعلق الطالب منهم بشيخه من العلماء فهو يتشبه به ما استطاع، ويسأله عن اشياء من صغائر العلم وأدب طلبه، يستحي احد طلبتنا الآن ان يسأل عنها اباه او اخاه او استاذه. ثم ان العلماء من المتقدمين كانوا يعمدون الى طريقة بارعة في التدريس وهي التي يسمونها (التوقيف) ومعناها ان يدل الشيخ ولده او مريده من الطلبة على اصول الشيء الذي يتلقاه عنه ويبسطها له ويدربه عليها، ثم يتركه يقيس عليها ثم يصحح له قياسه ان اخطأ. ولا يذهبن بأحد ان هذا يشبه ما يسمونه الآن (بالطبيق) فان الفرق بينهما يتبين وليس هنا موضع تفصيل ذلك

فهذا التوفيق الذي كان يقال في الايام الماضية ولا يقيد بالكتاب قد جاء في كتاب السرجون ادمز طرف بارع منه حاوٍ لاكثر ما يحتاج اليه المتعلم صغيراً وكبيراً او كما يقولون (من المهدي الى الابد) ، فهذا هو الباب الاول من التوفيق في ترجمة هذا الكتاب ثم يلي ذلك الباب الثاني من التوفيق وهو في طريقة الترجمة ، فان المترجم حين تعرض لها لم ينس ما ينسأه جبهة المترجمين في هذا العصر ، وهو مقدار التخالف بين الامة التي الف لها ثم فيها الكتاب . وبين الامة التي يترجم لها وفي بلادها هذا الكتاب بعينه . وهذا امر حتم على كل من يتصدّر للترجمة ، فرب مضرّة استجلبها المترجم على قارئ كتابه بنفسان مقدار هذا التخالف بين الامتين . ولكن الغمراوي امسك المفتاح بيده وأداره في الكتاب كله فتسنت له وللقرءاء من بعده مغاليق الرأي ، وكانت الفائدة اجل وأعظم وأوفى . وسيرى قارئ الكتاب حين يتمشى في صفحاته المثمرة كيف وفق الغمراوي كل التوفيق حين ترجم هذا الكتاب اما التوفيق الثالث فهو اسلوب المترجم في كتابه وهذا امر يفرغ من الاقتناع به كل من يقابل صفحات من الاصل الانكليزي بأخواتها من الترجمة

أما خير ما وفق اليه المترجم فهو الفصل الاخير وهو الملحق بالفصل السابع من اصل المؤلف وفيه ذكر كتب المراجع في العربية . وذلك ان الفصل السابع عند مؤلف الكتاب كان في كتب المراجع الانجليزية فاستدرك الغمراوي ما يفوت غيره واستوفى باباً هو اول ما رأته مما كتب عن المراجع التي يحتاج اليها طالب العلم العربي . لم يترك مؤلف هذا الفصل باباً من ابواب العلم العربي المتداول بين الناس الا ذكر لك فيه طرفاً من الكتب الاولى التي لا يستغنى عنها متعلم او متخصص في علم بعينه ونحن لو ذهبنا نستقصي توفيق هذا الرجل في ترجمة كتابه اولاً ثم في الفصل الملحق ، وذكرنا من الحوادث والاخبار التي تذكرناها حين قرأنا في فصوله ، مما يدل على حاجة كبار المثقفين منا الى الاسترشاد به لادخلنا الضيم على صفحات نقد الكتب من هذه المجلة . فقصارى ما نعمل هنا ان نحمل شكر الامة العربية الى هذا المترجم البارع ثم نسأل الله ان يزيد فيما هو بسبيله توفيقاً وهدى ، وان يهدي قراءنا وادباءنا الى الاستفادة من (كتاب مرشد المتعلم) فان فيه — ان شاء الله — ري النفس ، وهدى العقل ، واطمئنان القلب الى طريقة محكمة في التحصيل والتفكير

٣ — مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان . طبعة ثانية بدار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ ، سنة ١٩٣٤

ظهر هذا الكتاب من عدة سنوات فلتني من الانتشار وألقى عليه من المحبة ما لا تبلفه كثير من الكتب العربية التي تطبع في بلادنا . وسبب ذلك على الأرجح ما لهذا الغرض بعينه من الشوق في قلوب الناس من أهل الشرق . فطغيان الحياة الاوربية التي تنقل الينا على ظهور البواخر كل يوم

وعلى ظهور الآدميين وعقولهم وشهواتهم بما فيها من الفساد والضعف والانحلال ، وبما فيها من العلم والقوة والنبوغ أيضاً ، . هو من أهم ما يحفز أكثر المثقفين المفكرين الى درس المواقف التي كانت سبب التحاجز بين أمم الغرب والامة العربية المسماة ، تلك المواقف التي جعلت للتاريخ الاسلامي صورة ينساها ابناء الاسلام ، ويحقق النظر فيها علماء الامم المسيحية ليأخذوا منها العبرة الباقية على مدى العصور واضحة جلية مفصصة مبينة

المواقف الحاسمة التي وقعت من سيل المسلمين بدينهم ومرنت الامم المسيحية على خلق المسلمين وآدابهم وعاداتهم وشيء من دينهم ، كانت ولا تزال مادة للتاريخ الحي الذي يجب على كل شرقي ان يوجد العناية به في نفسه ان كان لا يجدها ، وذلك لما فيها من مفاخر السلف العاملين ، وفي هذه المفاخر اصول للقدوة والاتباع فيها إنقاذ الحياة الشرقية من الفوضى والجهل ، واستخلاصها من براثن الاستعمار الذي لا يدع للقوي قوة يفزع اليها ، ولا للضعيف عدة يستنصر بها ولعل أول من اعتنى من كتاب العصر الحديث بهذا هو الاستاذ محمد عبدالله عنان فقد كتب كتابه هذا باذلاً أقصى الجهد في تحقيق ما هو بسبيله من التاريخ على قدر ما يكون في طاقته مخلصاً في ذلك كل الاخلاص . ولهذا الاخلاص يعتقر له من يقرأ كتابه بعض الزلات . ولهذا نفسه كان هو اول من رجع على فصول كتابه بالتعقيب فنقح منها وزاد فيها ما صح له من العلم . وهذا وحده فخر عظيم للاستاذ يجعله دائماً في طليعة من يريد العلم للعلم . لا للشهرة والاسم ولا يزيد قراءنا تعريفاً بالكتاب و كاتبه ، فالكتاب قد اخذ قسطاً وافراً من الشهرة في الامم الشرقية والعربية ، والكاتب له في قلوب الشرقيين مكانة ومودة . ويبقى علينا ان ننبه الى شيء جديد وهو ان هذا الكتاب يكاد يختلف اختلافاً كبيراً عن الطبعة الاولى منه ، لما فيه من الفصول التي اضيفت له ، وما دخله من التغيير والتنقيح حتى اصبح كتاباً مستقلاً يضارع الطبعة الاولى منه . فلا غنى لمن يملك الطبعة الاولى عن اقتناء الطبعة الثانية ، ونرجو ان يوفق الاستاذ في طبعته الثالثة الى اضافة فصول جديدة وادخال تنقيح جديد في ابواب كتابه فاما من كلمة يكتبها أحدنا اليوم والآء ويصبح وقد بدا له فيها . وهذا هو السر في تجديد العلم . وهو سر العقول النابغة التي لا تفتقر ولا تمل

وراء الغمام

اشعار الدكتور ابراهيم ناجي — صفحاته ٢٠٢ قطع صغير — طبع بمطبعة التعاون
اختلف النقاد في الحكم على شعر الدكتور ناجي . فهبط به جلهم الى الحضيض ورفع بعضهم الى السماء . والنقد فن أو هو ضرب من الفن . والفن نظرة الى الحياة ومعانيها والكون واسراره من خلال المزاج الخاص . لذلك كان كل نقد حكماً خاصاً لا يمكن ان يسري سريان الحكم العلمي . لان هذا اذا أيدته التجارب وجب التسليم به سواء ارضيت عنه أم لم ترض . وقد ينظر شاعران

الى مشهد واحد ، فيراه احدهما على وجه يختلف عن الوجه الذي يراه عليه الآخر . او قد ينظر ناقدان الى صورة واحدة لرجل معين ، فيهملها الواحد لانها تعلي من شأن صفة في الرجل لا يهتم شأنها ويكبرها الآخر لان تلك الصفة نفسها في نظره من اسمى مناقب الرجال . وليس في مستطاعك ان تقول ان هذا اخطأ او ان ذاك اصاب ، وجل ما تستطيعه ان النظرتين اختلفتا ولا يمكنك ان تعلق الاختلاف في حكم النقد على شعر ناجي الا اذا ادركت هذه الحقيقة الاساسية في فلسفة النقد

فانت مثلاً رجل ظلمتك الحياة فبددت حقائقها القاسية احلامك بعد ما اسبغت عليها من الوانها كل زام وطروب ، فيعجبك قول هذا الشاعر

اشترى الاحلام في سوق المني وابعى العمر في سوق الهموم
ويتغلغل في نفسك وتراه يعبر في بيته اصدق تعبير عن الحياة : فاذا كنت من الذين اصابوا النجاح على الطريقة الاميركية ، احتقرت الاحلام والمني والهموم ، وقلت ما هذا الهذيان او قد تكون رجلاً تعود بالشعور بالتبعة ، ادبية كانت او غير ادبية ، فيتعذر عليك ان تطلق نفسك في مجلس شعاره المرح والمزاح . فتحس بانقباض لذلك في بعض الاحيان ، لانك اذا استطعت ان تفرح وتمزح خففت عما يساورك واحسست انك وصحبك كالراح والماء ، تتجاوب نفوسكم ، وفي هذا التجاوب اعلى معاني الصحبة والصدقة . فاذا كان هذا التجاوب متعذراً عليك اعليت من شأن شاعرنا حيث يقول

لم لا تذوق كؤوسهم شفقي ؟ ان الحجا سمي وتدميري
في ذمة الشيطان فلسفتي ورزائتي ووقار تفكيري
فاذا كنت ممن يغشون المجالس ويستسلمون الى المزاح ، والتنادر السخيف ، قلت ما هذا الرجل المتعالي لانه وعى بعض حقائق ونظريات ، تفوقه فيها كتب قليلة

او قد تكون من الذين تشوقهم معاني الحب ، وذكرياته في عهد الصبا فتطرب اذ تقرأ له :

هل رأى الحب سكارى قبلنا كم بنينا من خيال حولنا
ومشينا في طريق مقمر تثب الفرحة فيه قبلنا
وتطلعنا الى انجمه فتهاوين واصبحنا لنا
وضحكنا ضحك طفلين معاً وعدونا فسبقنا ظلنا

او اذا كنت ممن يتأمل في حقائق الحياة ، فنقل على طبعك منها الرياء والزور والصغار ، وطلبت العزلة لعل فيها براء النفس عن طريق الاتصال بحقيقة الوجود الكبرى رأيت في قصيدة «الليالي» قوله

مكاني الهادى البعيد كن لي مجيراً من الانام
قد أمك الهارب الطريد فأوّه أنت والظلام

قد صار حب الحياة منا يقنع بالجيفة السباع
وعلمهم السمح ان يضننا وثبت الجبن في الطباع

مللت في هاته العوالم مهزلة الموت والحياه
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذل في الجباه

فالشاعر الذي يستطيع ان يعرب عن هذه الحالات النفسية ، وغيرها ، هذا الاعراب الناصع ،
جدير منا بالا كبار

والواقع ان رجلاً كناجي ، واسع الاطلاع على الادب الاوربي بوجه عام والادب الانكليزي
بوجه خاص ، مجرب لانه خبر الحياة كطبيب ممارس ، مرهف الاحساس دقيق الشعور ، لا يمكن
ان يكون كل ما يقوله من سقط المتاع . فالعقل لا يقبل مثل هذا الحكم الحاسم . ونحن لا ننصب
انفسنا للدفاع عنه ، وانما للدفاع عن سجية الانصاف في تقدير الادب والادباء
قد يصف الشاعر احياناً ، واي شاعر سلم من ذلك . وقد يكون طبيباً وعالمياً واديباً واسع
الاطلاع ولا يكون شاعراً . ولكن من عرف ناجي عرف ان تركيبه العصبي تركيب شاعر . اسمعته
يتغنى بيت من الشعر له او لغيره ؟ ارأيت ألقه عينيه وهو يصغي الى الشعر الجيد ؟ اشهدته يفعل
لمشهد يرمى او للحكاية تُروى او لذكرى تستعاد ؟ اتبينت في شعره رجح الحوادث في نفسه ؟
قد تكون ادائه اللغوية غير كاملة لتأدية اغراضه . او قد يختار هو عمداً بعض التعبيرات التي تجري
على السنة العامة لحكمة خاصة . ومثل هذه التعبيرات لم تنتقص من قيمة روبرت برنز كشاعر كبير .
وقد تكون موضوعاته محدودة محصورة في ناحية واحدة او بضعة نواح من الحياة ، ولكن اذا كان
الحصر لا يمنع الترداد ، وبقي من التقليد ، فالنعم به ، فالعبرة في الشعر بصدق الشعور وصدق البيان ،
وناجي اصاب من هذين قسطاً وافراً

مجلة العرفان

اصدرت زميلتنا مجلة العرفان بصيدا العدد الخامس والسادس لسنة ١٣٥٢ في جزء واحد وكله
عن العراق . وهو رحلة الى العراق قد طالت زمناً حتى استطاع الاستاذ احمد عارف الزين صاحب
المجلة ان يستوفي الدقائق التي تحفى على الكثيرين واثبتها في هذا العدد وقد زاد هذا العدد خطراً
على خطر ما اثبتته الرحالة من تاريخ البلدان التي مر بها او مكث فيها ، وتنبه الى دقائق في تاريخ هذه
البلاد وفق فيها كل التوفيق ولم يخل مع ذلك من كثير من النظرات في الحالة الاجتماعية فوصفها
أدق وصف ، وزاد على ذلك ما فيه من ذكر وجهاء البلاد التي مر بها وعلمائها وشعرائها وساستها الى
غيرهم من طبقات الناس فهذا العدد هو احفل من اي كتاب آخر فيما يتعلق ببلاد العراق المذكورة
فيه . ومجلتنا تهنيء مجلة العرفان بما وفقت اليه وتعتذر عن تأخير الكتابة عن عددها هذا لما كان
حدث من اختلاط بعض الكتب وشتاتها

شخصيات شرقية

مهاتما غاندي - غاندي والحركة الهندية - مصطفى كمال - ابن سعود - عصمت باشا

- ١ -

مهاتما غاندي ترجمته على لسانه . نقله اسماعيل مظهر . طبع بمطبعة عيسى الحاي بمصر عدد صفحاته ٢٨٦ (ترجمة)

وضع المؤرخون والمؤلفون في شتى اللغات فوق الاربعة آلاف مؤلف عن نابليون وما زال المؤلفون والمؤرخون يمدون مجال القول فسيحاً في نابغة الحروب وعبقريتها . ففي كل حقبة من الزمن يطلع علينا نابليون جديد على قلم كاتب جديد . ولا بدع فكل سيرة من هذه السير تاريخ عصر بأمرة . وشخصية العبقري بأعمالها العظيمة فسحة من الدهر ممدودة الرواق على الغد موصولة العلائق بالأمس هدمت الماضي وبنت للمستقبل مما ليس في وسع كاتب واحد ان يحصر اشعة لمعانها ويحصي أنعم اشراقها ويطوق نواحيها الكثيرة . اذاً ما على الاستاذين الكبارين اسماعيل مظهر وسلامه موسى ان يعتذرا للقارئ على اصدارهما كتابين اثنين في زمن واحد عن رجل واحد بل لهما ان يغتبطا فكل من كتابيهما مكمل للآخر ولكل منهما شخصية ممتازة

ان بعض الرجال العظام يدون مذكراته بيده ومنهم من يستكتب سواه ومنهم من لا يكتب ولا يستكتب فيسلم شخصيته بعد موته لاقلام المشرحين يتصرفون بها كما يوحى اليهم تفهمهم وعلمهم ونجدهم ووجدانهم . والكتاب الذي عنوانه : « مهاتما غاندي » مكتوب بقلم غاندي ومنشور بعناية المستر اندروز ومترجم بيراعة اسماعيل مظهر فهو يحتوي على ثلاثة رموز للاخلاص فغاندي أنصف نفسه واندروز صديق غاندي أنصف الصداقة واسماعيل مظهر أنصف امانة النقل والترجمة يستهويك في هذا الكتاب اسلوبه المغربي فأنت تطالع سيرة غاندي بشكل روائي لا ملل فيه ولا سأم . وتعبيره جميل لا كلفة فيه ولا تناقل . ويستهويك فيه موضوعه ألا وهو غاندي ، والشاؤه ألا وهو اسماعيل مظهر

ان الهند مكن الاسرار وغاندي سر المكن ومن الصعب دراسة شخصيته ومنشأه ومنحاه ونفسيته وتطورها وهو بعيد عن عين الدارس واذنه لذلك نعلق بكتاب اسماعيل مظهر شأنًا خاصًا لانه مكتوب بقلم صاحب السيرة نفسه افرغ فيه غاندي كل ما يعلم عن نفسه وما يشعر به فقد تكلم عما حدث له وعما كاد ان يحدث له وعما يجب ان يكون فظهرت في مذكراته الحوادث الواقعية والعوامل الداخلية والخفايا السياسية . ولولا حديث غاندي عن نفسه لما عرفنا انه يكره النصرانية (صفحة ٣٨) ولما سمعنا بالفتاة المستخدمة في مكتبته التي كانت تستشير في أمر زواجها فينصحبها ويعني بأمرها عناية الاب بالابن وهي ناحية جديدة جديدة بالدرس لعلاقتها بشعور زعيم مفروض فيه

الحنان على ابناء وطنه . نعم ان غاندي كان يكره النصرانية في حياته ولكنه — كما يقول — بين
بدين : « قابل الاساءة بالاحسان » وهو مبدأ مسيحي . وغاندي يكره سياسة الاسلام في الهند
ولم يقل انه يكره المسلمين كما انه لا يكره من النصرانية سوى بعض اساليبها ومظاهرها والحقيقة
ان غاندي وان راض نفسه على ان يكون متسامحاً نحو الاديان الاخرى اي غير النصرانية فان ذلك لم
يكن معناه انه يعتقد في وجود الله (صفحة ٣٩)

يحدثك غاندي عن مولده ومسكنه وأيام المدرسة والحداثة وعن باكورة شبابه ورحلته الى
لندن والعودة الى الهند ويعرض عليك اخبار حرب البوير وثورة الزولو ويقص اخبار السجن
وحياته فيه ثم ينتهي بك الى لذة الانتصار ولكنه لا يفصل تشعب المفاوضات ولا يدخل في
صميم المشكلة السياسية القائمة بين انكلترا والهند ولا يصف لك حلولها وعلاجها لان الكتاب ينتهي
عند مرحلة معينة في حياته ختمت قبل ان تصبح مشكلة الهند من المشكلات الكبرى التي تعانها
الامبراطورية البريطانية والهند بعدما وضعت الحرب اوزارها

وفي الكتاب مقدمة بليغة من قلم المترجم جمعت في سطورها القليلة ابلغ ما كتب عن غاندي
فاسمع : « امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها فكثرة الارض تحمل من الوانها الجغرافية زناً
يحوطها مع خطوط الطول وخطوط العرض وسلطانها يخضع الابيض والاسمر والاصفر والنحاسي
والاسود من سلالات البشر وفي داخل املاكها تدين اقوام بصور من الاديان والوان من العقائد
لا يحصرها العد هذه الامبراطورية يقيمها ويقعدها هيكل بشري من الدم واللحم والعظام لا يزيد وزنه
على وزن كرة مدفع من اصغر مدافع بريطانيا العظمى . واما هذا الهيكل البشري الضئيل فغاندي العظيم

— ٢ —

غاندي والحركة الهندية . تأليف سلامه موسى مطبوع بمطبعة المجلة الجديدة بمصر وعدد صفحاته ١٠٤
يقول المؤلف في المقدمة : « هذا الكتاب ثلاثة اجزاء . يعالج الجزء الاول منه الاحوال العامة
في الهند مع اشارات تاريخية موجزة . اما الثاني فيعالج سياسة غاندي وفلسفته . وفي الجزء الثالث
نقلنا بعض مقالات كتبها غاندي ونشرت في المجلات الهندية »

لا اعلم اذا كان الاستاذ سلامه موسى يحسن الهندية ولكني اعرف انه احسن الكتابة عن
غاندي وعن الهند فكتابه عن امبراطور الهند غير المتوج دراسة ثمينة ملمة بنواحي الموضوع من
غير تطويل ممل ولا اقتضاب سقيم . وقد كتبه بشغف وحماسة واندفاع ولكن من دون هوى
وتعصب ويقصده الى غاية . فبتمجيده بطل الهند يرمي الى غرض ليست مصر بغريبة عنه
وقد لا نشاطر الاستاذ سلامه موسى رأيه في تشبيه الحركة الهندية بالحركة المصرية فهو ذاته
يعترف بأن احوال البلادين مختلفة وليس على مصر ان تأخذ بالحركة الهندية الا استئناساً وعلى
مقدار حاجتها الى المثل العليا والى الامثلة . لان مبادئ السياسة في مصر غيرها في الهند . فالهند

للالنجليز غاية ومصر للانجليز طريق الهند . ولكن قد تتشابه اسباب الكفاح ووسائله في المكانين مع بعض اختلاف ، ثم انه لا يجب ان ننسى ان ما بلغته مصر من المقام الدولي هو فوق ما للهند منه فالجهود التي تبذلها مصر في هذه الناحية يجب بطبيعة الحال ان تكون دون الجهود التي تبذلها الهند . وعلى كل فان مصر دانت بمبادئ زغلول وآرائه في جهادها السياسي ونضالها للاستقلال فن اصابة الرأي ان نعمل دائماً الى تعاليم زغلول وخطته لتجد فيها وسائل الكفاح وطرق النضال لا الى تعاليم سواه من زعماء البلدان الاجنبية وان كان لا يضير مصر ان تستلهم مواقف الآخرين الذين صهرهم الظلم فأخرجت ادعيتهم عصيراً قاتلاً في بعض المرات لمكروب الاستعمار

قال المؤلف ان غاندي قام بدعوة الى الاستقلال النفسي فالاعتماد على القوة الروحية وما يتبعها من تقشف ونسك . وقام ايضاً بدعوة الى الاستقلال الاقتصادي باتخاذ المغزل وايشار القماش الهندي على جميع الاقمشة الواردة الى الهند . وقد فطن الاستاذ سلامه موسى الى ان مصر ابعد الناس عن التسك فالتسك هو النظر السلي للحياة ومزاج مصر هو المزاج الايجابي . على ان مصر تستطيع ان تأخذ عن غاندي الاستقلال الاقتصادي مع بعض تعديل في الاسلوب كأن تجعل النول بدل المغزل رمزاً للكفاح الاقتصادي

ومما لا شك فيه ان الكفاح الاقتصادي في مصر غير معدوم فالصناعة الوطنية تحتاز شوطاً بعيداً وليس من حاجة الى تنشيطها عن طريق النعرة القومية الوطنية . بل هي تنشط ذاتها بعوامل من جنسها اي اقتصادية فالمنافسة والمزاومة خير كفاح اقتصادي

وفي كتاب الاستاذ سلامه موسى بحث جغرافي واحصائي وسياسي عن الهند مما لا غنى عنه لكل من يعنى بشؤون هذه البلاد العريضة الطويلة فقد تكلم المؤلف عن الاستعمار البريطاني والسكان والاديان وعن الثقافة الانجليزية في الهند والفقر والنجاسة والمرأة الهندية — وغاندي اعتمد كثيراً على المرأة في جهاده — وأخيراً عرض المؤلف الى شرح الدستور الجديد

ويتلاقى كتاب سلامه موسى بكتاب اسماعيل مظهر في الموضوع وفي الجزء الثالث من الكتاب الاول وهو الجزء الذي يحتوي ترجمة المقالات التي كتبها غاندي بقلمه وفي هذه المقالات تطالع آراء زعيم الهند في الانجليز وفي نساء الهند والتعليم وفي مذهب السيف والخوف من الموت الخ فغاندي في هذا الجزء يخاطبك مباشرة كما خاطبك في كتاب اسماعيل مظهر

ولا تغالي اذا قلنا ان كتاب غاندي والحركة الهندية أعم كتاب في موضوعه باللغة العربية ولم يكتب المؤلف بمعالجة موضوع الهند فقط بل قابل بينها وبين مصر مقابلة سهاها له انضواء الهند ومصر تحت لواء الامبراطورية الانجليزية انضواءً ارغامياً ولكنه انضواء على كل حال

ولا يخفاء ان هذا المؤلف — بالفتح — نتيجة دروس وبحوث وتنقيب ومراجعة ومطالعة واستقصاء بل هو نتيجة متاعب يعرفها المنصرفون الى التأليف والوضع

— ٣ —

مصطفى كمال او المثل الاعلى . تأليف الكاتب الالماني داجوبرت فون مبكوش .
وتعريب الاستاذ كامل صموئيل مسيحه مطبوع بمطبعة الوفاء ببيروت وعدد صفحاته ٣٦٠
تطالع في هذا الكتاب سيرة مصطفى كمال من عهد المدرسة الى عهد الحكم ويتخلل ذلك صفحة
من تاريخ تركيا الحديث وهو تاريخ مشحون بالانقلابات والدسائس والمفاجآت ولا نرانا بحاجة الى ذكر
موضوعه بالتفصيل فقد عرف الناس كيف قضى مصطفى كمال على عرش الخلافة وهزم آخر سلاطين
بني عثمان وكيف تسلم ذروة الحكم ونهض بامته ونفض عنها وشاح التقاليد القديمة وقد وصف كل
هذا الكاتب الالماني باسمه واحسن المترجم نقله الى العربية . يقول المترجم عن المؤلف :
« اعتمد المؤلف الالماني على وثائق عديدة انكليزية وفرنسية وإيطالية و تركية وترجم مذكرات
الغازي ذاتها وراجع معلومات جمعها له اصدقاؤه الاتراك فجاء كتابه تحفة تاريخية نادرة ومثلا اعلى
للكتابة بامانة واخلاص عن سير الرجال العظماء »

فبعد هذا لانجد تقريرا آخر للمؤلف . ان عظمة مصطفى كمال وعبقريته وفضله على تركيا فوق
كل شبهة . وقرأ هذه المجلة يذكرون مقالات محررها على اثر زيارته لتركيا في الصيف الماضي

— ٤ —

ان سعود . تأليف الرحالة الانكليزي الشهير كنت ولينز وتعريب الاستاذ كامل صموئيل مسيحه

وهذا ايضا كتاب عن امير العرب ورجل الساعة في الجزيرة يضعه انكليزي ويترجمه عربي وانه
ترى ان الكتب الموضوعية عن الشخصيات الشرقية في المدة الاخيرة كثيرة جداً وترى ايضا ان
معظم هذه الكتب العربية والتركية الموضوعية مكتوبة باقلام غربية فمن الخير المحمود ان نطالع كتاباً
عن سعد زغلول بقلم مصري يتناول فيه ناحية جديدة من حياة رئيس الوفد فما لا شك فيه ان
زغلول لم يدرس دراسة تفصيلية ولا يزال جانب عظيم من حياته الخاصة السياسية مطويّاً

— ٥ —

عصمت باشا . خطبه واقواله السياسية والاجتماعية نشرت في جريدة المخادنة باللغة التركية

نقلها الاستاذ عبد العزيز امين الخانجي . والكتاب مطبوع في مطبعة السعادة بمصر وهو يقع في ٣١٥ صفحة

ولا شك ان نشر هذه الوثائق وجمعها لاهتغلين بالقضايا السياسية الداخلية والعالمية ذو شأن
كبير فان عصمت باشا لعب دوراً كبيراً في سياسة بلاده من حيث الاصلاح الداخلي وفي سياستها
الخارجية بصفته ممثلاً لتركيا في المؤتمرات السياسية

وقد جمع عصمت باشا الى المرونة في السياسة العبقريّة في الحرب وفنونها وشهد له الالمان بنبوغه
العسكري ومنحوه الاوسمة العالية وقد انضم الى الحركة الوطنية وعمل بجانب مصطفى كمال ووجد

هذا فيه خير معوان واكبر عضد . وجدير بالسياسيين المصريين اقتناء هذه المجموعة لعلاقة موضوعاتها ببلادهم علاقة غير مباشرة اذ ان عصمت باشا عرض اكثر من مرة الى الروابط التي تربط بلاده بالبلدان الاجنبية وعلى الاخص بتلك التي كانت ذات علاقة وثيقة بالسلطنة العثمانية . والذي يزيد في شأن الكتاب انه صادر عن رجل مسؤول لا يرسل القول على عواهنه ولا يعقل ان يشحن خطبه واقواله بغير الحقائق . فكل ما في الكتاب اقوال فاه بها عصمت باشا في جلسات البرلمان والمفروض فيها الحقيقة والصدق

توفيق وهبه

تحضير الميزانية المصرية

تأليف الدكتور محمد توفيق يونس — رسالة قدمت الى كلية الحقوق المصرية —
حازت رتبة « جيد جداً » — صفحاتها ١٩٩ — طبعت بمطبعة الرغائب

عالج المؤلف هذا الموضوع الجديد في اثني عشر باباً الم في اول كل منها بالنظرية العامة التي تتصل به ، ومختلف الطرق التي تتبعها الدول ، توضيحاً للحال السائدة في مصر ، وتحديداً لأنظمتها من بين هذه الطرق . ثم اتبع هذه الامامة في كل باب بكلمة تاريخية وصف فيها الحال التي كانت سائدة بمصر في الماضي ومختلف ضروب الاصلاح التي أخذ بها ، حتى اذا وصل الى النظام الحالي حدّده وحلّله مبدئياً ما يقترحه من وسائل العلاج . وقد صدر الكتاب بتمهيد تاريخي عام تناول فيه المراحل الرئيسية التي قطعتها الميزانية المصرية وسلسلة الادوار المختلفة التي مرت عليها في طريقها الى السهولة والوضوح ومطابقة الواقع ، تاركاً التفاصيل للكلمة التاريخية الواردة في كل باب

ولقد خص المؤلف البابين الاول والثاني ببحث عدة مسائل اولية عامة ، فتكلم في الباب الاول عن المدة التي توضع لها الميزانية ، ثم تناول التاريخ المحدد لابتداء هذه المدة اي السنة المالية باحثاً في التعديلات المختلفة التي ادخلت على هذا التاريخ شارحاً شرحاً مستفيضاً الاسباب التي ادّت الى كل منها والاجراءات التي اتخذت لتحقيقها . وتكلم في الباب الثاني عن موضوع يتصل بالسنة المالية اتصالاً وثيقاً وهو طريقة وضع الحساب النهائي لها

وبعد ان انتهى المؤلف من بحث هذه المسائل الاولى ، تناول التحضير الفعلي للميزانية في الابواب التالية ، فتكلم اولاً عن محضري الميزانية ، وهو موضوع وقف عليه ثلاثة ابواب : وهي الثالث والرابع والخامس ، فتناول في الباب الثالث نصيب السلطة التنفيذية من تحضير الميزانية مفصلاً دور الوزراء في تحضير تقديراتهم ، فالدور الهام الذي يقوم به وزير المالية في اعداد الميزانية ، دون ان يغفل عمل السكرتيرين العالين الذين يعتبرون اداة اتصال بين وزير المالية وبين زملائه الوزراء الآخرين . ولقد بين المؤلف كيف ان وزارة المالية في مصر لا تملك قانوناً ان تعدل اقتراحات الوزارات الاخرى دون موافقتها ، وكيف انها في الواقع تعدل فعلاً في هذه

الاقتراحات على الرغم من ذلك ويوضع مشروع الميزانية على اساس هذه التعديلات التي تراها وزارة المالية « او بالتدقيق لجنها المالية » بعد ان يقرها مجلس الوزراء

اما الباب الرابع فقد خصصه للكلام عن المال الاحتياطي لما له من المقام الخاص وعلاقته بعمل وزير المالية في تحضير الميزانية وموازنتها . ثم تكلم في الباب الخامس عن نصيب السلطة التشريعية هذا التحضير باحثاً في التغييرات التي ادخلها دستور سنة ١٩٣٠ في هذا الصدد . بعد ان انتهى من الكلام عن محضري تقديرات الميزانية ، تناول كيفية وضع هذه التقديرات فتكلم في الباب السادس عن الطريقة المتبعة في مصر في تقدير الايرادات ، وفي الباب السابع عن الطريقة المتبعة في تقدير المصروفات وفي البابين التاسع والعاشر والحادي عشر تناول المؤلف بعض المميزات التي تنفرد بها الميزانية المصرية مثل الايرادات المخصصة للدين العمومي والميزانيات الخاصة والملحقة مثل ميزانية الاوقاف وميزانية الازهر وميزانيات الجامعة المصرية ودار الكتب المصرية والسكة الحديدية والتلفونات والتملكوتات والحسابات الخاصة بالسلف التي قدمتها الحكومة في العهد الاخير الى الملاك والوزراع والصناع . وقد حل في الباب الثاني عشر والاخير مجلد الميزانية في شكله الحالي نظراً لاحتواء هذا المجلد على النتيجة النهائية لجميع هذه الخطوات التي تمر بها الميزانية . وقد ختم هذا الباب باقتراحات هامة تتعلق بمجمل الميزانية حتى يمكن لمن يرجع اليه ان يلم بمركز الدولة المالي دون صعوبة وعلى الجملة فقد بحث المؤلف بحثاً وافياً دقيقاً المراحل المختلفة التي تجتازها الميزانية المصرية والمبادئ ، والقواعد التي تخضع لها ، والاساليب التي تنفذ بها هذه المبادئ ، والقواعد ، مبيناً ما لكل منها من مزايا ومساوئ ، معقياً عليها بمقترحاته

حرب نيقوبوليس الصليبية (١)

تأليف الدكتور عزيز سوريال عطية — بالانكليزية نشره بيت متون بلندق — الثمن عشر شلنات ونصف

اهدي اليها الدكتور عزيز سوريال عطية نسخة من كتابه التاريخي النفيس الذي وقع احسن وقع في دوائر انكليز التاريخ لما اشتمل عليه من العلم الواسع والتدقيق في حقبة من تاريخ اتصال الشرق بالغرب ، لم تسلم من المؤرخين ماهي جديرة به من العناية . وقد اطلعنا في جريدة التيمس في ملحقها الادبي على مقال في هذا الكتاب قرأنا ان نقله الى القراء ، فنصيب به عصفورين بحجر واحد . ذلك ان المقال اللد كور وصف دقيق للكتاب ودليل على مكانته في آن واحد

قالت التيمس :

ان الاعتقاد السائد بان الحملة الصليبية الاولى كانت وجهتها الى فلسطين جعل الكثيرين يظنون انه يخرج الصليبيين من تلك البلاد وطرد سلطان المليك لهم انتهت تلك الحروب الصليبية . هذا

بينما يعتبر الآخرون موقعة ليبانتو من ذبول تلك الحروب ويرى غيرهم في موقعة نوارين والحصارات الفرنسية في الجزائر ومراكش وفي تحرير الجزائر اللبني لفلسطين دلائل على الروح الصليبية ولكن قليلين من امثال الدكتور عزيز سوريال عطيه قد اتجهوا وجهة اخرى في اعتبار الحملة التي ارسلت الى نيقوبوليس سنة ١٣٩٦ آخر الحملات الصليبية التي حدثت خلال القرون الثلاثة التي سبقت ايام بطرس الناسك

وقد اتبعت الحملة الى نيقوبوليس نفس الطريق التي سلكته الحملات السابقة ممن كانت اسعد حظاً من هذه ، وكان النظام في حملة نيقوبوليس نظيره في الحملات السابقة اذ كان معدوماً انعداماً تاماً وطغت الحزازات والمنازعات على الصليبيين هذه المرة كما طغت عليهم وحطمتهم في المرات السابقة وقد دلت التجارب الحالية على ان التحالف لا يؤدي دائماً الى الكفاءة والقوة الحربية حتى ولو توفر النظام وتيسرت الادارة الحازمة في كل من المتحالفين على حدة ... ويوضح لنا الدكتور عطيه كيف كانت حالة الصليبيين برئى لها فبعض الجماعات الصليبية تآثر وبعضها خاثر العزم يسعى الى هجر الحرب بينما كان البعض خرافياً ممن تعلق بالخرافات وحتى القواد انفسهم كانوا متنازعين متخصصين بلوا الحسد قلوبهم ، لا يعملون الا لمجد انفسهم الفردي جاهلين ما يؤدي اليه التعاون من النتائج

اما في نيقوبوليس فلم يكن اي اثر للنظام اعني تكوين الفرق بشكل نظامي ، ويصف الدكتور عطيه بدقة كبيرة ما كان عليه كل من الجيشين المسيحي والتركى وكيف كان الاتراك يعتمدون كل الاعتماد على السرعة وخفة حركة جيادهم بعكس الصليبيين ، وعلاوة على ذلك ان الاتراك كانوا يجاربون تحت قيادة حربية مطلقة استبدادية فكانت اوامر القائد مطاعة اطاعة عمياء بينما الصليبيون لم يكونوا لطيعوا شخصاً معيناً بالذات وكان جلهم الفرنسيين مثلاً احراراً اكايليل الظفر لا تقسمهم حتى انهم لم يمهّدوا الطريق لشخص مثل مجسمند في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمحاربة الاتراك كانتخاب الجنود ممن تعودوا اساليب الاتراك في الحرب

وكانت نتيجة هذا النظام الفاسد والسياسة الخاطئة انه بالرغم من الشجاعة النادرة والتفوق المدهش الذي اظهره الصليبيون في القتال وجهماً لوجه فان القائد الفرنسي قتل وولي عهد دوق برجندي امر بينما اقلت ملك البحر بغاية الصعوبة هارباً خلال بلاد الدانوب الى البحر الاسود حيث آوته احدى السفن وحملته سالماً الى مملكته ، ولم كان سرور الاشراف حين عاد اليهم ملكهم مهزوماً حتى لا يزيد سطوته فيهم !

وقد كان من الممكن للاتراك ان يتقدموا في الفتح بعد هذا النصر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ويمكن تعليل ذلك بمرض السلطان او برغبته في عدم التوغل في الفتح بعيداً عن قاعدة ملكه ويعتقد الدكتور عطيه انه لم يكن هناك ما يمنع السلطان من غزو البحر

وقد كانت النتائج الحربية لانتصار السلطان جليلة في زيادة نفوذه في البلقان حيث فضل الارثوذكس السلطان التركي وآثروه على بابا روما لان اللاتين اشتهروا بعدم تساهلهم في الأمور والاختلافات الدينية

وقد خصص الدكتور عطية جانباً كبيراً من عنايته لدراسة الامور المالية في تلك الحرب الصليبية اذ انه كان لا بد من دفع مبالغ كبيرة للسلطان التركي فدية عن الاسرى من الصليبيين ، وانه لمن المتبع حقاً ذكر طريقة دفع هذه المبالغ والمفاوضة في شأنها ان قصة حرب نيقوبوليس الصليبية ليست طويلة ولكن الدكتور عزيز سوريال عطية قد دعمها بالبيانات الاضافية حتى ان القارئ ليشعر انه قد الم بوصف دقيق للحالة السياسية والمالية في اواخر عهد الفروسية في اوربا وبين الملحقات الاضافية للكتاب ما هو خاص بتواريخ موقعة نيقوبوليس المتضاربة ويستدل المؤلف بالبرهان الكافي على انها حدثت في ٢٥ سبتمبر سنة ١٣٩٦

ويعتقد المؤلف ان بايزيد كان اول من لقب بالسلطان العثماني اذ تسمى وتلقب بهذا اللقب بعد انتصاره على الصليبيين في نيقوبوليس كما لقب السلطان محمد بالفاتح بعد سقوط القسطنطينية في يده

صحيفة دار العلوم

لدار العلوم فضل كبير على الناطقين بالعربية في هذا القطر فهم — كانوا ولا يزالون — مادة العربية التي تقوم الاسنة في مدارس مصر . ولا ينكر احد فضل هذه المدرسة في تقويم الاخلاق والآداب في مدارسنا . ولقد عمدت دار العلوم في سنة ١٩٠٦ ان تضم الى ما تقوم به من الاعمال عملاً يكون اكثر فائدة واوسع مدى في تثقيف الناس فأخرجوا صحيفة باسمهم « تنشر بحوثهم بين جميع طبقات الامة ، ثم عصفت — لسوء الحظ — بأبناء دار العلوم عواصف اجتاحت فيها اجتاحت ناديتهم وصحيفتهم . فلما كانت النهضة القومية سنة ١٩١٩ اخرجوا باتحادهم مع زملائهم من خريجي (المعلمين العليا) صحيفة اخرى بقيت عدة سنوات ، فكانت من خير ما اخرج للامة في بابها . ثم قضى عليها ما قضى على كثير من مظاهر النهضة المصرية»

ثم اجتمعت « جماعة دار العلوم » في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٣ وقررت اصدار هذه الصحيفة فأصدروا العدد الاول منها في اول ربيع الاول سنة ١٣٥٣ حافلاً بالكلمات الجيدة لكبار اساتذة دار العلوم في اللغة والادب والتربية والفلسفة . ونرجو ان تسير المجلة على خطتها ماثلة فراغاً كنا في حاجة الى من يقوم به ونسأل الله ان يوفق الى خير ما يكون من خدمة العربية في انحاء العالم العربي

بَابُ أَخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

التحكم في الجنس بالتيار الكهربائي
استنباط مدهش يمكن مربتي المواشي من نتج ذكورها وأنثاها بحسب مرامهم

التي تتألف منها جميع اجسام الحيوان اذ من المعروف الآن انها تتأثر بالقوة الكهربائية ولما كانت كريات الدم في جسم القرش (كلب البحر) تنجذب نحو القطب السلي للبطارية ، على حين ان كريات دماء جمل الحيوان ، تنجذب نحو القطب الايجابي -

فلم لا تتأثر بالكهربائية كذلك خلية مني الذكر التي تلقح خلية بيضة الانثى ، فتسيطر على الشق؟؟ هذا ما خالج العلامة كولنزوف من سنة ونيف ، فجعل يحرب تجاربه الابتدائية حتى يتبين الحقيقة

والمعروف الآن عند علماء البيولوجيا على بكرة أيهم ، ان خلية البيضة وخلية المنى كليهما تحتوي على دقائق ، مستقيمة الشكل ، متناهية في الصغر ، تسمى كروموسومات . وهذه تكون نوى الخلايا وتنقل الصفات الوراثية . والبيضة أي خلية البيضة ، للانثى البشرية صغيرة جداً بحيث اذا وضعت بعضها بجانب بعض فان ٥٠٠٠٠ بيضة منها تكاد تبلغ مساحة طابع بريد ، وتشتمل البيضة الواحدة على ٢٤ كروموسومة . اما خلية المنى اي خلية الذكر وهي التي تلقح بيضة الانثى

جاء في انباء الدوائر العلمية الروسية ، ان الاستاذ نيكولا . ك . كولنزوف Nicholas K. Koltzoff العلامة الروسي المشهور في علم الحياة قد نجح في توليد الحيوان ، إما ذكوراً ، وإما أنثاً ، وفق رغبته . ومنها السنانير والبقر والثيران والنعاج والكباش . وذلك في التجارب التي جربها في مختبره العلمي

فأسفرت التجارب التي جرت في أراب الخبث عن كون ٩٠ ٪ من الخراف يتسنى التحكم في شقها بالطريقة الكهربائية التي يستخدمها الاستاذ كولنزوف . ويجرب الآن هذا لاستنباط تجارب متقنة في ضياع حكومة روسيا ، فاذا نجحت تجربته في الغنم والخنازير والمواشي والخيول ، كنجاحها في الارانب ، فيض لارباب الضياع التي فيها مصانع لازبدة والجبنة ، توليد البقر الحلوب ، دون الثيران ، واستطاع أرباب المزارع التي تربى فيها المواشي والدواب ، انتاج عجول البقر ، دون انثاها وامكنهم تقليل الخسائر التي يكبدونها من تصرفات الطبيعة العرضية في نتج الذكور والاناث اعتباراً

وقوام عمل الاستاذ كولنزوف على الخلايا

مع كون هذه أكبر منها—غير ان خلية الذكر ذات ذنب مثل السوط تجعله بمثابة رقاس تدفع به نفسها دفعا حثيثا اسوة بفرخ الضفدع — فتشمل اما ٢٤ كروموسوماً او ٢٣ كروموسوماً وزعم الاستاذ كولتزوف ان فريقاً من خلايا الكروموسومات ينجذب نحو القطب السليبي . وفريقاً آخر ينجذب نحو القطب الايجابي . وانه اذا ثبت هذا الرأي ، صار ذا فائدة خطيرة لا نظير لها في تاريخ البيولوجيا . وأثبت ذلك بالتجربة ، فجاء بأنبوب زجاجي معقوف هكذا (U) ذي صمامين فاصلين كل منهما ، قريب من قاعدة كل من المستقيمين ، وركب صماماً آخر للصرف في منتصف الجزء الافقي من الانبوب . ثم ثبتت في كل من المستقيمين أسلاكاً ذات توصيلات من المسامير اللولبية أوصلها ببطارية تخزين ، وذلك بعد ان ملأ الانبوب المعقوف السابق وصفه ، ملأ جزئياً بمحلول يشتمل على خلايا ذكور الارانب . واخذ الاستاذ كولتزوف وأعوانه يتأملون في ذلك السائل العديم اللون الذي كان في الانبوب ، فاذا به يتحرك حركة وئيدة تولدت من ملايين من السبرماتوزوى — الجراثيم المنوية — (التي لا يمكن رؤيتها بالعيون المجردة) وهذه جعلت تسبح مثل فراخ الضفادع . وبعضها يتجه نحو احد قطبي البطارية اتجاهاً سريعاً جداً ، والاخر يتجه نحو القطب الثاني من البطارية . وكان السائل في اثناء ذلك يرتفع رويداً رويداً رغم جاذبية ثقله في ضلعي الانبوب المعقوف العموديين ، الايمن والايسر

(١) الحرق ولد الارنب والجمع خرائق

وما انقضت ساعتان حق اختفى السائل من القسم الافقي وتعلق ، كأنه مسحور ، في الانبوبين الرئيسيين وكاد ينقسم قسمة متساوية بينهما . فأغلق الاستاذ كولتزوف الصمامين مانعاً السائل من الهبوط الى قعر الانبوب ، ثم قطع التيار الكهربائي . وعند ذلك أخذ الاستاذ كولتزوف يناجي نفسه قائلاً « هل قسم التيار الكهربائي الخلايا الخفية اقساماً مختلفة ، بعضها يولد ذكوراً والاخر يولد أنثاً ؟ »

وكان الاستاذ كولتزوف يفترض ذلك . ومع ذلك فانه حينما تفرس في المادة التي كانت في الانبوبين ، بواسطة مجهر قوي جداً رأى الخلايا المكبرة جميعها من مثال واحد . وانما بتلقيح اناث الارانب تلقيحاً صناعياً بالحيوان المنوي من الانبوبين السابقين الذكر ، وتدون الملاحظات تدويناً محكماً ، فبيّض للاستاذ كولتزوف اثبات نظريته . فما انقضت ستة اسابيع حتى بدأ مولد السلالات ، فنتجت اولاً سلالة مكونة من ست خرائق كلها اناث لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب الايجابي . وجاءت السلالة الثانية مؤلفة من خمس خرائق كلها ذكور الاً واحداً لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب السليبي ، ثم ظهرت السلالة الثالثة وكانت مولدة بوساطة مزج الخلايا المأخوذة من الانبوبين ، فاذا هي مؤلفة من اربع خرائق ، وهي ذكران وأنثيان ، فدل ذلك على ان القطب السليبي كان يجذب خلايا الذكور والقطب الايجابي يجذب خلايا الاناث . بيد ان الاستاذ كولتزوف ، وهو مدير معهد المباحث البيولوجية

البحث . غير انه قد تبين اخيراً (على عكس القاعدة المعروفة للحيوانات اللبونة) ان خلية البيضة ، لا خلية المنى تنسلط على الشق في الدواجن . وتجرب التجارب في مختبر موسكو للتحقق من تأثير الوسائط الكهربائية التي ثبت نجاحها في الخلايا التذكيرية للحيوانات اللبونة في الدواجن ايضاً . ومن اربع سنوات قام كولنزوف ورفيق له باستنباط الجرافيدان *gravidan* وهي خلاصة من مفرزات النُسج^(١) ، أفادت في علاج أمراض عديدة ولا سيما الجنون المسمى « السرسام » وثبت ايضاً نجاحها في تجديد الشباب . وقد استعملها لتلك الغاية بعض علماء اميركا وألمانيا . وكان استنباط طريقة الاستاذ كولنزوف في روسيا مفضياً الى تأسيس معهد لعلاج الامراض البولية . ويلخص تاريخ الاستاذ كولنزوف انه ولد سنة ١٨٧٢ ثم تعلم في جامعة موسكو وقضى سنوات باحثاً في المختبرات العلمية في المانيا وفرنسا وايطاليا . فكان نجاحه في وقاية السلالات النقية من ديدان القز بواسطة التلقيح الذاتي للبيضة باستعمال اليود ، سبباً في ذبوع صيته ، فاستعملت طريقته استعمالاً تجارياً منذ عهد قريب . وقد ألف كتباً في التناسل فأصبح يعد من أقطاب البيولوجيا في اوربا لانه استطاع حل اللغز الذي طال عليه الدهر وهو التحكم في اجناس الحيوان فاهتم به العلماء في الخافقين اهتماماً عظيماً

[عن مجلة العلم العام] عوض جندي

(١) انتجت الفرس والناقة حان نتاجها و قيل استبان حملها فهي تتوج

في مدينة موسكو من خمس عشرة سنة ، لم يقتنع بتلك النتيجة ، فاتفق مع العلماء في مختبر آخر لكي يلقحوا طائفة من اناث الارانب بمادة يقوم هو بتحضيرها . ثم قسم الارانب قسمين ، فلقح القسم الاول بخلايا الذكور ولقح القسم الثاني بخلايا الاناث . وتوفر العمال على مراقبة النُسج من غير ان يعرفوا انواع الخلايا فأيدت الارقام ذلك الرأي العلمي . وقد دل المجرى على سبب عدم توليد ١٠٠ في المائة ذكوراً او اناثاً ، إذ ظهر ان الحيوان المنوي قد يكون ذا اذنان ملتوية ، وربما يتفق عند الاضطراب المصاحب لعملية الانفصال التي تقع في الانبوب المعقوف ان تشبك تلك الخلايا باضدادها فتجذب نحو القطب الكهربائي غير المقصود واثبتت مباحث اخرى ان وسائل كولنزوف يمكن التوصل بها الى توليد الاجناس المبتغاة من الحيوانات الكبيرة اذ اتيج تبويض خلايا التلقيح للثيران وخيول الطلوقة بسهولة اسوة بالارانب . وللحكومة الروسية ضياع ربى فيها ما ينوف على مليونين من الحيوانات حيث تلقح تلقيحاً صناعياً وتجرب فيها التجارب الجديدة المشار اليها لتكييف جنس الناتج بحسب المرام والمعروف ان في اسلوب التناسل الطبيعي خسر دائماً من تفوق انتاج الذكور على الاناث فاذا اتاحت السيطرة على شق الحيوان قبل ولادته ، تيسر جعل الاناث من المواليد ٩٠ ٪ او اكثر ، وأمكن زيادة عدد المواشي سريعاً . أما مسألة التحكم في اجناس سلالات الدواجن بالطريقة السابقة الذكر ، فما برحت على بساط

الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

صفحة

١	لسنات الكون
١١	روح القصة في الادب الحديث : لحسن محمود
١٧	الاصداء : حكاية مؤلف وكتاب
٢٣	الطب المصري القديم : للدكتور حسن كمال
٣٥	تحارب الانسان والنبات : للامير مصطفى الشهابي
٣٧	الكريم والفتى والسيد : للدكتور امين باشا المعلوف
٤٤	الدكتور رضا توفيق : لالياس ابو شبكه
٥٠	فضل « الصفر » على المدنية : لتدري حافظ طوقان
٥٤	معجزات الكهارب : لعوض جندي
٦٣	مرض الجماد وتلقيحه ونموه
٦٥	كتاب الشيطان : لامين الريحاني
٧١	تناظر اللغة الصينية والعربية : للاب أنستاس ماري الكرملي
٧٤	القضاء في السودان : للقاضي خليل الخوري
٨٠	أقرّ عاشراً للمشتري ؟
٨١	﴿ سير الزمان ﴾ بريطانيا واليابان . عوامل التجانس : للدكتور عبد الرحمن شهنند
	نكبة الاقتصاد الزراعي المصري : لتوفيق اليازجي
٩٩	﴿ حديفة المقتطف ﴾ قصيدتان : صفصافي . الارواح العائدة : للشاعر المصري خيرى
	نقلهما عن الفرنسية جورجى نيقولاوس
١٠١	﴿ مملكة المرأة ﴾ المرأة التركية الجديدة . حرارة الصيف والصحة . الحب والزواج



١١٤	مكتبة المقتطف : تشتمل على مباحث ودراسات في طائفة من المطبوعات الجديدة
١٢١	باب الاخبار العلمية : التحكم في الجنس بالتيار الكهربي